

ہاشم محمد یوسف تروار

رُطَبِ فَاہِ

دار الفکر

صدر لأول مرة عام ١٣٧٥ هـ

حقوق إعادة الطبع محفوظة
للمؤلف

طبع مجدداً في دار الفكر
بيروت

غرة رجب ١٤٠٢ هـ ، ٢٤ نيسان ١٩٨٢

وُطِفَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهـ

لصاحب اليوم الوطني وذكره المشائنة الخادة ...

الذكرى المشائنة الخادة

- ١- هي نافذة مقدسة في محراب السماء تطالعك منها مشارق الخلود
 - ٢- هي قبة امجاد الانسانية وبطولة بطولاتها وسماء سماواتها
 - ٣- هي اضواء حقيقة الايمان وحدي آياته في الدعوة الى الله .
- والذكرى الخادة محبة الله في محكم كتابه واكرم به من تمجيد واعظم هو تكريم من رب العالمين لعبيده البررة دعاة الايمان الصحيح .
- واليك باقية عبقة منالقة بالطيب من ذكرهم ، والطيب من ذكرهم كثير . وان ذكرهم متعة ورفعة وخلود .

- ١- "واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا" ٤١ " اذ قال لأبيه يا ابت لم تعبد ما ليسمى ولا يصبى ولا يعنى غناك شيئا ... " ١٩ - ٤٢ .
- ٢- "واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا" .
- ٣- "واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا" ٥٦ " ورفعناه مكانا عليا " ٥٧ - ٥٨ .
- ٣- "واذكر عبدا أيوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب" ٤١ " ارض برحمتك ههنا تغسل بارذا وشاب " ٣٨ - ٤٢ .

آيات وحى الله تفيض بذكر هؤلاء القسم العماقة الأبطال الذين قدّموا أنفسهم وأموالهم لله رب العالمين ودعوا دعوة الايمان العلي بقينى به وهدموا الاحاد والمجدين ، وشدوا أواصر الكلمة الى الكلمة اجتماعيا وحضاريا وانسانيا . واستحقوا بذلك ذكرهم باسم الهداة الخالدين .

هذه امجادهم الانسانية العاليتة ولولا انها امجاد انسانية عاليتة لما رفع الله اسمهم في محكم آياته .

... انظر انظر هذا خاتم رسل الله سيدنا محمد الذي اخرج الله على يديه خير أمة أخرجت للناس يقول في حقّه " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "

وهذا سيدنا ابراهيم الخليل طلب من رب العالمين أن يجعل ذكره خالدًا على مدى تداول الاجيال.
" واجعل لي لسان صدق في الآخرين " ٢٦ - ٨٤

هذه الامجاد العليا الصارخة هي التي حدثتني أن أرفع مؤلفي هذا اطياف الى صاحب الذكرى المثالية الخالدة الملك المناضل لسهان عبدالعزيز آل سعود .
أرفعها وكلتي اعتراف بفضل ظلال الأمن والمعرفة والحضارة التي استظل بها أنا والمواطنون كافة . أنا لله بأفضل ما أثناب زعيمًا عن أمة رحمة واسعة .

المؤلف
هاشم دفتدار المديني

تَقْدِيم

بقلم الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني المدرس بالجامعة اللبنانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد : فإن مؤلف أطيف هو مؤلف بلابل تغرد، وهذا هو العنوان الذي كان اختاره لمؤلفه أطيف استاذنا الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني . وهو عنوان موفق يتناول بوعي وواقع أعلى جوانب المعرفة ، وبأسلوب عربي ساحر ، وفيه تتمثل شخصية مؤلفه ، وتلمس روحه العربية المؤمنة الصادقة ... والحق أن كتاب « أطيف » فيه سحر جال التوقيع ، الذي يرقق العبارة الأدبية ؛ وفيه عجب سر التكوين الذي يهدي الى حقائق العلم ، وفيه سمو روح فطرة الايمان . ومن أجل ذلك كان هذا العنوان إلّماح الى روح الأدب ، والى حقيقة العلم ، والى مثل الايمان .

وكلمات أطيف هي كلمات سبق أن أذاع مؤلفها جانباً منها على العالمين العربي والاسلامي ، حين كان يحاضر ويدرس ويُدبّع في لبنان ، وحين ثاب إلى بلاده لم ينفك أيضاً عن النشر والإذاعة والتأليف . فهي إذن قديمة جديدة ، ومبنيّة على يقين الواقع ، لأن أصولها مستمدة من القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة ، ومن تاريخ الثقافة الإسلامية . الى جانب إطلاعه الواسع على المعارف الحديثة والآداب ، وما جدّ ويجد مما يُدرس في الجامعات ، أو يذاع في الصحف الراقية ، أو مجلات المعرفة .

واستاذنا الشيخ هاشم دفتر دار المدني هو أديب وعالم فاضل ، ومعروف في الاوساط العلمية . وهو من أبناء المدينة المنورة ، مدينة رسول الله ﷺ ، وقد قضى زهرة شبابه في الجامعة الازهرية ، ووافى لبنان منذ تأسيس كليتها الشرعية الإسلامية ، وعين لأول مرة ناظراً لها ، وهو

يجب العلم للعلم ويريد به وجه الله تعالى ، وله في الدين والأدب ، واللغة العربية والنحو ، والتاريخ والاجتماع ، وسائر العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث ، كتابات كثيرة جداً ، مذاعة في الصحف والمجلات ، وفي محاضراته للطلاب وسواهم ، وفي مؤلفاته التي طبعت ، والتي لا تزال مخطوطة مفرقة في مكتبته الكبيرة في بيروت .

وهو لم يطلب لمؤلفاته عطاء ، ولم يؤلفها لجمع مال ، وإنما للنفع العام ، وكشف حقائق الإيمان والإسلام ، بكل البراهين العلمية اليقينية ..

ولكن كثيراً من الوجهاء المتمولين الذين يحملون لحقائق الإيمان التضحية والبذل ، ويريدون له الانتشار بمثل هذه الأساليب الحديثة ، المنبثقة من صميم العلم والفن والأدب ، يُقدمون المعونات الوفيرة لطبع أمثال هذه المؤلفات وترجمتها ، وتوزيعها على أهل اللغات ، وذلك من فضل الله عليهم ، وعلى المؤلفين ، وعلى الناس أجمعين ، وفضلُ الله واسعٌ وكبير ...

واستأذنا الجليل إذا أخذتَ تَدْرُسُ كلماته تُحسُّ كأنه لم يفارق وطنه أبداً .. وهذه آية في خدمة الوطن ، قلما تجدها في مغترب طال اغترابه .. وهو على العموم لم يقصر نشاطه على بلد بعينه ، بل شمل كل بلاد العرب والإسلام ، بل كل بلاد الله .

ولقد كان الاجتماع الذي أقامه في الكلية الشرعية في بيروت ، يوم وفاة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود غفر الله له ، كما كانت الكلمة التأيينية التي ألقاها ذلك اليوم ، آية في صدق الإخلاص ، البعيد عن الدعاية والاستغلال ، وكان عنوانها «نسر الجزيرة» . أضف الى ذلك مقالاته ومحاضراته المتتابعة العديدة ، التي كانت تنشر في مجلة «المنهل والحج» والتي سميت فيما بعد «التضامن الاسلامي» ، وفي مجلة «رابطة العالم الاسلامي» التي تصدر في مكة المكرمة ، وفي مجلة «قافلة الزيت» .

وله مقالات وكلمات نشرت في صحف لبنان ومجلاتها ، كصحيفة «بيروت» «والبصير» ومجلة «الهلل» التي كان يصدرها توفيق الحكيم رحمه الله في بيروت .

وما رأيت كاتباً جمع بين العلم والأدب والفن ، مع التواضع والبعد عن الغرور والدعوى ، ما رأيت في سيرة استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار .. وهذا كله يعرفه عنه من كتب الله له أن يصحبه من قريب .

بل كان بعيداً جداً عن الرغبة في الألقاب الجوفاء ، فقد ألف الأستاذان الجليلان الشيخ هاشم دفتر دار والشيخ محمد علي الزعبي يوم كانا مدرسين في الكلية وكانا يواصلان الدعوة الى الإسلام قد ألفا أحد عشر كتاباً . وطلب منها بعض أصدقائهما في الجامعة اليسوعية أن يقدموا

بعض مؤلفاتها القيمة لنيل الدكتوراه الفخرية . فما رغب في ذلك استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار لبعده عن أسباب الدعاية لنفسه واقتصر الأمر على الدكتور الشيخ محمد علي الزعبي فأخذها وحده .

وهذا مثل واحد من أمثلة كثيرة يعرفها عنه من كتب الله له أن ينعم « بصحبته » من قريب . ولقد كان كبار الرجال السعوديين وبعض المستشرقين وسواهم ، يزورونه في منزله في بيروت ، ويقدرّون علمه وأدبه ، حتى أنه كان يقوم بتدريس اللغة العربية لبعض المستشرقين ، ويشرف على تحضير رسائل الدكتوراه لبعض الدارسين والدارسات في الجامعات . هذا ولاستاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار مؤلفات عديدة ، منها المطبوع ومنها المخطوط ، فن مؤلفاته المطبوعة :

- ١ — أطبايف وهي غرّدت وتغرد .. وهذا المؤلف هو الذي بين يديك .
- ٢ — اصلاح الإسلام الاقتصادي .
- ٣ — نوايغ الكلم .
- ٤ — معجزات قلب القرآن .
- ٥ — تأويل سورة الفاتحة .
- ٦ — رواية الى غرناطة .
- ٧ — رواية الحرب والسلام .
- ٨ — ذكريات طيبة .
- ٩ — هواتف .
- ١٠ — أما كتاب بلابل تغرد فهو تحت الطبع ..

ومن مؤلفاته المخطوطة رسائل الشعراء ؛ والعلوم الدينية للطلاب بعنوان « زهرات الايمان » ؛ وسوى ذلك . هذا ولا يمكن التعرف الى ما تحمل مؤلفاته القيمة الوفيرة من مبتكر حقائق العلم والفكر ، وفنون الأدب ومثل الإسلام العليا ، بمجرد إمساك الكتاب والنظر فيه من هنا وهنا .

إنَّ مَثَلَ من يَفْعَلُ ذلك ، كَمَثَلِ مَنْ يَنْظُرُ الى البحر من خلال أمواجه المتطايرة على شاطئه ، ثم يريد أن يتحدث عن أعماقه وما تحمله من كنوز .. ان من يفعل ذلك يكون حديثه متطائراً كمتطاير أمواج الشاطئ الهائج يزبد وزبد ؛ ومن الاغراق في الجهل ، أن يتحدث ناقد عن أديب ، أو عن عالم ، دون أن يكون عرف قدر ما يحمل من أدب أو علم ، فرجما يثني عليه ويعتبره عالماً وهو جاهل ، وقد يكون الأمر بالعكس .. ومهما يكن من أمر ، فلا بد من النظر

والدراسة قبلَ التحدث عن مؤلفاته . واستاذنا أبو هشام له مؤلفات مترجمة عن الانجليزية والفرنسية ، ومثله فيها كمثّل استاذه في الأدب مصطفى المنفلوطي ، وكان دائماً حين يذكره يقول عنه استاذي الأول في تحصيل الأدب ، واتساق الأسلوب واتقانه ، الى جانب الجاحظ ، فقد كان لا يترجم المؤلف ترجمة حرفية ، بل يأخذ في تعريبه بأسلوبه الشيق الممتاز .

أجل ، فعل هذا في كتاب «تستطيع أن لا تمرض» للطبيب اللبناني خالد عطوي نصيف ، وفي «سيرة النبي عليه الصلاة والسلام» لمؤلفها «جان بروا» الفرنسي ، فقد ترجمها ترجمة حرفية الاستاذ محمد البنداق ، وعربها استاذنا بأسلوبه الشيق النضر ، ولقد أسماها المؤلف «محمد نابليون السماء» ؛

واستاذنا الشيخ هاشم أحب أن يجعل اسمها «محمد هبة السماء» .

ومن أطلع على السيرة المذكورة ، يلمس خصائص أسلوب استاذنا الشيخ هاشم الجيد الجذاب في كل ما يكتب ، الأسلوب الذي إقتبسه الكثيرون ممن لهم عمق في الأدب العربي ، وذوق سليم حساس في الكتابة . من تلامذته وقرائه .

وانك تحس لأسلوبه في كلماته ومؤلفاته ومحاضراته لمحات ساحرة ، وكنت أصحبه في بعض محاضراته وكان أكثر ما يلقيها على طلبة الصفوف الثانوية «البكالوريا» في كلية المقاصد الإسلامية بطلب من صديقه الاستاذ عبد الله المشنوق ، وفي المدارس الرسمية بطلب من رئيس الوزارة المحامي عبد الله اليافي ، وكان يقوم بتدريس أولاده في قصره أمام السبق في حرج بيروت .

وكان أبو عمر الداعوق رئيس جماعة عباد الرحمن في بيروت يحبه ويدعوه دائماً لإلقاء المحاضرات في ناديه الكائن في محلة البسطة فوقاً في مدينة بيروت . وكان له حديثُ الأحد في جامع عَيْنِ المريسة في بيروت يجتمع فيه فريق من طلاب الجامعة الاميركية — وهو قريب منها — فيلقي عليهم حديثاً عن الإسلام وعن تعاليمه ، وكان يجيب عن مشكلاتهم وشبهاتهم ، وله سوى ذلك كثير .

ولقد كان فضيلة استاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار صديقاً وفاقاً لوالدي الشيخ راغب القباني رحمه الله ، وغفر الله له ؛ والذي أعرفه من صحبته لوالدي ، وصلته به الصلة العميقة ، حيث كان يرافقه في أسفاره ، وكان طالباً معه في الازهر الشريف في القاهرة ، وهو الذي أقام الصلة بين فضيلة الشيخ هاشم والسيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» ، ان استاذنا الجليل الشيخ هاشم دفتر دار مستمسك بالكتاب والسنة في كل أقواله وأعماله ، وتصرفاته ، ولقد قام بالتدريس في الكلية الشرعية الإسلامية في بيروت وأزهر لبنان ما يقارب الأربعين عاماً ،

وتلامذته الذين تخرجوا على يديه يعدون بالمئات ، وكان يحثهم دوماً على التمسك بالكتاب والسنة .

وقد كان استاذنا الشيخ هاشم بعيداً كل البعد عن طلب الجاه ومفاخرة الأقران ، لأنه كان صادق الإيمان ، ومن أجل ذلك ما سمعته يوماً يدعي العلم وهو متواضع جداً ، وقريب من القلوب ، وشهرته تزداد يوماً فيوماً ، لأنها ثمرة سهر ونصب ، وجهود مضنية ، وصبر واحتفال ، وهو على كل حال بعيد كل البعد عن الادعاء والزهو ، وهو نظيف الفؤاد ، ولا يعرف الحقد على أحد ، بل كنا نراه يحترم الخاقدين عليه ، سواء علمهم أو لم يعلمهم ، وبثني عليهم ، ويحتمل شرورهم وصغارهم ، ويقول عنهم إن لهم عليه أباد ، فلولاهم لداخله غرور الشيطان ... وهو لا يعرف الرياء ، وربما يحسبه من يسمعه يتكلم أو يتعامل مع الناس أنه يرأى ، لأنه لم يعاشره ولم يخالطه ، أسألوا عن استاذنا الشيخ هاشم دفتر دار من خالطه عن قرب وعرفه وعرف عفافه وكرمه ووفاءه وحبه لمعارفه الحب الصادق الوفي ، وبالحرى للصالحين الصادقين ، أنه يضحي . وكم رأيت في مجلس علم ومناقشة صامتاً ، وهو عالم بما يخوضون فيه من علم ومناقشة ، لأنه يمتك الظهور الفارغ والادعاء بالعلم بحق وبغير حق .

وأخيراً لا آخراً فإن لبنان يحفظ لأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ هاشم دفتر دار عمل خير قام به في بيروت وسائر مناطقه ، فقد كان فيه علماً من أعلام الدين والتقوى ، وقدم بجهاده العلمي والاجتماعي صورة ناصعة عن الاسلام وعظمته ، بأخلاقه ومعاملاته قبل أقواله ، فله منة تحية الوفاء والاجلال وأحسن ما وصف به من الشعر ما قاله عنه العلامة الأديب ابن خالته الشيخ عمر بري ،

أبو هشام كأن الله صوره من شكر الخير أو من نخبه البشر
له سجايا يكاد الدهر يعشقها والحسن يرمقها بالقلب والبصر
فما أقول وقولي فيه مختصر والنور نور برغم الشمس والقمر

وإني حين أتحدث عن سجايا استاذنا الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني في كلمتي عن مؤلفه أطياف تغرد فإني في الواقع تحدثت عن كل فصوله . لأن ما يجري به قلمه هو ما يحول في نفسه . وكل ما يحول في نفسه كسب للدعوة الإسلامية لدى المفكرين الملحدين الأوروبيين

وسواهم . هذه حقيقة يعرفها من أطلع على مؤلفاته بعمق ، أطال الله عمره ، وحفظ عليه
صحته وعافيته ، حتى يتابع رسالته في خدمة الإسلام وأهله ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين
خير الجزاء والله ولي التوفيق .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

بيروت في ١٧ صفر الخير ١٤٠١ من هجرة المصطفى ﷺ
و ١٤ كانون الأول سنة ١٩٨١ .

محمد رشيد راغب قباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةٌ تَقْدِيرُ وَبَيَان

«وناھیک بالأطیاف معسولة الرؤی»

بقلم الشيخ عمر القیمري

الحمد لله الذي أمدنا بالأطاف الخفية ، وأنار قلوبنا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وجعل لنا من العلماء الصالحين مصابيح هداية وإرشاد تحفنا بالأفكار الجليلة والبراهين القطعية الدالة على وجود الله صاحب القدرة والجبروت ، سبحانه من إله مبدع سبحت الأفكار في بحر علمه ، وتجلت الأطياف في بدائع قدرته ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين من بعثه الله رحمة للعالمين ، عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فقط طلع علينا هذا السفر النفيس [أطياف] يتجلى في طبعته الثانية واحتل مكانه الرفيع في المكتبات العلمية ؛ مائدة علم يحد فيها من يسرّح الطرف ما يشتهي من معاني سامية وأفكار نيرة وعظّات بالغة . كيف لا وهو من وضع عالم جليل من علماء المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم وواعظ أنار الله قلبه بنور الإيمان ففاض برضوان الله في دنياه قبل آخرته ، فلهذا الأخ الكريم والمربيّ الجليل نتوجه إلى الله بأحرّ الدعاء ليمدّ في عمره ليزيد في إنتاجه فهو أكرم مسؤول والحمد لله رب العالمين .

تَعَجَّ بِسَيِّ الْأَفْكَارِ تَهْدِيفُ لِلْخَيْرِ فَتَدْفَعُ عَنِّي الشَّرَّ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
وَأَنْعَمُ [بِالأَطْيَافِ] كَالطَّيْرِ حَوَمَتْ فَأَبْصُرُ نَوْرَ الْحَقِّ يَلْمَعُ فِي سِرِّي

وتلك وأيم الحق نَفَحَاتُ واعظٍ
أُسْرَحَ فيها الطرف حتى كأنني
أقولُ لنفسي هل سُحِرْتَ بطوائفٍ
وتلك مفاهيمُ ترافقُ قارئاً
وذلك إحساسي بكلِّ مؤلِّفٍ
فـ [يس^(١)] [قلبُ] [النُّور] ألْهَبَ خاطري
وناهيك [بالأطياف] مَعْسُولَةُ الرُّؤى
وإني لأدعو الله جَلَّ جلاله
ليرعى لنا بحر المعارف [هاشماً]

جَلِيلَةٌ في الأهداف عالية القَدْرُ
أراقب بـدرا ؛ استنير من البَدْرُ
وما بي سوى الإبداع شيءٌ من السَّحَرِ
رَنَى روضة زهراء طَيِّبَةً النَّشْرِ
يطالِعُنَا من [هاشم] ثاقب الدر
وقوى يقيني ؛ أشعل النُّورَ في صدري
نَدِيَّةٌ تجلَو الفكر في الصبح والفجر
وأسأله الإقبال في السرِّ والجهر
ومع قَدْرِهِ نرجو الزيادة في العُمُرِ
عمر القيَمري

(١) إشارة إلى كتاب (يس قلب القرآن) ذلك السفر النفيس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ بقلم المؤلف

آلهي أحمدُكَ على ما أُؤَلِّيتَ مِن نِعَمٍ لَا تُحْصَى . وأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ على أَكْبَرِ نِعَمِكَ مُحَمَّدٍ المرسلِ رحمةً للعالمين . والمنقذِ للناسِ من عبادةِ مخلوقاتِكَ الى عبادَتِكَ أَنْتَ وحدكَ ...

لا الهَ إِلاَّ أَنْتَ الرحمنُ الرحيمُ والهادي عبادَكَ بدلائلِ آياتِكَ الى صِرَاطِكَ المستقيم . وبعد فقد كانَ لَدَيَّ في منزلي نجدة المهندس الكبير الاستاذ سليم بن ابراهيم كريدية يوم الجمعة ١٠ محرم عام ١٤٠٢ هـ الموافق ٦ تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٨١ م وكان جرى الحديثُ حولَ مؤلفاتي التي نفدتُ من الأسواق . ولم يبقَ مِن نُسْخٍ يُمْكِنُ أَنْ تُقدَمَ لِمَنْ يَطلبُها .

وكان مِن جملةِ مؤلفاتي التي نَفَدَتْ كتابُ أَطْيَافٍ مِن إعجازِ القرآن والاجتماع والأدب ... «وكان سيادتهُ معجباً بما جاءَ فيه من كلماتٍ عَديدةٍ وبالخري ما جاءَ فيه حولَ اعجاز القرآن المجيد» .. وعن القديم والحديثِ وعن مُعْجَزَةِ العَصْمَةِ والحياةِ عَرَبِيَّةٍ وكان هذا الكتابُ أَلْقَى مُحَاضَرَاتٍ في بعضِ الأندية والكلياتِ في لُبْنانِ ونُشِرَ في الصُحُفِ وبعضُهُ أَلْقِيَ في الإذاعةِ وكان ذلكَ في عام ١٣٦٥ هـ الى عام ١٣٧٥ هـ أي الى العامِ الذي جمعه صاحِبُ مطبعةِ الانصافِ السيد أسعد أبو شالة وطبعه لأول مرة .

وكان جمعه وطبعه في كتابٍ عملاً كريماً مباركاً . والآن وقد فَكَّرَ سيادةُ المهندس سليم كريدية أَنْ يُعيدَ طبعه للقراءِ فلهُ مِني جميلُ الشُكْرِ . ومن القراءِ الَّذِينَ يَلِدُ لَهُمُ أُسْلُوبِي في

الكتابة وطريقة تفكيري على علائها . لأن التقصير والعجز سمة من سمات الانسان الضعيف ، ولا قوة ولا كمال ولا توفيق لأحد في عمل ما إلا بالله العليّ القدير .

والكتاب سمة الخلود فإن الأمم تنفذ وقد ينتهي بعض أدوارها . ولكن الكتاب الذي يحمل طابع دور من أدوار حياتها يظل خالداً حاملاً طابع ذلك الدور هاتفاً على رأس صومعة باسم من الله أو باسم من خطه وكان ذلك قديماً . أو بمن طبعه وأخرجه للناس . وهذا العمل الماجد النافع للناس حديثاً ... وكم هم الاثرياء المؤمنون الذين يقومون بمثل هذا العمل الماجد .

ومها يكن فالكتاب هو طريق الخلود وإخراجه للناس خلوداً حتماً . لأنه يحمل اسم مؤلفه ومخرجه للناس وسيظل الصاحب الوفي غير الملول وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي في قوله :

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكَتَبِ الصُّحَابَا	لَمْ أَجِدْ لِي وَافِياً إِلَّا الْكِتَابَا
صَاحِبُ إِنْ عَيْتَهُ أَوْ لَمْ تَعِبْ	لَيْسَ بِالْوَاجِدِ لِلصَّاحِبِ عَابَا
كَلِمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي	وَكَسَانِي مِنْ حُلَى الْفَضْلِ ثِيَابَا
صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً	وَوَدَّادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا
رُبُّ لَيْلٍ لَمْ تُقْصِرْ فِيهِ عَنْ	سَمَرٍ طَالَ عَلَى الصَّمْتِ وَطَابَا
كَأَنَّ مِنْ هَمٍّ نَهَارِي رَاحَتِي	وَنَدَامَايَ وَنَقْلِي وَالشَّرَابَا
إِنْ يَحْدِثُنِي يَتَحَدَّثُ أَوْ يَجِدُ	مَدَلًّا يَطْوِي الْأَحَادِيثَ اقْتِضَابَا

والآن أقدم للقراء مؤلفي هذا في طبعته الثانية التي عني بطبعها الاستاذ الأديب سليم كريدية يا رعاها الله .

وقد تعمّدت أن أبقى القسم السابق على ما هو عليه . دون زيادة أو نقصان ليظل علامة على تطور التفكير وتسلسله في نسق واحد من الهدى والخير .

وثنيت بالقسم اللاحق لأن الحق والنور والصدق يظل أبداً هو الحق والنور والصدق . ولما كان هذا القسم اللاحق هو من معين القسم السابق ناسب وضعها في مؤلف واحد ... !! ومن كان لديه المؤلف المشتمل على القسم السابق يُمكنه أن يلمس هذه الحقيقة

بالخمس . وعلى كل حال فالقارئ المفكر الواعي لا يُهمُّه في قليل أو كثير . ما كُتِبَ منذ ألفِ
قرنٍ أو كُتِبَ حديثاً . فالعبرة لديه بالفائدة التي يحملها الكتاب لغةً وأسلوباً وعِلْماً وفناً وحكمةً
وتوجيهاً صحيحاً قيماً ...

هذا هو المعتبر لدى المطالع العالم المفكر الذي لا تحذعه العناوين والألقاب المزيفة أجل
هذا هو المطلوب حتى من أحدث ما يُؤلف في هذا العصر أو في ما يُؤلف بعد هذا العصر بألف
قرن ...

فالجديد في التأليف هو النَّفع والحكمة والعلم والأدب والفنُّ والأسلوب وما عداه كلامٌ في
كلام .. نسمعه من أضعف الناس ولو بعد ألف قرن آتية .
أجل العبرة المعتبرة هي في الاحسان والإجادة والبراعة والتوفيق والأطرح الكتاب الناظر
فيه ورأاه ظهيرياً .

والاعراض عن الكتاب نتيجة حتمية إذا فقد القيم العلمية والأدبية المتفوقة ولو أمتدحه
الفُ عالم وعالم ..

لذلك أنا أقدمه للمطالعين وكلِّي ثقةً بأنصافهم وحُكمهم وأخذهم وردهم وأعني
بالمطالعين العلماء الأمناء الذين يُحبون القرآن واللغة العربية والحكمة والأدب والأسلوب العالي
الممتاز .

أما الذين ينتسبون الى الإسلام ثقافةً وتجارةً وكذباً وهم يهدمونهم بأرائهم الفاسدة
المُحطَّمة والحادهم الهايف فهؤلاء أنا بريء منهم وهم براء مني .
وإني باسم الله وبفضله وأحسانه سأظل أجاهد بالقلم في كشف حقيقة وحيه للعميان
الكبار .

أجل بسم الله الذي بيده اتمام المطالب ، والبركة في الزمن بسم الله الذي يمنح عبده القوة
والصحة والتوفيق . سأظل أجاهد بالقلم .

بسم الله المنعم المتفضل على عباده بمزيد العطايا ، ووافر الآلاء سأظل أجاهد بالقلم .
والحمد لله على ما أعطى وسدد ووفق وحفظ ورزق وبارك .

والحمد لله على سلامتنا من أذى الأعداء الظالمين المفترين على ما يتكرم الله به على من
شاء من عباده .. إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور .

والحمد لله على نعمة الإيمان التي لا تعدلُها نعمة ، في الأرض ، ولا في السماوات .
والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين الرؤوف بالعباد الرحيم لهم الداعي الأول
والناهض بهم الى حظائر الإيمان بالله الخالق العظيم وحده ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله
الصّادق الأمين ، المقوم عوج القساة العتاة المخطئين الملحدّين ، الداعي لهم بالإصلاح
والغفران من رب العالمين .

وعلى الآل والاصحاب أجمعين»

وكان تحرير هذه المقدمة ١ ربيع الأول

عام ١٤٠٢ هـ

الموافق ٢٧ كانون الأول ديسمبر

المؤلف

مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

أطِّيف

هي مجموعة من الكلم ، اعلنت في الاذاعة والنوادي والصحف . لمناسبات شتى ، رأت دار الانصاف من المصلحة العامة ، ان تجمع في سفر . وتنشر في المكاتب ، ليكون تناولها قريباً ، وسهلاً ، للنشء الذين ينشدون الإصلاح والهدى والخير والخلق الكريم .

أطِّيف

هي باقية من توجيهات السماء ، كانت معانيها تشرق في نفسي حتى تملأها . وكنت اتعهدا بالرعاية والحفظ ، تعهد الراعي الصالح لرعيته ، وكل ما اهدف اليه من وراء اذاعتها ان يغمر هذا الانسان فيض من نور السماء اذ محال أن يزيع عن مبوله ، طغيان ظلمات المادة إلا به .
أجل هي اضواء من أنجم لها مطالعها في نفسي ، أمدتها اشعاع غامر من آيات القرآن المجيد ، ليكون اشراقها مأخوذاً من ينبوع اصلاح اوائل هذه الأمة ، التي لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها .

أطِّيف

هي أمنيات حسان لتحقيق مثل الانسانية العليا ، التي أوحاها الخالق العظيم ، للسر بالانسانية الى الكمال الداخل في حدود الامكان العملي ، جاءت الي بها أمانة المعرفة التي عهدتني بمجتهداً لأذاعتها اجتهداً لا هوادة فيه ، اجتهداً أبسر ما يكلفني السهد والضنى والنصب .

هذه هي «اطياف» التي ترفعها دار الانصاف اليوم ، الى الشبان المؤمنين الذين نصبوا منارة القرآن فوق كل شرف ، وتألّبوها حولها فيالقي فيالقي ، يناضلون وينافسون ويبحثون ويدعون ، لينقذوا التائهين من السقوط في مهالك أسداف المادة .

وما أسفت لاعراض جماعة ليسوا مني ، ولست منهم ، بعد أن توثقت المودات ، وتوحدت الاماني ، وتشابهت الأعمال بيني وبين الذين أحب .

أما اقبال الجميع فأمر لم يكتبه الله لأحد . بل لم يكتبه حتى لخاتم الكتب السماوية «القرآن المجيد» معجزة المعجزات الصارخة المتحدية الملموسة ، ما دام في الأرض علم وعلماء .

همسة في اذن

حين القيت كلمتي «معجزة العصمة الدفاعية في القرآن ، في قاعة خلية الملك سعود ثم أذعتها على الناس من محطة الاذاعة اللبنانية ، الكلمة التي نشرتها «مجلة الحج» التي تصدرها ادارة الحج العامة في المملكة العربية السعودية .

كتب ناقد يقول : «أراك اكثرت من اعلان كلمتك .. واخالك تريد أن يستظهرها الناس ..» .

ولو علم ناقدي أن الذين يقرأون ويسمعون ما يذاع في اللغة العربية ، ليسوا هم العرب وحدهم ، ولا المسلمين وحدهم ، بل من ورائهم المستشرقون والاختصاصيون لدراسة الثقافة العربية في الجامعات ، وفي الصحف العالمية الكبرى ، وفي الدوائر السياسية الدولية . لو علم ذلك لما استكثر على محاضرة تليت على نقر أن تذاع فتشتر في مجلة حفظاً لها من الضياع .
وكم هم الكاتبون الذين يحاضرون فيذيعون فينشرون في الصحف ، واخيراً يجمعون ما نشروا في مؤلف خاص .

وهذا الذي كان مني ، فعلى أدراجهم مشيت ، ومهما يكن من شيء ، فاني أعتقد أنها ستقرأ في كل مرة لأول مرة ، لأن المطالعين الذين يعودون الى ما فرغوا مما طالعوا ثانياً وثالثاً ، هم قلة ، وبالبحري في عصر يمر بالناس خطفاً ووثباً ، كأنه خفق البرق ، عصه وسمي بعصر السرعة .

غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ

بقلم
هاشم دفتر دار المدني

« الجديـد الجديـد ... !!! »

كلمة يكثر ترديدها بأكبار وأعجاب بعض السطحيين . وهم يعتقدون ان الناس ، لا يؤمنون بهم أنهم مجددون الا اذا أكثروا ترديدها وغالوا . فتراهم يستحسنون كل جديد ، وإن كان اخراج فريق من أمتهم ، من وطنهم « فلسطين » ، واعطاءه لقوم آخرين ، ويستقبلون كل قديم ، وإن كان نزول القرآن المجيد .

وهذا الاعتقاد الفاسد ، هو الذي جعلهم يطلقون على مثل القرآن التقديمية العليا قديمة ، ويتنادون بالتنكر لها والانصراف عنها .

مساكين ما كل جديد بحسن ، ولا كل قديم بسيء .

كم قـديم كـرقعة النـجم حر لم يقلل له الجديـدان شأنا
وجديـد عليـه يـختلف الدهـر ويفني الزمان قرنأً فقرنأً
فاحتفظ بالذخيرتين جميعاً عادة الفطن بالذخائر يعني
وبل لهم ، إن الامة التي تعرض عن آيات الله ، بحجة أنها قديمة هي الامة التي حكمت على نفسها بالاعدام .

وأصدق مثل ينطبق عليهم ما يقصونه عن باقل^(١) ، أنه تنكر مرة للشمس قائلاً :

الى متى نـظـل اسـرى لـهـذا الكـوكـب الـذي أكل الدهـر عليـه وشـرب ، الى متى ؟ الى متى ؟ !
وأخذ يندد به ويحافيه وينكر الذين يستجدونه ، وأجتهـد أن لا يبصر أو يمس شعاعة منه ، ومن جـراء ذلك اعتصم بالمغاور والغابات السوداء ، وكان اذا التقى بالناس وسخروا منه ، وغالوا في السخرية ، يصرخ غاضباً : « يا مهاويس قديم قديم » .

وفي النهاية هلك باقل محطم الاعصاب ، جامد الاطراف متزوف الدماء ، كأنه تمثال متداع في ظلمات مقبرة مهجورة .

يا هؤلاء : أما تكون نهاية الأمة التي تعرض عن الاخذ بآيات الله بحجة انها قديمة ، كنهاية باقل ، تصوروها اعرضت عن قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .
أي لم تبال أن تفرق الى دول وأحزاب ونحل وبدع . أي لم تجاهد لتكوّن قوة واحدة .
وتصوروها اعرضت عن قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » .

١ — باقل رمز الغباوة والسطحية والفهم المعكوس في الأدب العربي .

أي ما اهتمت أن تجند الجنود بأحدث العدد الطائرة لتدود عنها الأعداء ساعة المباغثة .
وتصورها أعرضت عن قوله تعالى : «... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ...» .

أي كم تفكر أن تتخذ من مدرعات الحديد واقية لها ومضخات تسقي بها زرعها وضرعها
من بأسه جنة واقية في الهواء ، او درعاً حاجزة في الماء ، لتصون حياتها من إبادة المعتدين ، كما
لم تفكر أن تنتفع به حتى في صنع مكنة تحيط بها ثوبها ، أو مضخة تسقي بها زرعها وضرعها .
وتصوروها أعرضت عن قوله تعالى : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها ، وإذا
حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل ...» .

أي لم تبال أن تحون أمانة السماء التي أوحاها الله لإسعادها وجمع كلمتها بل الحدث
وكان عاقبة أمرها خسرى .

وتصوروها أعرضت عن قوله : «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» أي
ما أكثرث أن تفتح الجامعات وتشيد المعاهد والمصانع والمستشفيات ..» .

وتصوروها أعرضت عن قوله تعالى : «... وأمرهم شورى بينهم ..»
أي لم تبال أن تؤسس مجالس للشورى وإجتماعات علنية وسرية من أجل رد مؤامرات
الاعداء . وأمان مستقبلها .

والخلاصة : تصوروها أعرضت عن كل الايات التي انزلها الله للسمو بالانسانية الى
معناها ، ولا اقرار الكرامة والعزة والعدالة والمساواة بينها ، ولفرض التواصي بالرحمة ، وتنظيم
الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، على ارفع المثل ، واسمى المبادئ أما يكون مصير
الامة الحتم بعد كل هذا الاعراض ، الذلة والهوان ، ثم الفرقة والشقاق ، ثم الانقراض والزوال
النهائي .

يا ملحدون ليس ما تفهمونه هو الجديد لا لا . بل الجديد في الواقع هو الذي يعطي الحياة
والحرارة والتقدم بصورة دائمة ، فالشمس جديدة ، وان مر على وجودها ملايين القرون ، لانها
في كل يوم تعطينا الحرارة والنور ، وآيات القرآن المجيد واحاديث رسول الله ﷺ الموثوقة
جديدة ، لانها ابدأ تقدم للناس حيوات السمو بال عمران والصناعات والعلوم والمعارف وكل
مقومات الحضارة التقدمية الراقية .

وأخيراً أجد من الواجب ، أن يفهم هؤلاء الملاحدة السطحيون أن اليوم الذي يمكن أن
يأتي ، وتكون فيه آيات القرآن المجيد قديمة — أي غير صالحة للسمو بالحياة والاحياء — هو بلا

رب اليوم الاخير للحياة والاحياء . لأن قوى الحياة الذائخة المتجددة في آيات الله عز وجل ، لا تنفذ وان نفذت العوالم جميعاً ، ومن فيهن جميعاً .

ويل لهم ، أما يفهم هؤلاء السطحيون الاغبياء ، ان معنى عدم صلاحية آيات الله لاسعاد الحياة الانسانية ، وتقدمها واجتماعها وقوتها وعزتها وكرامتها ، نذير أكيد بأن الانسان يكون قد فسدت حواسه وعواطفه وانخلت مدركاته وتصوراتهِ ، وتفككت عرى إرادته ، وطغت عليه احتياجات غرائزه ، حتى بات كأنه القارب المثلوم في يد التيار العاصف المجنون الذي يحلوه أن يركب زورقاً شراعياً في بحر لُجِّي عاصف . أو الطفل الذي يلعب الكرة على شفا جرف هار ... ونهاية القول : إن المسلمين المثقفين يفهمون معنى التجديد أعمق مما يفهمه الملاحدة وأصدق وأدق . لأنهم هم الذين حقق الله بهم واقع قوله تعالى : « يسأله مَنْ في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن » ٥٥ - ٥ .

وما دام علمُ الله الأزلي لا يتناهي ، ففي يوم وفي كل عالم يظهرُ منه للمخلوقات العاقلة ما لم يكن ظهر لهم من قبل أنعمَ نظرك في معجزاتِ قوله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الانسان ما لم يعلم » ٩٦ - ٥ .

فهل تظن بعد صريح إعجاز الآيات ، أن تطورات التجديد تقف في عالم من العوالم عند حد ، فما بالك بعالم الانسان الذي هو عالم مُجددٌ بمحدد بفطرته ... ومن ذلك تجد أئمة الإسلام الأعلام أبداً مُجددين ، وفي رأس كل قرن يرسل الله في هذا العالم الإسلامي من يحدد لها أمور دينها الحمد لله على نعمة تجديد الإسلام وكفانا الله شر تجديد الالحاد .

مُعْجَزَةُ الْعَصْمَةِ الدَّفَاعِيَّةِ

محاضرة القيت على طلبة الصف المنتهى في جمعية المقاصد الخيرية

العصمة لغة الحفظ والمنع والوقاية ، والمقصود هنا الحفظ الدفاعي المؤكد من الله عز وجل ، لسيدنا محمد ﷺ .

وينبغي أن نذكر قبل المضي في البحث ان هناك عصمة أخرى معروفة ، هي العصمة المثالية : وهي كمال في الخلق ، والخلق ، ينزه الله صاحبها عن كل ما يشين ، مهما يكن طفيفاً وهذه العصمة المثالية تشمل الرسل والانبياء كافة ، في كل ادوار حياتهم .

واما العصمة الدفاعية التي هي موضوعنا ، فانها حفظ من الله عز وجل يصفه على المعصوم حتى يكون في مأمن من بطش المعارضين المتألبين ، حفظ لن يستطيعوا معه ان يصرفوا المعصوم عن تبليغ الدعوة ، أو يحولوا ما بينه وبينها ، وان كثروا ، وإن توفرت لديهم كل وسائل البطش . هذه هي العصمة الدفاعية التي أعلنها الله في القرآن المجيد طمأنينة لقلب سيدنا محمد ﷺ وتثبيتاً .

ولا ريب ان المقصود من اعلانها في القرآن مراراً مع وفرة الاعداء المتآمرين على اغتياله ﷺ سرا ، والمتجمهرين لقتله علانية ، هو التحدي الصارخ الذي ليس وراءه تحدي وقد نقلوا عن أحد الكتبة الفرنسيين قوله : « ان اعجوبة القرآن ، هو تحديه الثائر ضد المشركين الفتاك في إعلان ، عصمة حياة محمد ، على الرغم من عنف سخطهم وتألبهم للفتك به خفية وجهرة » . والآن يحذر بي ان اقدم بعض آيات التحدي ، التي أعلن الله فيها ان رسوله محمداً معصوم ، رغم مؤامرات الكافرين السلبية^(١) والايحائية المتتابعة ، واعلن أن قيام الإسلام وانتصاره أمر مفروغ منه ازلاً .

(١) : نجد في الآية الآتية أن الخالق العظيم يأمر رسوله ﷺ — أن يجر بالدعوة بقوة وحزم — بعد أن كانت سراً — وأن لا يبالي بمعارضة المشركين المستهزئين : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » .

١ — كفرض الحصار عليه وعلى اتباعه ثلاث سنوات في الشعب .

ولما كانت الدعوة الإسلامية تشتمل على كل المثل التقدمية العليا ، فاعلاناها في أي مجتمع يلقي مقاومة عنيفة من الرجعيين المتأخرين ، فما بالك بمجتمع جريء مقدام موجهة كل عزائم الى الذود عن تقاليد الوثنية الهدامة ، كالمجتمع العربي في العصر الجاهلي .

من أجل ذلك طمأن الله قلب رسوله الكريم بأنه في كفاية من العصمة ، وأن المشركين المستهزئين لن يستطيعوا أن ينالوا منه أي منال يمنع تحقيق دعوة الإسلام ولأجل بيان أن هذه العصمة من ارادة الله التي لن تتخلف ابداً عبر عنها بلفظ الماضي الدال على حصول الشيء بكل ابرام وتأكد : «إنا كفيناك المستهزئين» ولهذا السمو البياني نظائره في القرآن المجيد ، ولننظر قوله تعالى في تأكيد مجيء يوم القيامة .. «أتى أمر الله» اما تفهم ان المقصود انه يأتي اتياناً مبرماً غير قابل للنقض ابداً ..

(٢) : ونجد هذه العصمة صريحة كل الصراحة في قوله تعالى :

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي القوم الكافرين» .

وقد ذكر الحضيبي في الخصائص أن ابن عباس رضي الله عنها قال كان رسول الله ﷺ اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له «يا عم إن الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعته معي ولأجل إجازة الحراسة لأولي الأمر سمح رسول الله لسعد ابن أبي وقاص أن يحرسه ليلة في المدينة المنورة .

(٣) : ونجد في الآية الآتية اجالا لمؤامرة من المؤامرات الماكرة الفاشلة التي كان يعقدها الكافرون ويتداولون فيها الرأي وكيف كان يقترح بعضهم اثنائه أي حبسه وبعضهم قتله ، وبعضهم ابعاده عن الوطن : «وإذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ، ويمكر الله . والله خير الماكرين» .

(٤) : ونجد الآية الآتية ، انذرت قريش واشياعها بالفشل في مقاومتهم دعوة الاسلام وافهمتهم ان كل ما ينفقونه من أموال من أجل ذلك ستعود عليهم بالحسرة والغلبة .
«ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة ثم يغلبون» .

أجل هذا وعد الله لرسوله ، وهو يقاسي الامرين من حروب الكافرين ومؤامراتهم . ووعد الله حق ، وما تخلف ولن يتخلف ابداً .

وكما اكد الله ان عصمة رسوله ﷺ من شر مكاييد الكافرين محتومة منه ، أكد ايضا ان انتصاره عليهم ، وانتشار دينه محتوم . بل واكد في انذار مرعب ان زعماء الكافرين المعاندين

سيحقيق بهم الهلاك ، ويؤول أمرهم الى خسران ولكي يستيقظ اولئك الزعماء المعتدون الى هول الوعيد الذي وجهه الله اليهم عرض عليهم نهايتهم في مثل واضح من عبر التاريخ الذي يقص هلاك أمثالهم من الكافرين المعاندين لرسول الله من قبل .

ومن أجل ذلك حين أنفذ الله وعيده فيهم في غزوة بدر الكبرى وقد قتلوا جميعاً وقذفوا في القلب ، وقف رسول الله ﷺ على شفة القلب وناداهم باسمائهم واسماء آبائهم واحداً واحداً .. »

ثم قال لهم .. « إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً .. »
« واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ، اذ جاءها المرسلون ، إذا أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون » .. وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء ، وما كنا منزلين . إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » .

(٥) : واذا تتبعنا نهاية المنافقين الذين كان اليهود يسخرونهم لتنفيذ مؤامراتهم ضد رسول الله ﷺ — وضد أمتهم . لصغر احلامهم ، وتفاهة نفوسهم نجدها وفق ما قص الله عنهم في القرآن المجيد ، ولتتل كشاهد هذه الآيات الكريمة التي جاءت في سورة الاحزاب : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ، ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقيلاً ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » .

وهكذا نجد الكافرين الذين رفضوا ، ان يفهموا المثل التقديمية العليا التي أوحاها الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ ونصبوا أنفسهم لها اعداء ، وعرفوا أكثر من سواهم بشدة اذاهم ، وتآمرهم ومقاتلتهم — اصنافاً ثلاثة :

١ — قريش ومن انحاز اليهم من مشركي العرب .

٢ — المنافقين في المدينة .

٣ — اليهود الذين كانوا يقطنون المدينة وخيبر .

ولا ريب ان المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ، ويضمرون الكفر . الانجدهم — حين اذاع بن قنثة ، في غزوة أحد ، أنه قتل رسول الله ﷺ سارعوا في تصديقه ، واظهروا كفرهم ، ولولا أنهم سارعوا في تصديقه ، ورددوا كلمة القتل ، التي يهدفون من ورائها الى الانقلاب على الإسلام ، لما ذكر الله في الآية القتل المستحيل على رسول الله ، بمقتضى العصمة ، مقابل الموت . أجل ذكره الله ليدل على ما في نفوسهم ، وليعلم المؤمنون : —

- ١ — ان المنافقين صدقوا ما اذاعه ابن قبيثة ، وصمموا الانقلاب على الإسلام .
- ٢ — إنهم على استعداد لإظهار ما أخفوا من الكفر كلما تأنت له الظروف .
- ٣ — ان رسول الله هو صاحب رسالة ، مؤديها ومنتقل الى ربه ، شأن الرسل من قبل ، وأن الابقاء على الرسالة يقوم على اكتاف المؤمنين الصادقين ، وتضحياتهم في سبيلها .
- ٤ — أن الشكر الحقيقي هو هذا ، وأن جزاءه كبير لأنه من الله عز وجل .
- « وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين »^(١) .
- وكم من اعجاز بياني في التعبير بأن التي تفيد الشك في مساواة القتل بالموت بالنسبة لحياة رسول الله المعصوم ، رغم طمأنينة المنافقين اليه ، وترديدهم له . ولولم يكن القتل في حقه ﷺ مستحيلاً لجاء التعبير باذا التي تفيد اليقين في المساواة بدلا من إن ...
- وغاية ما يمكن أن نستطرد اليه هنا كنهاية للبحث ، أن نذكر جملة من آيات القرآن المجيد ، التي فيها بيان ما يؤول اليه أمر اولئك الكافرين ، من فشل وخسران وشتات وهلاك ، وبيان انتصار الاسلام ، وانه — لا بد — آخذ طريقه الحي بين الاحياء ، وأن القرآن المجيد محفوظ من التغيير والتبديل إلى يوم القيامة .
- « وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم » .
- « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .
- « وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ، ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير »^(٢) .
- « كتب الله لاغلبن انا ورسلي إن الله قوي عزيز »
- « قل للذين كفروا ستغلبون »
- « فأصابهم سيئات ما عملوا ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون »^(٣) : « يريدون ليطفثوا نور الله بافواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون »^(٤) .

(١) آل عمران ٤٤١ .

(٢) فاطر ٢٦ .

(٣) النحل ٣٤ .

(٤) الصف ٨ ومن شاء التوسع فلينظر هود ١٢٠ النمل ٣٦ يوسف ١١٠ الانعام ١٠ و ١١ و ٣٤ الحج ٤٢ الى ٢٤ الزخرف ٢٣ الى ٢٥ ابراهيم .

وعرض كل النصوص الواردة في القرآن المجيد حول العصمة ليس سهلاً ، لأنها كثيرة جداً ، تستفرغ سफراً كاملاً . ولكن الذي أرى من الواجب استعراضه وعرضه ، هو ذكر جانب من المؤامرات والمكايد والحروب ، التي ابطل الله مفعولها ، وردھا عليهم ، خزيًا وعاراً ودليلاً على وهن تفكيرهم ، وجرأتهم على الله ورسوله ، وعلى الحق والنور والهدى ، بغير تبصر في عواقب الامور ، وستجد شواهد ما اسلفنا من النصوص في الفصل الآتي .

شواهد العصمة الدفاعية

كل الامر ان الزعماء والقادة المعاصرين لرسول الله ﷺ ، لم يكلفوا أنفسهم النظر في المثل التقديمية العليا ، التي أوحاها الله عليه من أجل إسعاد الحياة الانسانية كافة . وبإليهم اكتفوا بذلك ، ولم يقعدوا لها في كل سبيل ، ويدبروا المؤامرات ويشنوا الغارات لاستعجال القضاء على حياة رسول الله ﷺ .

والعجيب أنه لم يخطر لهم على بال ، ان ما جاءهم به من عند الله عز وجل فيه فوق ما يشتهون لأنفسهم وأمتهم ، من شوكة وسلطان وإجماد وطيبات .

أنى يخطر ، وهم كلما وافاهم علم شيء منه ، تخلوه بمس مراكرهم ولو من بعيد ، فيسارعون في رفضه واستهجانہ والتشهير به ، بين القبائل ، طيشاً وتسرعاً .

وكل الحجب التي كانوا يبررون بها استعجالهم في مقاومتهم الهجاء الطافحة بالآثرة والغرور والكبرياء والشرف الوضع . هي أن رسول الله ﷺ ، لا يملك أموالاً طائلة تجعله كبيراً في أنفسهم الصغيرة ، وانه إنسان مثلهم ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . وفوق ذلك يعلن أنهم أموات ، بما يحملون من تقاليد آبائهم واطواعهم الشاذة .

يا ويل زعماء الجاهلية الوثنيين ، كم من مؤامرات دبروها ، وكم من غارات شنوها على فشل واخفاق . وكانوا كلما أخفقوا في مؤامرة ، أوفشلوا في غارة ، سارعوا في انفاذ سواها فهم ابداً متربصون برسول الله ﷺ الدوائر ، على الرغم من النداء بعصمته الدفاعية ، في القرآن . ذلك لأنهم اعتقدوا ان النداء بعصمته في القرآن مجازفة ما بعدها مجازفة ، وان لجأهم في التربص به لا بد أنه مفض بهم الى القضاء عليه .

وجاء في ذلك قول الله عز وجل : « ام يقولون شاعر تربص به ريب المنون » .

ولما كانت عصمة رسول الله ﷺ ، لا ريب فيها ، أمره سبحانه وتعالى — استخفافاً بهم — ان يحثهم على التربص به ، ما وسعهم الامر ، ولكن مع انذارهم بتربصه هو بهم ، تربصاً لا عاصم لهم من قوارعه القاصمة .

« قل تربصوا فاني معكم من المتربصين » .

وكم من فارق بين تربص رسول الله ﷺ ، وتربص اولئك الجاهلين : —

١ — تربصه ﷺ ، — وإذا كان انذاراً من الله — إلا أنه مفعم بالاشفاق عليهم . والرغبة الملحة في انقاذهم ، مما هم فيه من هوان الفرقه ، وذلة عبادة المخلوقات .

٢ — وتربصهم حاقد جبار يطفح بشرور أنفسهم الحقيرة ، ونزوات غرائزهم غير المكبوتة بالايمان ، وبأعمالهم السادرة الرعناء :

وقد سلكوا في تربصهم مسلكين متباينين ظاهراً وخفياً . يهدفان إلى غاية واحدة . هي القضاء على حياة صاحب الرسالة ﷺ واطفاء شعلة وحي الله التي أضاء نورها في قلوب المؤمنين .

المسلك الخفي

هذا المسلك يشمل جميع المؤامرات التي كان اعداء رسول الله ﷺ يبرمونها وينفذونها ، ويحبطها الله ، ويعصم رسوله ودينه من شر الوقوع في حبالها ، ويخذلهم شر خذلان . وفيما يلي نجمل طائفة من المؤامرات :

١ — مؤامرة أبي جهل

لم يكن عمرو بن هشام واحداً بين الزعماء الذين استعجلوا الكفر بمثل الاسلام العليا ، واشتركوا رعونه منهم ، في تدبير المؤامرات ضد صاحب الرسالة ، وإنما كان واحداً في احقاده الجهنمية السافلة ، التي كشفت في احدى مؤامراته الفاشلة ، مجرماً مغتالاً يحمل حجراً ضخماً ترفع عن حمله حتى من كان دونه من الزعماء ، معتزماً أن يرضخ به رأس رسول الله ، أين ؟ يا سلام !! في المسجد الحرام حول البيت ، وهو مستغرق في سجوده لربه عز وجل ، يا للقسوانه لم يتعظ ، وقد رده الله على عقبيه خاسراً مرعوباً .

٢ — مؤامرة عقبة بن أبي معيط

ولم يكن عقبة هذا بأقل حقداً وكراهية لحياة رسول الله ﷺ من أبي جهل .
ها هوذا اللعين هجم على رسول الله وكاد يخنقه وهو يصلي في الحجر ، ولكن الله ارسل الصديق في هذا الوقت ، فحين شاهده على حاله تلك ، هجم عليه ، وشده من منكبه ،

ودفعه عن رسول الله ﷺ ، دفعة شديدة ، وهو يتلو قوله تعالى : « اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

٣ — تأمر زعماء قريش

كان تأمر زعماء قريش هذا ، قبل فرض الحصار على رسول الله وقومه . وكانوا يهدفون إلى أخذ رسول الله ﷺ ، من أبي طالب بالحاسنة :
كاغرائهم بتقديم دية مضاعفة مقابل تسليمه للقتل ، أو ابداله بشاب غرائق من شبانهم ، يتبناه أبو طالب .

أما بعد فرض الحصار فكان الامر بالعكس . ولكن الله عصم نبيه في الحالين .
فما كاد الحصار يبلغ بأبي طالب وقومه من اليأس نهايته حتى سلط الله الخلف بين زعماء قريش ، تسليطاً انتهى بفكه ، وذلك بعدما ابلى رسول الله ﷺ ، عمه ابا طالب طمأنينة لقلبه بأن الارضة التهمت صك الحصار الظالم ، ولم تدع غير اسم الله عز وجل ايذاناً بانتهاء الظلم والظالمين .

٤ — مؤامرة ليلة الهجرة

كان وقع نبأ اسلام أهل المدينة شديداً على زعماء قريش ، وقد تخوفوا على أنفسهم عواقب ذلك ، لوفرة ما اسفلوا من مؤامرات وأذى وبطش في حق رسول الله ﷺ ، وفي حق أصحابه .

وقد ضاعف خوفهم هجرة الذين اسلموا منهم إلى المدينة ، مما جعلهم يعقدون مؤتمراً حاشداً للنظر في خطورة هذه الهجرة ، مؤتمراً ، اتفقت كلمتهم فيه على اختيار اربعين شاباً لكي يفتكوا برسول الله ﷺ مجتمعين ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل ويصعب الاخذ بثأره .

وقاد هؤلاء الشبان ، رئيس الوثنية الهدام أبو جهل . الذي أخذ يتندر برسول الله واقواله ، ليغطي وجه الجريمة البشع ، الجريمة المنكرة التي يحاول اقترافها اذ يقول لهم :

« إن محمداً يزعم انكم ان تابعنموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم إذا بعثتم من بعد موتكم ، جعلت لكم جنات كجنت الاردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم نار تحرقون بها » ثم ينفجر في ضحك عريض مصنوع وينفجرون وهو يهز لهم رأسه سخرية واستخفافاً بما يقول .

واخيراً لم تكن هذه المؤامرة بأسوأ عاقبة من سابقتها خذلاناً واخفهاً .
وصفوة القول إن الله عصم رسوله ﷺ . ولم ينتفعوا باهتدائهم الى الغار ، لأن العصمة هي
العصمة ، ولو كان محل اختفائه نفس ابصارهم واسماعهم .

ها هو رسول الله يسير في العراء الى جانبه الصديق ، وما بينه وبين سراقه بن مالك المدلجي
المغامر الجريء ، سوى غمزة شوط لجواده . ومع ذلك لا يبالي به رسول الله ﷺ ولا يبالي ، بل
لا ينقطع عن تلاوته ، ولا يلتفت اليه . على كثرة ما التفت الصديق ، خوفاً على رسول الله
(ص) .

واخيراً ما وسع سراقه الفتاك النهم ، الا ان يبادلہ الامان ، ويستكتب بذلك صكا .

٥ — مؤامرة دعثور

جمع دعثور الغطفاني بني ثعلبة ومحارب من غطفان ، ليعير بهم على المدينة . ولكن رسول
الله بادر اليه وصدده .

إذ لم تكدر جلاله ترى رسول الله ﷺ ، وصحبه المجاهدين الابطال ، حتى لجأوا الى قم
الجبال ورأى رسول الله ان يعسكر حول ماء هناك وتفرق عنه اصحابه يستريحون من عناء
المسير ، وقصد رسول الله الى شجرة ، ونشر عليها ثيابه يخففها من مطر اصحابها ، وكان دعثور
يرصده من بعيد ، فحاول أن ينتهز فرصة انفراده ، فانسل اليه شاهراً سيفه مهدداً « من يمنعك
مني يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ « الله » ..

ارتجفت يد دعثور وسقط منها السيف ، فتناوله رسول الله ، وناداه بدوره « دعثور من
يمنعك مني » قال لا أحد فتجاوز عنه ..

وهكذا عصم الله رسوله من الاغتيال ، وأسلم دعثور وقومه ، واصبحوا من جنود الاسلام .

٦ — مؤامرة اليهود

لما فتح الله خير لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وتم له الامر ، قدّم اليهود لرسول
الله شاة مشوية كانوا قد دسوا فيها السم ، بواسطة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم .
وكان مع رسول الله بشر بن البراء بن معرور ، فتناول منها رسول الله لقمة ، ولكنه لفظها ،
ولم يسغها ، وهو يقول : « ان هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ، وطلب احضار زينب التي طهتها
فاعترفت . فقال لها : « ما حملك على ذلك . فقالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك .

فقلت : « إن كان نبياً فسيخبر ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ، فعفا عنها ، وقد قتل السم بشراً ، لأنه كان قد ابتلع لقمته .

فأنت ترى أن الله عصم رسوله من السم ، كما عصمه من مؤامرة قذف الحجر عليه من أعلا الحصن .

٧ — مؤامرة عامر بن الطفيل

جاء عامر بن الطفيل على رأس وفد من بني عامر ، مظهراً أنه يريد الاسلام ، ومبطناً الغدر .

وكان قد استصحب معه أريد الفاتك المشهور .

وأخذ عامر يشغل رسول الله ﷺ بالحديث ، ليخلي لاريد فرصة اغتياله . ولكن الله عصم رسوله ، فلم يستطع اريد ان يتحرك من مكانه .

وحين انصرف عامر من مجلس رسول الله ﷺ دعا عليه « اللهم اهد بني عامر ، واشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت ، وإنى شئت » ؟
فأهلكه الله ، وكانت عاقبة أمره خسراً .

وأما المسلك الظاهري فانه يتناول كل الغارات التي شنّها زعماء الجاهلية ، للقضاء على صاحب الرسالة والرسالة معا . الغارات التي أبطل الله مفعولها ، وهي مبسوبة في كتب السير . وهكذا يظل الإسلام في رعاية من طائفة من المسلمين تكون صادقة الإيمان عالمةً بحقائق معجزاته مقدرةً منافعهِ للإنسانية وهي الطائفة . التي تبقى دولتها خالدة باقيةً الى يوم القيامة أجل أجل أشار رسول الله صلى الله وسلم عليها إذ قال : « لا تزال طائفة من أمتي متمسكةً بالحق لا يضرهم من ضل حتى يأتي أمر الله ، اللهم أيدّها بالنصر كلّ من يبذل في سبيل نصره دينك بالنفس والنفيس ...

مُجَزَّاتُ السَّبْعِ الْمَثَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⊕ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ⊕ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ⊕
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⊕
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⊕
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⊕

(١) هذه محاضرة قيمة القيت على خريجي الكلية الشرعية في بيروت تشرح بعض ما أودع الله من أعجاز في أم الكتاب .

محاضرة تفسير الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ . والناس مجمعون . وإن اختلفت نحلهم — على عبادة الآلهة المتخذة من الارواح المعتقدة أنها حالة في أشياء الكائنات : من إنسان وحيوان ونبات وجماد . ومجمعون على الخوف من هاتيك الاشياء المعبودة لهم . مما جعلهم يحذرون البحث في كنهها . وكشف اسرارها . وكانوا إذا صلوا صلوا لها — كل حسب طوقسه — وإذا طلبوا الحول والمعونة والسعادة لجأوا اليها . وإذا افتتحوا شؤونهم ذات البال . افتتحوها بأسماها . وكانوا يتخيلون أن لآلهتهم تلك قدراً جبارة لا تحد ، تحفظهم من غائلة ، ما بخشون . تلك هي آلهة البشر المعبودة قبل البعثة المحمدية .

لذلك كان أول شيء نهض له سيدنا محمد «ص» . هو تحرير البشر من عبادة الآلهة الباطلة . وجعلهم يفتنون انها مخلوقة ، وأن المخلوق غير الخالق قطعاً . ويفطنون ايضاً أن ذكر أي اسم من اسمائها لا فائدة له . ولا رجاء منه . لأن ذكره كفر صراح . وإنما الذي يجب أن يذكر اسمه ابدأ . وفيه كل الفائدة . وكل الرجاء ، هو اسم الخالق العظيم ، هو اسم الله وحده «بسم الله» .

ولما كانت عبادة الامم القديمة الوثنية . الإفتنان في تعذيب النفس وحرمانها من الطيبات ، قرباناً لتلك الآلهة وتملقاً لها ، ولما كان تصورهم لها . أنها جبارة محطمة ، وانها ماثقة سريعة الغضب ، جاء الوحي الالهي باسمين من أسمائه تعالى ، مشتقين من الرحمن . تأكيداً لشمول رحمة الله ، وايداناً بالطمأنينة : «بسم الله الرحمن الرحيم» : ورحمتي وسعت كل شيء . ولكل هذه المقاصد السامية ، جعل الله البسملة آية في فاتحة الكتاب . سواء كانت آية من كل سورة بالذات . او آية خاصة انزلها الله للفصل بين السور .

وقد تساءل كاتب الغالب في التأكيد اللفظي . أن يكون عين اللفظ «الرحمن الرحيم» فلماذا عدل عنه . الى الرحمن الرحيم ، والجواب :
اننا نجد في الرحمن الرحيم ، أربع اشياء .
١ — نجد افتناناً في الاسلوب .
٢ — وخفة على اللسان .

- ٣ — مع بيان ان المنعم يجلّ الله النعم ودقائقها هو الله وحده .
٤ — ومع اختلاف معنى الوزنين . وإن اشتركا في أصل اثبات الرحمة^(١) .

فوائد

الافتتاح بالبسملة كما تجده مطلوباً في أوائل سور القرآن . تجده مطلوباً في افتتاح كل أمر جليل ، كما قال رسول الله « ص » : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبرأ واقطع أي كل أمر هام . كالقراءة والأكل والشرب .
هذه السورة هي أم الكتاب . أي أصل الكتاب ولولا أنها أصل الكتاب لما جعلها عدلاً للقرآن المجيد : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم .
وهذا حق فإن كل ما جاء في القرآن العظيم من أوجه الإصلاح منطوي في الاهداف الرئيسية التي أنزلت لأجلها هذه السورة الكريمة .
ولكي نستوعب ذلك ، فما علينا إلا ان ننعم انظارنا طويلاً ، في اهداف كل آية بالذات ، وما تنطوي عليه من أوجه الإصلاح ، الذي يقصد به معالجة ادواء الانحطاط ، الوضع المتغلغل في حياة الجماعات والافراد ، في اواخر أيام الفرس والروم . ذلك الانحطاط الذي كان نذيراً صارخاً بقرب هلاك البشرية ، وارتداد بقاياها إلى ظلمات المغاور والكهوف لولا أن تداركها الله بالقرآن المجيد على يد خاتم الانبياء ، سيدنا محمد « ص » .
أجل ان فاتحة الكتاب ، شأنها جليل جداً ، والذي يدلنا على ذلك . انها أول سورة كاملة نزلت . فقد روي عن سيدنا علي (رض) انه قال : « إن أول سورة كاملة نزلت من القرآن المجيد « هي أم الكتاب » وسميت الفاتحة لأنها السورة الأولى في القرآن المجيد » .
وفيما يلي نذكر ما يسره الله تعالى من بيان أهداف كل آية على حدة حسب تسلسلها .

الحمد لله

جاء خاتم الانبياء والرسول . وافراد البشر وجماعاتهم كانوا إذا المت بهم نعمة أو ازيحت عنهم نقمة . لجأوا بالحمد والشكر إلى اربابهم ، التي اتخذوها من شتى عوالم الوجود واجهدوا أنفسهم بالعبادة والضراعة لها . لتحفظ عليهم النعم وتدفع عنهم النقم في زعمهم .

(١) ومن اراد التوسعة فليراجع ما كتبه الامامان الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا حول اعجاز أم الكتاب .

وكم كان لانخطاطهم في الحمد والشكر ، الى اربابهم الوضيعة ، من تأثير سيء في انخطاط وعي الروح والفكر والخلق .

أجل كان لاختلاف أربابهم ، التي يلجأون اليها عابدين حامدين ، اسوأ التأثير في نفسياتهم . وتضارب اتجاهاتهم .

ذلك الانخطاط هو الذي كان عليه حال الجماعات والافراد ، في ارفع مظاهر العبادة ، أي في حمد المخلوقين لخالقهم ، على نعمه التي لا تحصى .. ولأجل إصلاح هذا الفساد الديني . نهضت الآية بهم الى المثل الأعلى ، نهضت بهم الى حمد خالقهم الحق الى حمد الله وحده .

رب العالمين

لما كانت كل جماعة تعتقد أن ربها هو الخالق الحق المستحق العبادة والحمد. ذكر الله هنا صفات الخالق الحق ليعلم الذين يعبدون ويحمدون اربابا باطلة أي اربابا مخلوقة ، أمثالهم لا تضر ولا تنفع .

ونحن اذا تدبرنا معنى رب المقصود منه الخالق العظيم . ومعنى العالمين المقصود منها جميع المخلوقات المادية والروحية أمكننا أن نستخرج جملة صفات الله المدوعة في جملة (رب العالمين) .

واضح ان معنى رب اذا اطلقت على الخالق العظيم دل على الربوبية العامة الخالقة لكل عوالم المادة والروح ، وفق السنن والنواميس ، التي خصصتها ارادته وأبرزتها قدرته مع شمولها جميعاً بالرعاية والحفظ وإمدادها بسر البقاء .

والواقع اننا نجد في جملة رب العالمين جملة صفات الله الخالق الحق نجد أنه (١) لا أول له وأنه لا آخر له (٢) وأنه لا شبيه له (٣) وأنه واحد (٤) وأنه لا سلطان فوق سلطانه (٥) وان العوالم كلها مشمولة بربوبيته (٦) وأنه وحده الخالق والعوالم كلها مخلوقة (٧) وان كل الارباب المعبودة من دونه باطلة (٨) وأنه قادر ومريد وعالم وسميع وبصير وبالاجمال نجد أن جملة (رب العالمين) تحيل كل صفات النقص ...

- ١ — رب العالمين لا أول له ، اذ لو كان له أول لكان مخلوقاً ، أي مربوباً مثل كل افراد العالمين ، ولو كان مثلها لما صح أن يكون ربها ، لأن المربوب لا يكون رب العالمين هذا محال .
- ٢ — (رب العالمين) لا شبيه له في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ، أما أفراد العالمين المادية والروحية فكلها متشابهة في خضوعها : لسلطان النواميس في ذواتها وصفاتها وفعالها ، فلو كان

رب العالمين يشبهها في خضوعها لسلطان النواميس ، لكان محدوداً في ذاته وصفاته وافعاله ، ولو كان محدوداً في شيء من ذلك لكان مربوباً . أي خاضعاً لمن وضع الحدود وفرضها على كل المربوبين من الارواح والمواد . والمربوب غير الرب قطعاً .

إذ لو كان المربوب رباً ، لصح ما يعبده أهل الاديان الوثنية والاشراكية أي الذين يعبدون الروح الحالة فيما يعبدون بحجة ان الروح هي الخالق العظيم ، وهي حجة باطلة جاءت من اساطير الاولين ، القائلة : ان الروح روحان روح مخلوقة ، وروح خالقة ، وهو أشبه بقول الذين قالوا هناك مادة مخلوقة ومادة خالقة وهكذا تفعل الاوهام والتقاليد ..

٣ — رب العالمين : واحد لأن لفظة رب تدل على الوحدانية ، ولأن لفظة العالمين تدل على التعدد . فيكون مدلول الجملة هكذا ، العوالم المتعددة ربها واحد ، وهذا حق فان الارباب المتعددة ، كلها متخذة من أفراد العالمين المادية أو الروحية ، لاعتبارات خاصة ، وفلسفات فارغة ، لا تقدم ولا تؤخر ، في حساب واقع المعرفة ، وهي وإن تجاوزت الآلاف ، فانها لا تبطل الحقيقة الواحدة ، حقيقة رب العالمين اذ محال أن يبطل المخلوق خالقه . وهو في قبضة يده . وتحت قهره وسلطانه ، وبه يبقى ويزول : وما شأنها مع رب العالمين ؟ وهي وليدة الاوهام والخيالات . فلنأخذ مثلاً « النير فانا » أو الروح الحالة في سماء اليابان أو الروح الكلي أو الروح الجزئي ، أو سوى ذلك من الاساطير المعتقدة ، لدى البشر أنها حقائق . فانا نجد عابديها قد اتخذوها من « عالم الروح » .

ولنأخذ « ادريس » و « لاوتسو » و « برهما » و « بوذا » و « الباب » و « وأغا خان » وسواهم ، فانا نجد عابديهم قد اتخذوهم من عالم الانسان . ولنأخذ « العجل » أيبس و « الفيل الابيض » و « الابقار » .

فانا نجد عابديها قد اتخذوها من « عالم الحيوان » . ولنأخذ « ذات انواط » والشجر الواقى من الصواعق « المعبودة في الهند والاشجار المعبودة في افريقيا ، فانا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم النبات ، ولنأخذ « الشمس » و « الشعري » و « الزهرة » وسواها فانا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم الكواكب ، ولنأخذ « اللات والعزى » و « عشروت » و « هبل » فانا نجد عابديها قد اتخذوها من عالم الاحجار .

والخلاصة لو كان ثم رب آخر ، لما صح أن يكون الله الخالق العظيم واحداً أحداً ، بل لما صح أن يكون رب العالمين جميعاً . ولاختلط أمر العبادة بين الخالق والمخلوق وهذا الاختلاط هو عين الكفر ، وهو اعتقاد الوثنيين الذين جعلوا لكل عالم رباً خاصاً به ، فاعتقدوا ان للنجوم رباً ، وللغابات رباً ، وللحرب رباً ، وللخمر رباً ، وللسحاب رباً ، وهلم جرا ...

٤ — رب العالمين : لا سلطان فوق سلطانه . ولا ريب ان سلطان رب العالمين فوق سلطان النواميس وعوالمها الخاصة والعامة . كنناموس الجاذبية . وناموس التفاعل الطبيعي وناموس الكلية والجزئية . وناموس التوالد ، وناموس الظهور والخفاء ، والحلول والانتقال ، الكائن في عالم الروح . وسوى ذلك من النواميس المرتبطة بها عوالم المادة . وعوالم الروح ، التي خلقها الله ويسرها حسب ما يريد .

وسلطان رب العالمين لو لم يكن فوق سلطان النواميس لكان خاضعاً لأحكامها . ولو كان خاضعاً لأحكامها لانقلبت الحقائق ، وأصبح الخالق مخلوقاً ، وهذا محال قطعاً « تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

٥ — رب العالمين : هو المتصف بالربوبية العامة الشاملة لكل العالمين . اذ لو لم تكن ربوبيته عامة وشاملة ، لكل العالمين . لكان بعض أفراد العالمين خارجاً في أصل خلقه . وتمثيل دوره في الوجود ، عن عهدة رب العالمين ورعايته وهيمنته . وهو يقتضي أن بعض أفراد العالمين ليست من العالمين وهذا تناقض .

٦ — رب العالمين : هو خالقها وما عداه من أفراد العالمين الروحية والمادية مخلوقة له . ذلك لأن رب العالمين يستحيل أن يكون مخلوقاً مثلها . إذ لو كان مخلوقاً مثلها لما صح أن يكون خالقها .

٧ — رب العالمين : هو الخالق العظيم ، المعبود بحق ، وما عداه من الارباب المعبودة ، التي اتخذها البشر من اشيء الكائنات هي ارباب باطلة ، وعبادتها كفر ما بعده كفر ، لأنها عبادة مربوب لمربوب مثله . لذلك أرشدنا الله الى أنه رب العالمين لكي نخصه بالعبادة ، ونترك عبادة سواه .

٨ — رب العالمين : لا ريب أن رب العالمين يجب أن يكون قادراً ، ومريداً وعالماً وسميعاً ، وبصيراً ، لأن العالمين . وما في افرادها الروحية . والمادية ، من ابداع الخلق ، وإتقان الصنع ، وعميق الاسرار وكبير العجائب ، وغرائب النواميس . توجب لخالقها العظيم عز وجل ، كل صفات الكمال ، وتنفي عنه كل صفات النقصان ، وقد سلفت الإشارة الى ذلك .

اذن فنحن إذ فهمنا من كلمتي رب العالمين ، أنه تعالى قادر ، ادرکنا حالا ، أن المقصود هي القدرة الإلهية الازلية المناسبة لذاته العلية ، أي القدرة التي لا يخالطها العجز والتغير والزوال . القدرة التي لو وجهتها إرادته سبحانه وتعالى الى ازالة العوالم كلها ، لأزالتها أسرع من لمح البصر . ولو وجهتها ارادته لاعادتها أو إيجاد سواها من العوالم ، لفعلت ذلك ..

ونحن اذا فهمنا من كلمتي رب العالمين أنه تعالى عالم . ادركنا حالاً أن المقصود هو العلم الازلي الشامل ، لأن الله الذي خلق العوالم كلها ، وأحاطها بربوبيته المهيمنة روحاً روحاً ، في عوالم الروح . وذرة ذرة ، في عوالم المادة ، والذي يعلم ما كان وما يكون ، من قبل خلق العوالم ، ومن يعلم ما كان وما يكون ، من قبل خلق العوالم ، ومن بعدها ، محال أن يكون المقصود من لفظة عالم اذا اطلقت عليه عز وجل ، ذلك العلم الانساني المحدود بالبداية والنهاية ، والتذكر والنسيان ، والزيادة والنقصان ، المنبثق عن الالمام بجانب ضئيل من معرفة حقائق العوالم .

أجل محال أن يكون علم رب العالمين محدوداً أي غير شامل ، او يكون مسبوقاً بجهل أو له بداية أو نهاية ، شأن مفهوم عالم ، إذا أطلق على أحد افراد العالمين .

وكذلك نحن نستدل من كلمتي رب العالمين ، أن خالق الوجود سميع وبصير ، لأنه لو لم يكن سميعاً وبصيراً ، لما صح إطلاق رب العالمين عليه . اذ محال أن يكون رب العالمين الذي خلق ملايين الملايين من الأصوات المختلفة في كل عالم من العوالم ، قوة وضعفاً وجهاً وقبحاً ، غير سميع . وهذا ما يقال عن صفة البصر لله تعالى .

اذ محال أن يكون رب العالمين الذي خلق كل هذه الاشكال والألوان والاوزاع والحجوم وسوى ذلك ، خلقها وهو لا يبصرها .

على أن الصمم والعمى صفتان من صفات النقص يستحيل اتصاف الله الخالق العظيم بهما .

إذن فالخالق العظيم سميع وبصير قطعاً ، وسمعه وبصره لا يشبهان سمع أي مخلوق وبصره ، ذلك لأن سمع المخلوق وبصره مقيدان بقيود آلي السمع والبصر ، الكائنتين في ذات السميع والبصير ، سواء كان من عوالم المادة أو من عوالم الروح .

الا إن سمع الله وبصره غير محدودين بحدود الزمان والمكان . وغير مقيدين بقيود الآلة . بل هما ازليان ، ومطلقان وغير مقيدين بحدود الزمان والمكان . والآلة والكيف والتمثيل والتشبيه ، وقل مثل ذلك في كل صفات الكمال ، الواجبة لرب العالمين ، وإن لم تكن كذلك مطلقة من الحدود وسلطة النواميس ، والاولية والآلة وسوى ذلك فمحال اطلاقها على رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

والخلاصة يجب علينا أن نؤمن بكمال صفات الله ، كما آمن بها السلف الصالح مفوضين أمر مدلولاتها لله عز وجل غير مؤولين . وغير صارفين معنى انى سواه ، خشية الوقوع في الخطأ ، إذ نعلم أن معاني الفاظنا الارضية المحدودة ، بحدود نواميس المادة والروح معاً ، إذا اطلقت على

ذات الخالق العظيم وصفاته وأفعاله ، دلت على معاني تليق بجلال تفرد بالكمال المطلق ، غير المحدود بمحدود أحكام النواميس العامة والخاصة .

هذا مذهب السلف الصالح ، فانهم لا يصرفون الألفاظ إلى مطلقات أخرى خشية الوقوع في الخطأ ، وبالخري في ذات الله وصفاته وأفعاله . الخطأ الذي يفضي إلى الكفر — والعباد بالله — بل يقولون اللفظ معلوم أي مدلوله الارضي المحدود معلوم ، ولكن كيف أي المدلول الكبير اللائق بعظمة ذات الله وصفاته وأفعاله مجهول ، لأن حقيقة ذات الله ، لا تحيط بها عقولنا المنتزعة تصوراتها من العوالم المحدودة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » .

٩ — (رب العالمين) الا إن كلمتي رب العالمين ، تفرضان علينا دراسة افراد العوالم المادية والروحية ، لكي نفهم الفوارق بين صفات رب العالمين ، وبين صفات افراد العالمين لكي لا نقع في الغلطة الكبرى ، التي أوقعت الأمم القديمة في اعتقاد أن الخالق العظيم ، هو روح أو مادة جاهلين أنه خالق كل شيء .

وتفيد جملتنا (الحمد لله رب العالمين) معاً أن حمد العالمين كافة يجب أن يوجه إلى ربها المنعم عليها كافة . إذن فيحرم أن يوجه مربون حمدهم الى مربون أمثالهم بدعوى أنها أرباب بدلا من حمدهم ، لربهم الحقيقي جميعاً ، المتفرد بالانعام ، عليهم جميعاً . وفي هذه الحال المعكوسة في توجيه الحمد الى المخلوق ، انحطاط الى الوثنية والاشراك ، واضاعه لحق الخالق على خلقه ، وحق المخلوق على خالقه ، المتمثل في صميم العبادة ، كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين قال له : « هل تدري ما حق الله على العباد ، قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم سار ساعة ، ثم قال يا معاذ بن جبل قلت : لبيك رسول الله ، وسعديك ، قال هل تدري ما حق العباد على الله ، إذا فعلوا ذلك . قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يعذبهم .

فوائد

قال بعض العلماء : « الله يربيك كأنه ليس له عبد سواك وأنت تخدمه كأن لك أرباباً غيره ، فما انصفت أيها الانسان » . وقالوا : لا يجوز أن يطلق الرب على غير الخالق العظيم الا مقيداً بالإضافة مثل رب المال .

« ولا يعلم أحد من الخلق ، كم هي اعداد العالمين ؟ ، أجل لا يعلم ذلك الا رب العالمين وحده » وما يعلم جنود ربك الا هو»^(١)

وذكروا أن العالم . ما كان اشتقاقه من العلامة — وهي الآية الدالة — إلا لأن العالمين هي آيات دالات ، وحجج ناطقات بجلال خالقها العظيم الواحد الأحد ...
وكل النصوص التي جاءت في اعداد العوالم ، هي ضعيفة وموضوعة ، كالنص الذي روي عن مقاتل (العوالم ثمانون الفاً) والنص الذي روي عن وهب بن منبه « لله ثمانية عشر ألف عالم » .

الرحمن الرحيم

قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده « ان صفة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى ، المبالغة كفعال . وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة ، كعطشان وغرثان وغضببان وأما صيغة (فعيل) فانها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة ، كالاخلاق والسجايا في الناس : « كعليم وحكيم وحليم وجميل » والقرآن المجيد ، لا يخرج عن الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلق عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ (الرحمن) يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل ، وهي افاضة النعم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مؤكداً للأول ، « وقد نقل ذلك عن بعض المفسرين » فاذا سمع العربي وصف الله جل ثناؤه .

(الرحمن) وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلاً . قد لا يعتقد معه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً ، لأن الفعل قد ينقطع ، إذا لم يكن عن صفة لأزمة ثابتة ، وإن كان كثيراً . فعندما يسمع لفظ الرحيم ، يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله ويرضاه سبحانه وتعالى ، ويعلم ان لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون اثرها ، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين ، ويكون ذكره بعد الرحمن ، كذكر الدليل بعد المدلول برهاناً عليه .

(١) راجع تفسير ابن كثير ...

تفصيلات

١ — لما كان القرآن الكريم أثراً من فيض رحمة الله بخلقه ، ولما كانت العوالم كلها مظهراً لبعض ما وسعته رحمة الله « ورحمتي وسعت كل شيء » أكد الله ذكرها هنا ، كما أكدها في آية البسملة المكررة في القرآن المجيد مائة وأربعة عشر مرة .

ومن هذا التكرار المؤكد يفهم دارسو القرآن المجيد انه فيض من غامر رحمة الله بالانسانية ، وأنه يكفل السعادة الابدية ، للذين يأخذون أنفسهم بمثله العليا الخالدة اخذاً اكيداً ، غير منحرفين عنها قيد شعرة .

وكيف لا يكفل السعادة لهم ، وهم قد وضعوا أنفسهم في عين رحمة الله ، من آياته اللينات . أما كان من مواهب آيات الله ، كل ما تمتع به أصحاب رسول الله ﷺ : من انسانية رفيعة ومعارف متفوقة وأخلاق سامية ، وبسطة في السلطان والعزة ، ونهوض الى البر والهدى وبناء الامجاد .

٢ — لما كانت عقيدة قسوة الارباب المعبودية من دون الله منتشرة بين أكثر الجماعات والافراد ، ومتغلغلة في أعماق القلوب .

جاء في أم الكتاب ، وفي كل بسملة تكرار الرحمن الرحيم ، لاقتلاع تلك العقيدة الكافرة ، والقضاء عليها خشية الانتكاس ، ولكي تثبت عقيدة ان الله هو الرحمن الرحيم في أنفس الجماعات والافراد ، وقد فطن العلامة الكبير الشيخ محمد عبده الى هذه الحقيقة فقال رحمه الله : إن الله أعاد الرحمن الرحيم ، في السورة بعد ذكر رب العالمين إشارة الى أن تربية الله تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم ، أو لجلب منفعة أو لدفع ضرة ، ، وإنما هي لعموم رحمته وشمولها لكل أفراد العالمين ، وهذا إعلان من الله لجميع الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أن رحمة الله عامة شاملة ، وأن الايمان بها مفروض ..

وهي الصفة الحقيقية التي تليق بخالق الخلق أجمعين ، ومربيهم .

الرحمن الرحيم

كان هذا التكرار ليفهم دارسو القرآن المجيد ، مبناه على شمول الرحمة ، ومن أجل ذلك ، لم يذكر الله لتعليم القرآن المجيد لخلقه ، إلا اسم الرحمن : « الرحمن علم القرآن » .

ومن هنا نجد أن الرحمة كما هي مفروضة بين المسلمين مفروضة ايضاً عليهم تجاه الناس جميعاً . وقد جاء قول الله تعالى للأول « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء

بينهم » ومفهوم ان الشدة لا يعامل بها الا الظالمون المعتدون الذين يقاتلون ويخرجون المؤمنين من ديارهم . « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين » فالبر والقسط عين الرحمة .

و « للثاني » جاءت هذه الاحاديث الشريفة :

قال رسول الله ﷺ « إن لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الأنس والجن والبهائم والحوام . فيها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها . وأخر الله تعالى تسعاً وتسعين ، رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » ^(١) وقال عليه الصلاة والسلام « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ^(٢) وقال رسول الله ﷺ « لا تترع الرحمة الا من شقي » ^(٣) .

فرائد من اعجاز القرآن

١ — لعل بعض المطالعين للقرآن المجيد يخفى عليهم مظهر رحمة الله في الآيات التي تناولت وصف عالم العذاب ، لأول وهلة ، وعذرهم أنهم يشاهدونه عالماً مخيفاً مرعباً ، ولو علموا أنه أكبر زاجر ، للكافرين والمجرمين عن التمادي في الكفر والاجرام ، لما خفي عليهم ما في خلقه من رحمة . وقد صح الخبر « إن الله خلق جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق به عباده الى الجنة » .

٢ — لولا الآيات الزاجرة التي نزلت في الوحي ، واصفة عالم العذاب ، لما علم الناس أن في العالم الثاني ، عالمين عالم نعيم وعالم عذاب .

وحينئذ يعتقدون بنقص العالم الثاني ، وكيف لا يكون مشتتلاً على النعيم والعذاب ، وفيه يقع الحكم العدل ، والقول الفصل ، وفيه يرفع الظلم ، ويجازي كل عامل وفق عمله من خير أو شر .

مالك يوم الدين

إذا اطلق لفظ مالك على الله الخائق العظيم ، دل على المالك الحقيقي ، الذي يملك التصرف المطلق ، في العوالم كافة ايجاداً واعداماً ، وإبقاء ووضعاً ، وكيفية وسنناً ونواميس والذي يملك وحده حق الجزاء على الخير والشر ، وحق العفو .

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذي وأبو داود .

وهذا المعنى بالذات يشتمل عليه لفظ (ملك) إذا أطلق على الخالق العظيم ، مع إفهام أن العوالم ملك له ، وإن ملكها واحد هو رب العالمين .

وقد قرأت الآية به (ملك يوم الدين)

(اليوم) هو الزمن سواء طال أو قصر حتى جاء إطلاق « يوم القيامة » ، « واليوم الآخر » . على الزمن الذي يكون فيه بعث الخلائق ، ولا يعلم طول ذلك الزمن إلا الله . (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وكذلك أطلقوا لفظة يوم على الزمن المحدود بالليل والنهار . ومنه قولهم « أيام العرب » يريدون الأزمان الطويلة التي وقعت بينهم فيها الحروب . (الدين) يطلق على الملة التي يدين بها جماعة من الناس ويطلق على الحساب والجزاء على الأعمال ، سواء كانت خيرة أو شريرة .

ويوم الدين : كما يطلق على مطلق زمن تقع فيه المجازاة على الأعمال ، سواء كانت في هذه الدنيا أو في العالم الثاني ، فانه يطلق على يوم القيامة .
لاختصاصه بالجزاء العادل الموزون بموازين القسط على أعمال الخلائق جميعاً .

المقصود الاجمالي

لا ريب ان القرآن المجيد . أنزل للنهوض بمجموعات نفسيات البشر . الى المثل العليا التي فرضها الله . وفق الكمال الداخلى في إمكانيات الجماعات والافراد ، ولما وافى صاحب الرسالة هذا العالم ، كانت المجموعات النفسية الانسانية منحطة كل الانحطاط ، ومضطربة كل الاضطراب ، ومختلفة كل الاختلاف ، في قضية الجزاء على الاعمال ومالكها . من أجل ذلك ، خص الله أم الكتاب بهذه الآية الكريمة .

(مالك يوم الدين) ليفهم المؤمنون وغير المؤمنون أن قضية الجزاء في العوالم المادية والروحية مرتبطة بيد الله وحده وقد خلق الله عز وجل لها نوااميسها الخاصة والعامة التى اجراها عليها ، فهي قضية محكمة كل الاحكام ، وموزونة بموازين العدل الإلهي المطلق ، الذي لا يفلت من نصيبه منه مثقال ذرة من خير أو شر في العوالم كافة . ومجازاة رب العالمين مرهونة بأوقاتها المرتبطة بها ، وفق تخصيص ارادته سبحانه وتعالى .

فهناك مجازاة الدنيا التي يقول الله فيها . « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحسبه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .
ومنه قوله تعالى :

« فكلما أخذنا بذنبه ، فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من اخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »
وهناك مجازاة الآخرة التي يقول الله فيها « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين . ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم » .
وعلمنا بواقع المعرفة في قضية المجازاة ، وانها بيد مالکها رب العالمين وحده ، ازال من أنفسنا العقائد الوهمية الباطلة التي كانت مهيمنة على الافراد والجماعات ، قبل نزول القرآن .
أجل علمنا بقضية المجازاة التي اوحاها الله بدد من أنفسنا أوهام الفلسفات ، واساطير الوثنيات والاشراك ..

أجل بدد من أنفسنا عقيدة الفوضويين الاباحيين ، الذين ينكرون مطلقاً ان هناك مجازاة على الاعمال ، ويحسبون ان كل ما يأتونه او يدعونه تسيره الاتفاقات ، وبواعث الغرائز ودوافع العواطف . ومكاسب العيش ، كما يرون حدود الشرائع ، والمنطق ثباتاً فضفاضة يوارى الانسان فيها عبثه بالمجازاة واقتلع من أنفسنا العقائد الوثنية التي تطرح ارادتنا وعباداتنا ومراقباتنا واعمالنا ومحاولنا في أيدي أمثالنا من أفراد العوالم المؤهلة التي كانت تفرض علينا أن ندين بأنها تملك وحدها مجازاتها . وخلص عبادتنا وضراعاتنا وتوسلاتنا وادعيتنا من اشراك غير الخالق العظيم مع الخالق العظيم فكم من اعجاز في هذه الآية .

مالك يوم الدين

فيها جملة تفصيلات واليك هي ..

١ — ورد اطلاق يوم الدين على يوم القيامة . لاختصاصه بالجزاء على العقائد الباطلة . بالنسبة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والانباء والعالم الثاني ، ولاختصاصه ايضاً بجزاء الذين يفلتون من العقوبات المشروعة على ما يقترفون من مآثم ومظالم في الدنيا وقل مثل ذلك في سواها . ولكن اطلاق يوم الدين ، على يوم القيامة لا يمنع اطلاقه على مجازاة الله في الدنيا على بعض اعمال الخير والشر كبر الوالدين أو عقوقهما ، وانفاق الأموال في الاصلاح أو الافساد ، وصلة الرحم او قطيعته ، والصدق أو الكذب ، والوفاء أو الغدر ، وسوى ذلك مما يرى الناس أثره واضحاً بينهم .

٢ — مالك يوم الدين

معلوم ان الله كما يملك الوقت المناسب للجزاء على الخير والشر في الدنيا والآخرة ، يملك الوقت المناسب للعفو . أيضاً ولكن الله لم يذكر العفو في الآية . (مالك يوم الدين) والعفوسيراً على طريقة الاكتفاء المتبعة في القرآن المجيد لدى ظهور المقصود مثل قوله تعالى : (سراييل تقيكم الحر) أي والبرد ومثل قوله تعالى : (ورب المشارق) أي والمغارب .

٣ — مالك يوم الدين

قد تساءل بعض الكتاتين في مدلول الآية : « لم لم يكن لفظ العفو هو المذكور في الآية . ولفظ الدين هو المحذوف »

والاجابة على هذا السؤال تجده موضحاً في النقاط الآتية :

أ : الجزء هو الأصل في مقابلة الأعمال . اما العفو فهو فضل من الله يختص به من يشاء من عباده . لذلك كان المحذوف .

ب : الجزء يخص ناحيتين : الجزء على الحسنة بالحسنة والجزاء على السيئة بالسيئة . اما العفو فانه يخص ناحية واحدة هي العفو عن عمل السيئات ، لذلك كان المحذوف هو العفو .

ج : في تخصيص ان رب العالمين يملك الجزء وحده مع العلم أنه لا يضل ، ولا ينسى . دفع للناس جميعاً على ايثار عمل الخير . وزجر لهم عن مقارفة عمل الشر . حتى لا يتكلموا على العفو .

فوائد مالك يوم الدين

ان الدارس لما تحمل هذه الآية الكريمة من المعاني والمقاصد السامية ، التي تضيء الطريق ، وتكشف الحقيقة ، لا يسعه الا ان يختر ساجداً لرب العالمين ، منزل القرآن المجيد . ها نحن أولاء نجد في اضافة الجزء الى الزمن « يوم الدين » . وفي اعلان ان رب العالمين وحده هو الذي يملك وقت الجزء نجد جملة فوائد قيمة .

١ — نجد تحرير العقلية الانسانية التي انحطت مجموعتها النفسية بخضوعها لسلطة الكهنة ، والآلهة المتخذة من افراد العوام . المعتقد أنها تملك الجزء والعفو .

٢ — ونجد في اضافة الجزء الى الزمن ، أن للاجزية اوقاتاً خاصة بالآخرة ، كالاجزية المعينة للمؤمنين والكافرين والاخيار والاشرار بصورة عامة ، في عالمي النعيم والعذاب . كما نجد أجزية كثيرة خاصة بالدنيا ... كما تقدم . وأجزية الدنيا مذكورة في بحوث العقوبات .

٣ — ونجد في إعلان أن رب العالمين وحده هو الذي يملك الجزاء والعفو . اقتلاعاً للمخاوف والمزعجات من النفوس الواهنة الضعيفة ، التي تصدق أن مثل هذا الامر يدخل في سلطان فرد من افراد العالمين . واطلاقاً للحرية العلمية التي كانت تخاف بطش الآلهة الموهومة في الاشياء . ان هي أقبلت على درسها وبحثها وتعمق واقع المعرفة فيها : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) .

٤ — نجد في إعلان أن رب العالمين هو وحده الذي يملك الاجزية على أعمال العباد . بشارة تؤكد الجزاء الحسن للمحسنين الذين يحسبون أن حسناتهم تذهب سدى حين يحجدها الجاحدون ، ويقابلونها بالأذى : « وهل جزاء الاحسان الا الاحسان » وانذاراً بالجزاء السيئ للمجرمين الذين يخفون جرائمهم بكل ما لديهم من ذكاء شرير . ويحسبون بذلك انهم افلتوا من العقوبة . اننى يفتنون ، ورب العالمين هو «مالك يوم الدين» ؟!

٥ — وجاءت آية «مالك يوم الدين» بعد آية الرحمن الرحيم لفهم ان المجازاة هي من مقاصد الرحمة الإلهية لأن الاعمال اذا تخلت عنها المجازاة والمسؤوليات من الخالق العظيم . انتجت الفوضى والاضطراب والظلم الذي هو عين العذاب .

وهكذا يحل الانتقام محل العفو ، والشر محل الخير ، والفساد محل الصلاح ، والطمع محل القناعة ، والعداوة محل المحبة ، والكفر محل الايمان ، والعصيان محل الطاعة ، حتى تصبح الحياة جحيماً لا يطاق .

ولأجل أن يفهم الناس جميعاً ان المجازاة هي عين الرحمة الإلهية أردف قوله تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) والمقصود أن يفهم الناس أن المجازاة هي من صميم الرحمة الإلهية وضعها الله في صميم نواميس الكون . خذ مثلاً المجازاة بالترلة الصدرية لمن خرج من الحمام أو بعد العمل المضني المسيل للعرق . الى الجواب البارد .

وخذ مثلاً مجازاة الجماعة العاملة الواعية المجدة المتحدة ، بالمجد والسؤدد وراحة الضمير وسعادة العيش ، والجماعة الخاملة المتواكلة الفاسدة الخلق بالدلة والهوان والفرقة والشتات والاستعباد .

اياك نعبد واياك نستعين

مدلولات الالفاظ

(اياك) ضمير نصب وضمير النصب اذا قدم على الفعل افاد الحصر . والمقصود حصر العبادة والاستعانة برب العالمين .

(العبادة) في اللغة : هي أعمال ذات صور وكميات خاصة مشعرة بالخضوع التام للمعبود ، سواء كانت موجهة الى رب العالمين أو الى سواه من أفراد العالمين من روح أو مادة . وفي الشريعة لا تصدق لفظة العبادة الا على العبادة المشروعة في صورها وكمياتها الموجهة الى رب العالمين مباشرة من غير شريك أو واسطة ، فان اوجعت الى أي فرد من أفراد العالمين باعتبار أنه رب العالمين ، كانت وثنية ، ولا يصدق عليها عبادة في الشرع ، كالذين يعبدون الشمس معتقدين ان الله روح ازلية بسيطة حالة فيها . وان وجهت العبادة الى رب العالمين ، ولكن بواسطة شريك من أفراد العالمين كانت اشراكا ، ولا يصدق عليها عبادة في الشرع . كالذين يعبدون أي فرد من أفراد العالمين سواء كان روحاً كالملائكة والجن والشياطين . أو مادة كالشجر والنجوم والأوثان والأصنام يعبدونها باعتبار أن عبادتها تقرب الى الله زلفى : «وما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى» .

والخلاصة أن العبادة المقصودة هنا ، هي العبادة الشرعية المطلوبة من الخالق العظيم في صورها وكمياتها الموجهة اليه وحده من غير شريك ، وهذه هي العبادة الشرعية المقبولة لديه سبحانه وتعالى ، وما عداها من أنواع العبادات فهي الحاد وكفر .

١ — كالعبادة المطلوبة من الله تعالى ، ولكنها موجهة الى سواه ، كالذي يصلي الصلاة المفروضة ، ولكن يوجهها الى رب متخذ من أفراد الكائنات . وكونها على صورة العبادة المفروضة لا يخرجها عن نطاق الاحاد والكفر .

٢ — ان تكون العبادة غير مطلوبة من الله عز وجل . ولكنها موجهة اليه وحده ، وهذه العبادة محرمة ، لأن الله لم يكلف بها عبادة ، ونسبتها الى الله والى رسوله كفر وافك .

٣ — ان تكون العبادة غير موجهة الى الله عز وجل ، ولا مطلوبة منه ، وهذه هي ايضاً كفر محض .

بيان

ان العبادة هي الخضوع التام ، المقترن بالايمان الصادق ، بأن المعبود هو الله الخالق العظيم القادر على كل شيء ، الذي بيده وحده أمر الخلائق أجمعين ايجاداً واعداماً .

فاذا كان ثم خضوع بلغ الغاية ، كالذي يخضع لرئيس أو غني ظاهراً ، فهو ليس عبادة ، لأنه يفعل ذلك ظاهراً أي من غير عقيدة أنه الله أو شريك له . على أن هذا الاعتقاد لو حصل من شخص لاي شيء غير الله فهو كفر ، والخضوع الظاهري المماثل للعبادة محرم في الاسلام ، وهو غير خضوع الطاعة المفروضة على الافراد والجماعات لأولي الأمر ، فيما يأمرهم به لحفظ الحياة وإقامة الملك واسدال الامن وتوفير أسباب المعيشة والمجد ، وإقامة معالم الشرع الشريف .

النهاية

قد اختلط الامر ، على بعض الكاتبين ، بين العبادة في الشرع ، وفي اللغة فقال :
« ان العبادة حتى في اللغة لا تطلق الا على العبادة الصحيحة الموجهة ، الى الله وحده من غير شريك »

وهذا القول يدل ان هذا الكاتب لم يطلع حتى على نصوص القرآن التي جاء فيها اطلاق لفظ عبادة على عبادة غير الله قال الله تعالى : « قالوا اجئتنا لتعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » وقال تعالى ايضاً « اذ قال لآبيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر » .

وياك نستعين

الاستعانة في اللغة : هي طلب المعونة ممن ترى فيه القدرة عليها ، سواء كان المستعان به الله رب العالمين ، او سواه من افراد العالمين ، ولا دخل لصحة العقيدة أو فسادها في اللغة .
والاستعانة في الشريعة ، هي طلب المعونة من الله رب العالمين وحده .
وهي قسمان : استعانة مباشرة ، واستعانة بالواسطة .

١ — الاستعانة المباشرة

هي طلب المعونة من الله مباشرة للوصول الى الأمور التي لم يخلق لها اسباباً في محيط العوالم تطلب من غيره كالاستعانة بالله في طلب الهداية الى الصراط المستقيم ، أو في طلب إطالة العمر ، أو في طلب دخول عالم النعيم ، او غفران الذنوب ، او قبول العبادة ، أو قضاء الحاجات ، وهذه الاستعانة اذا وجهت الى غير الله كانت كفراً .

الاستعانة بالواسطة

هي الاستعانة بالأسباب المخلوقة في محيط العوالم ، ليصل بها المستعين الى الحاجات المطلوبة ، كالاستعانة بالنار التي جعلها الله سبباً للاحراق ولطهي الطعام . والاستعانة بالنور الذي جعله الله سبباً للاضاءة . وكالاستعانة بالجيش الذي جعله الله سبباً للقوة والمنعة . وكالسعي

الذي جعله الله سبباً لنيل الرزق . ولا ريب ان الاستعانة بالأسباب التي خلقها الله لنيل مسبباتها مشروعة في الاسلام . ما دام المستعين يؤمن كل الايمان بأن الله وحده هو الفعال الحقيقي . وبأن السبب انما كان سبباً بقدرته تعالى . ولو شاء الله لأبطله ، كما حصل لسيدنا ابراهيم فعلاً ، حين القاه قومه في النار . فلم تحرقه . لأن الله سلبها فاعلية الاحراق « يا ناركوني برداً وسلاماً على ابراهيم » .

والخلاصة ان الاستعانة المقصودة ، في قوله تعالى وإياك نستعين . هي ان يعتقد المؤمن ان المستعان به في كل الأمور والاحوال هو الله وحده . سواء كانت الاستعانة به مباشرة أو بالواسطة ، كما أن كل عبادة مشروعة موجهة الى رب العالمين وحده هي استعانة به بطلب مرضاته .

تمهيد

لما كان الايمان الصحيح برب العالمين وحده يقوم على ركنين اساسيين ، هما خلوص العبادة لله . وخلوص الاستعانة به قرنهما الله في الآية : (اياك نعبد وإياك نستعين) . قرنهما لأن كل استعانة تنجيء وفق عقيدة الاسلام الصحيحة هي عبادة كما أن كل عبادة ، تنجيء وفق ما شرعه الله ، هي استعانة بالله عز وجل لنيل رضاه . وهكذا نتحقق ان الذي ينحرف عن أحد هذين الركنين بأن يعبد غير الله ، أو يستعين بسواه ، فانه لا يكون مؤمناً .

مقاصد الآية

جاء رسول الانسانية الأكبر سيدنا محمد ﷺ ، والجماعات والافراد ، غارقون في ارجاس الوثنية والاشراك ، ولم يجد بينهم من يتوجه بعبادته ، أو استعانته الى رب العالمين وحده . لذلك انزل الله هذه الآية (اياك نعبد وإياك نستعين) لينهض بالانسانية جمعاء الى نور التوحيد المطلق ، الذي يفرض قصر العبادة والاستعانة على الله وحده .

وفما يلي نجمل مقاصد اعجاز الآية :

١ — في الآية (اياك نعبد وإياك نستعين) حث على دعوة الناس ، الى عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه ، وصرهم عن عبدة غيره ، والاستعانة به . لأن المصلي المسلم ، ولو كان في بلاد ليس فيها سواه مصل لله وحده ، فانه يفرض عليه أن يقول في صلاته ، « اياك نعبد

واياك نستعين» ولا يجوز ان يقول (اياك اعبد واياك استعين) ، احتفاظاً بالنص الحاث على ايجاد الجماعة المؤمنة ، في عالم الصور ، والذويان فيها .

أجل يفرض على المصلي ان يقول (اياك نعبد واياك نستعين) بالنون الدالة على الجمع ، كما انزل الله الآية وفي ذلك حث على توجيه الدعوة الى اخوته في الانسانية ، ليشاركوه في هذا الخير الالهي الكبير . وهذا ما كان من حال الاسوة الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان متوجهاً بكل امكانياته لتحقيق مقصود هذه الآية الكريمة ، اذ كان يدعو الناس في مكة وسواها الى مشاركته في عبادة الله وحده حتى كثر سواد العابدين . وواضح ان عمل الاسوة الأعظم ، هو الطريق المستقيم الذي يجب السير عليه ، لأنه طريق وحي الله .

٢ — في الآية ايضاً بشرى بالتوفيق المؤكد ، لكل داعية يدعو الناس الى عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه ، فان المسلمين قديماً ، لما فهموا الغاية من هذه الآية الكريمة واطلصوا في اداء واجبه ، تجاه الله ملاً الله قلوب الناس ثقة بهم واخذوا بطريقهم ، حتى كنت ترى الفرد يدخل البلدة متاجراً او متجولاً أو سائحاً ، فلا يلبث بعد ايام قلائل حتى يصبح جمعاً غفيراً ، بما يسلم على يده . اجل ان الآية بشرى بالتوفيق لكل داعية منذ اليوم الاول الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ . وتم توفيقه بالسرعة العجيبة التي يذكرها لنا التاريخ ، فأصبحت جماعته خير امة أخرجت للناس ، بما حملت للناس من خير الدنيا والآخرة .

٣ — في الآية اعجاز غيبي . لأن هذه السورة هي أول سورة تامة نزلت من الوحي ، وحين نزلت لم يكن مع رسول الله ﷺ جماعة كبرى تعبد الله وحده ، وتستعين به ، ومع ذلك نزلت الآية بالجمع ايذاناً من الله بأن كثيراً من الناس سيشترون معه في العبادة والاستعانة بالخالق العظيم وحده وقد كان . فما هي الا ايام قلائل حتى بدأ الناس يدخلون في الاسلام ، ويشترون مع رسول الله ﷺ في عبادة الله وحده ، والاستعانة به دون سواه .

وما زال الناس يدخلون حتى عم شطر الكرة الارضية وسيعمها جميعاً ان شاء الله ، وهذا أمر لا بد منه ، لأن الله عز وجل بشر به الانسانية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » وفي هذا المقصد يقول عليه الصلاة والسلام « سيدخل هذا الدين الى ما دخل عليه الليل » .

٤ — في الآية تفضيل العبادة الجماعية على العبادة الفردية لأن النون تشير الى الجماعة « اياك نعبد واياك نستعين » . ولما كان مقام العبادة والاستعانة ، يقتضي التذلل والخضوع ، لا تعظيم النفس ، فهما ان المقصود هو الجماعة .

فان قلت المراد ان يشترك العابدون في الصلاة وان يكون بينهم التعاون . فصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام (صلاة الجماعة تفضل صلاة الغد بسبع وعشرين درجة) .
والواقع ان الأعمال التي تقوم بها الجماعة أجدى وأنفع وهي مقرونة إبدأً بالتوفيق .
٥ — لأن كرم المولى عز وجل ، يمنع ان يقبل صلاة البعض دون البعض ، بعد النداء من الجميع بصدق الايمان « اياك نعبد واياك نستعين » .

وهذه المدلولات صباية من بحر اعجاز الآية الكريمة ، ولعل الله عز وجل ، يوجد في الامة علماء ابراراً يبذلون من الجهود العلمية ما يكتشفون بها الكثير الكثير مما في آيات القرآن المجيد من كبير الاعجاز .

اهدنا الصراط المستقيم

معاني الالفاظ

(الهداية) تدل هذه اللفظة على معان ثلاث

١ — تدل على الدلالة المصحوبة بالتبيين والارشاد . وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى : (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ومنه قوله تعالى : (وهديناه النجدين) أي دللناه مرشدين مبينين له طريق الخير وطريق الشر ، ومنه قوله تعالى (وانك لتهدي الى طريق مستقيم) اي انك لتدل مبينا مرشدا الطريق المستقيم .

٢ — تدل على الالهام المسير وفق السنن المفروضة ومنه قوله تعالى : (هو الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) أي هو الذي خلق لخلق كل قوى الالهام المركز وفق وظائف السنن المقدرة المنظمة ، وهذا العقل الالهامي يسميه علماء النفس العقل الاشعوري وهو أشبه شيء بالعقل الآلي الذي يسير الطائرة الخالية من طيار مسير . والمقصود القوى المخلوقة المقترنة بالعقل الالهامي الذي تحقق به كل ما خلقها الله لأجله ، على أحسن ما يمكن ان تحققه لو كانت مدبركة لبواعث الالهام ومعارفه فيها ، من غير تخلف سواء كان ما خلقت لأجله كائنا في تكوينها الطبيعي كعملية هضم الطعام وتحويله الى دم لتطوي خلايا كل عضو ما تحتاجه لتجدها سواء كان العضو صلباً كالأظفار والشعر أو رخصاً كالجلد . أو كان صادراً عنها كخلية العسل التي هي صنعة دقيقة رائعة مركزة احاسيس الهامها في أعماق أعصاب النحل فهي تتحرك . وتغدو وتروح وتعمل حسب معارف الإلهام الفطرية التي أودعها الله في أعماق اعصابها الحساسة المتحركة تحركاً تلقائياً مقدوراً مسيراً بيد قدرة الله ، وفيه جاء قوله تعالى (فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) .

١ — الهداية تدل على التوفيق المصحوب بالتوجيه الإلهي ، للوصول الى المطلوب مع ازالة العثرات والموانع ، التي تعترض الطريق . وهذا المعنى هو المقصود من قوله تعالى : (ليس عليك هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء) . ومنه قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) .

المقصود الاجمالي

جاء خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ . وقد كانت كل جماعة من الجماعات البشرية غير مهتدية الى الطريق المستقيم في ايمانها بالخالق العظيم . وفي عبادتها له ، واستعانتها به ، وفي اتباعها للحق .

والسبب في ذلك هو سيرها في أحد الطرق الثلاثة المعوجة

١ — طريق الوثنية أي طريق تأليه اشياء الوجود ، المادية أو الروحية أوهما معا .

٢ — طريق الاشراك أي طريق اشراك اشياء الوجود في العبادة مع الخالق العظيم .

٣ — طريق الدهرية أي طريق جحود وجود الخالق العظيم .

ومع كل هذا الاغواج الفظيع في الطرق المسلوكة ، فان كان جماعة تعتقد ان طريقها وحده ، هو الطريق المستقيم وان طريق سواها هو الطريق الضال المنحرف عن طريق واقع المعرفة . والواقع أن هذا الاعتقاد زائف كل الزيف إذ فيه قطيعة للرحم الانساني . وصرف للجماعات والافرد عن طلب الهداية من الخالق العظيم الى الصراط المستقيم . وبعد عن الرغبة في الوصول الى الحق ، والهدي وواقع المعرفة .

ولإصلاح هذه الحال النفسية المعوجة ، المعقدة وللنهوض بها الى ايثار المثل العليا التي أوحاها الله لإسعاد الإنسانية في العالمين ، أنزل في أم الكتاب «أهدنا الصراط المستقيم» .

وفي هذا الطلب توجيه لذوي الطرق المعوجة الثلاثة الى نبذها . والعمل للوصول الى الطريق المستقيم ، كما فيه توجيه للسالكين الطريق المستقيم ، ان يستمسكوا به ، ويعضوا عليه بالنواجذ ، اذ في الاستقامة عليه نيل السعادة الابدية .

وهذا بعض ما في الآية من اعجاز المعاني المذخورة كنوزها القيمة فيها .

الصراط المستقيم

نلمس اعجاز القرآن المعنوي ، في « مثله العليا » التي تشتمل عليها آياته في صور رائعة واسعة ، على الرغم من وضعها في الفاظ انسانية محدودة .

ومظهر هذا الاعجاز المعنوي ، في آيات القرآن ، أننا نجد الآية تشتمل على جملة من المعاني ذات الاتصال العميق بألوان الحياة في كل عصر وجيل ، اشبالاً واقعياً ملموساً .

ومن ينبوع هذه المعاني المتجددة المطردة في الفاظ آيات القرآن ، يغترف الكاتبون ما شاء الله أن يغترفوا . من بحوث مستفيضة حول اعجاز القرآن المجيد . خذ مثلاً معنى لفظة «الكوثر» المذكورة في قوله تعالى : «إنا اعطيناك الكوثر» .

فانك تجد جماعة قالوا إن المراد من لفظة الكوثر :

١ — « هو القرآن المجيد »

٢ — وآخرون قالوا « إنه الاسلام » .

٢ — وآخرون قالوا « إنه نهر في الجنة »

٤ — وسواهم أكدوا : « انه النبوة » .

وواقع معنى اللفظ يدل على جملة ما قالوا ، لأن معنى الكوثر الأصيل في اللغة هو الخير الكثير . وكل ما ذكره من المقاصد مندرج تحت الخير الكثير الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ .
وصفوة القول ان اعجاز القرآن يتجلى ، في مقاصد الالفاظ القرآنية ، بصورة جد قوية وجد واضحة ...

وهذا الاعجاز المعنوي نفسه نجده هنا حول الآية « الصراط المستقيم » .

١ — هذا ابن عباس يقول عنه « إنه الدين الحق »

٢ — وهذا ابن مسعود يقول عنه « انه الاسلام »

٣ — وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول عنه « انه القرآن المجيد » .

٤ — وهذا مجاهد يقول عنه « انه الحق » .

٥ — وهذا أبو العالية يقول عنه « إنه النبي » .

والواقع أن كل هذه المقاصد صحيحة ، لأنها تلتقي في محيط المعنى الكلي المشتمل عليه « الصراط المستقيم » .

وهذا المعنى الكلي مودع في لفظي الصراط المستقيم . قصداً ، لأنه مظهر الاعجاز المعنوي ، في كتاب الله عز وجل .

اذ نفهم بصراحة ووضوح ، ان الذي يهتدي الى الدين الحق أو الى الإسلام ، أو الى القرآن المجيد ، أو الى الحق ، أو الى اتباع النبي ، فقد اهتدى الى الصراط المستقيم .

والخلاصة أن في جملة « اهدنا الصراط المستقيم » حث للناس جميعاً سواء كانوا من أمة الاجابة ، أو من أمة الدعوة ، على أن يلجأوا الى رب العالمين ، ليطلبوا منه الدعوة الى الصراط المستقيم .

ولئن كان الطلب من أمة الدعوة ظاهر النفع فانه من أمة الاجابة أظهر ، لأن نيل سعادة السير على الصراط المستقيم ، لا يتم الا بالثبات عليه . لأن الانسان كثير التقلب ، وفي كل لحظة لا يأمن من نفسه الانحراف عن الصراط المستقيم . ومن هنا ندرك الحكمة في فرض تلاوتها والدعاء بها في الصلوات جميعاً .

ذلك لأن طلب السالكين الصراط المستقيم ، الثبات عليه والهداية اليه ، فيه حث كبير للمنحرفين عنه ، أن يسألوا الله الهداية اليه ، والالحاح في الطلب . لا بد أنه يؤدي الى الاجابة ، كما قالوا «ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ» .

وفي طلب الهداية ايقاظ لروح البحث والدرس ، عن معرفة واقع «الصراط المستقيم» ، لأن طلب الشيء يقتضي معرفته معرفةً محررةً صحيحة . والمعرفة المحررة الصحيحة ، توجب الانطلاق والحرية والمقارنة الدقيقة الصادقة ، وسوى ذلك من الوسائل التي تؤدي الى الوصول الى واقع معرفة الصراط المستقيم .

اذ ليس في الوجود من يحترم العلم ، وواقع المعرفة ، ويؤمن بالله . فوق مصالحه الخاصة ، ثم لا يطلب معرفة الصراط المستقيم ، الذي يحقق له السعادة الابدية . اللهم الا أن يكون ملحدًا مأجوراً يرتدي لباس الانتساب الى الدين نفاقاً ، أو سطحيًا غيباً لا يفرق بين النور والظلام والحق والباطل والسعادة والشقاء .

« صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »
مدلولات الالفاظ

الصراط : المقصود منه هنا : طريق الايمان الصحيح .
انعمت عليهم : أي أحسنت إليهم بما أقر أعينهم بتوفيقهم الى سلوك طريق الايمان المستقيم ..

والنعم عليهم أربعة أصناف

١ — الانبياء ٢ — الصديقون ٣ — الشهداء ٤ — الصالحون كما ذكرهم الله عز وجل :
«ومن يطع الله والرسول . فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا» .

المغضوب عليهم

الغضب : السخط وهو ضد الرضا ، والمقصود بهم في الآية : الذين يعرفون طريق الحق المستقيم ، الذي سلكه رسل الله ، واتباعهم الابرار ، ولكنهم ينحرفون عنه استخفافاً به ، او ايثاراً لمصالحهم الخاصة ، أو عصبية لتقاليدهم ، وما حكم الله على هؤلاء بغضبه عليهم ، الا لأنهم يعرفون طريق الحق المستقيم ، وينحرفون عنه عامدين .

ولعل دهشة الذين يقولون : « هل في الوجود الانساني ، من يعرفون طريق الحق المستقيم ، ويعرضون عنه عامدين » . تتلاشى حين نقول لهم : « إن رسول الله ﷺ ، لما هاجر الى المدينة المنورة ، اصر اليهود على تكذيبه ، مع أنهم يعرفون صدقه ، كما يعرفون ابناءهم . يعرفونها من نبوات انبيائهم المسطورة لديهم في العهد القديم ، بل وقد كانوا يبشرون العرب بمجيئه ، ويهددونهم به . ويعرفونها من الآيات البيّنات التي كانوا يشاهدونها في شخصه ، وفي اعماله واقواله واحواله ومعجزاته ، وما انزل عليه من وحي وفي هذا الامر جاءت الآية الكريمة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا ، كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ولا عجب اذا لم يؤمن اليهود ولم يكلفوا عن تأليهم الناس عليه ، مع وجود تلك الآيات البيّنات فقد فعلوا مثل ذلك من قبل مع سيدنا المسيح (ع) .

(لا) هنا بمعنى غير ، وهي تفيد التأكيد المعنوي ، ومحىء (لا) بمعنى غير معهود في اللغة العربية . ومنه قولهم : « جئت بلا زاد » أي بغير زاد وقد فسروا غير بمعنى لا في قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغٍ » اذ قالوا لا هنا بمعنى غير أي فمن اضطر لا باغياً .

الضالين

أي التائهين مفردا ضال يقال ضل الطريق أو عن الطريق ، اذا تاه عنه من غير قصد . ومنه قوله تعالى في حق رسول الله ﷺ « ووجدك ضالا فهدى » . ولا ريب ان النبي ﷺ كان تائهاً عن الطريق الذي يسلكه في انقاذ الانسانية من كثرة الطرق المعوجة التي كانت الانسانية تائهة فيها . فهداه الله الى الطريق المستقيم بما أنزل عليه من كتاب ...

أجل لما أرسل الله خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ كان أكثر أهل الأرض تائهين عن طريق الحق المستقيم ، غير عامدين . بسبب أنهم أعطوا آباءهم ومرشديهم وتقاليدهم وموروثاتهم . الثقة العمياء ، واطمأنوا الى توجيههم ، وما ركزوا في أنفسهم من عقائد ، ولم يهتموا أن يمتحنوا تلكم العقائد على ضوء واقع المعرفة ، ليدركوا أنهم تائهون عن الصراط المستقيم .

وقد كان الرومان وثنيين ، يعتقدون أن الله روح يحل في انصابهم المعبودة ، شأن الوثنيين في كل أمة . فلما تنصروا عام ٣١٣ م على يد قسطنطين ، تاهوا عن الصراط المستقيم ، الذي أرسل لأجل الهداية اليه ، سيدنا المسيح والرسول من قبل .

وسبب ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من عقيدة أن الله روح تحل في الأشياء المعبودة ، كل التخلص . بل ظلت بقاياها كامنة في أعماق نفوسهم . وبهذا الاعتبار عبدوا سيدنا المسيح ، وناهوا عن الصراط المستقيم ، الذي جاء سيدنا المسيح للهداية اليه . هذا حال النصارى الذين كانوا في عصر صاحب الرسالة سيدنا محمد . الا قليلا منهم ، كالأروبيين الذين لم ينحرفوا . لذلك قالوا عن أولئك أنهم تائبون .

وعلى ضوء هذا البيان الذي يمكنك أن تدرك منه أن كل منحرف عن الصراط المستقيم ، وهو لعلمه هو من المغضرب عليهم . ولو كان في الأصل مسيحياً أو مسلماً كالإسماعيلية الذين الهوا اغاخان أوسواهما . وان كل تائه عن جهل هو ضال ، ولو كان يهودياً في الأصل ، فالعبرة بالواقع .

وقد فطن الى هذه الحقيقة ابن كثير فقال : « ان أخص صفات اليهود هو الانحراف عن العلم ، وان أخص صفات النصارى هو الانحراف عن الجهل » . لأن كثيراً منهم متى عرفوا الحق يؤيدوه وينصروه ، بكل صدق وإخلاص ، وهم كثيرون في امريكا واوروبا لا يحصون عدداً . ومؤلفاتهم لا تزال منتشرة في أشهر لغات العالم ... وقد جاء في وصفهم قول الله عز وجل . « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

هذه المحاضرة القيت في الكلية الشرعية
مرة وعلى شباب عباد الرحمن أخرى .

الخلايق المدركة صنفان

صنف خلقوا مجبورين على فعل الخير وهم الملائكة كافة . وصنف خلقوا مخيرين أي في استطاعتهم فعل الخير وحده أو فعل الشر وحده ، أو فعلهما معاً وهم الانس والجن والشياطين فئة من الجن «إن إبليس كان من الجن» . وإذا أردنا ان نتأكد ان الله خلقنا مخيرين ، وان هذا التخيير مودع في أصل فطرتنا وارادتنا ، فما علينا الا ان نتدبر قوله تعالى : «وهديناه النجدين» أي دللناه . فلو لم يكن الانسان مخيراً في سلوك طريق الخير أو في سلوك طريق الشر ، أو في سلوكهما معاً ، لم يكن أي معنى لهذه الدلالة .

نعم للانسان أعمال جبرية ، لا يد لارادته فيها ، كعملية التنفس ، والدورة الدموية ، وخضوعه لنظام الجاذبية ، وحاجته الى تناول الطعام والشراب ، وانتهاء جسده الى الفناء ، وسوى ذلك من الاعمال التي لا دخل للارادة الانسانية فيها . ولكن وجود هذه الاعمال الجبرية ، لا يمنع من وجود الاعمال الاختيارية التي هي مناط التكاليف والمسؤوليات . كالايمان بوجود الله ، وعدم الايمان ، وكتصديق هذا الدين دون ذلك وكالاقبال على هذا الفعل ، سواء كان خيراً أو شراً ، دون ذلك . وليبان هذا القسم من الافعال الانسانية الحرة المتروكة لمشئة الانسان جاء قوله تعالى : «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» . ولتوجيه هذا الجزء الاختياري من أفعال الانسان الى الصراط المستقيم الذي سلكه رسول الله وأتباعه الهداة الأبرار .

أنزل الله في أم الكتاب لتتلى في كل صلاة

هذه الآية «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

الضالين» .

والخلاصة أن انزال هذه الآية في أم الكتاب الواجب تلاوتها في كل صلاة برهان قطعي على إثبات حرية الانسان الاختيارية لأنه لو لم يكن حراً ، لكان مثل هذا الطلب من العيب بمكان . وهذا محال أن يكون في كتاب الله عز وجل . وواضح أن المقصود من هذا الطلب «اهدنا الصراط المستقيم» . هو أن نبذل كل ما في وسعنا من عزائم ، وكل ما في قلوبنا من ضراعة ، لطلب الهداية التي لا تتم إلا بتوفيق الله عز وجل .

وهذا من أدب رسل الله ، فانهم يبذلون كل ما يستطيعون من امكانيات مع الاحاح في طلب التوفيق ، من المولى الكريم .

هذه صباية مما فتح الله علي من اعجاز أم الكتاب . ولا ريب ان العلماء الفحول سواي سوف يكشفون مما أودع الله فيها من الاعجاز ، الشيء الكثير .

واني اسأل الله ان يعفو عني ان اخطأت في شيء ، أو قصرت مواهبي عن الاحاطة به ، وارجو من أهل الايمان والنصح والمعرفة أن يرشدوني اذا انكشف لهم شيء من ذلك حتى آخذ به .

وأرى من الواجب أن اقول ان الجانب الذي ذكرته من معجزاته أم القرآن . هو غرفة من بحر زاخر .

وهناك المعجزات الروحية ، وهي من صميم اعجاز القرآن المجيد ، ولم اذكرها لأن الذين يُعَنَوْنَ بدراستها هم الذين يهتمون بأسرار الروح وعجائبها . نعم هم كثيرون . ولكن هذه المحاضرة لم تعد لها . وان شاء الله سأخصص محاضرة قيمة للبحوث الروحية ، في أعجاز القرآن المجيد . وقد كتب في هذا الموضوع — اعجاز القرآن الروحي — الدكتور الجليل خالد عطوي نصيف كلمة قيمة ، سأشير اليها ان شاء الله .

وقد القيت هذه المحاضرة ايضاً على فريق الدعاة في قاعة عباد الرحمن وفق الله الجميع للقيام بما فيه الخير والهدى للعرب والمسلمين والناس أجمعين .

قلت ومن أراد التوسعة فليعد الى ابن كثير والمنار وتفسير جزء عمّ للشيخ محمد عبده ...

الجامعة الكبرى

لقى الامير الجليل الشيخ عبدالله الجابر الصباح ، في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٥ م كلمة موجزة كانت بأثرها الكبير ، اصرح الكلمات التي القيت في الاحتفال بمناسبة وضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بجمدون في لبنان تحت رعايته .

قال « اني اكتفي بالقليل من الكلام عن الكثير ، لأنني لست من الخطباء ، حتى يتسنى لي ان أسهب .

وما أنا متخرج من جامعة من الجامعات المنتشرة في المجتمع العربي المعروفة في مصر وسوريا ولبنان ، ولكني متخرج من جامعة هي ارفع وأنبل من كل هاتيك الجامعات هي جامعة كبرى ... »

وسكت هنيهة ، ليكون المحتشدون على استعداد لتلقف اسم الجامعة الكبرى التي تخرج منها . وقد التمت العيون وتألفت الوجوه ، واستطالت الاعناق ، رغبة في معرفتها !

وحين تأكد ان الحماسة قد أخذت من نفوس المحتشدين مأخذها الصامت المتلهف .

قال بصوت أبي اجش ، تشمخ فيه كبرياء الصحراء واعتزازها ، وتسمو فيه اجمادها وتدوم فيه فرسانها وابطالها .

« ألا إن الجامعة الكبرى التي تخرجت منها — هي جامعة الصحراء — الجامعة التي تخرج منها ابطال التاريخ الاسلامي الخالدون ، الذين شيدوا منائر الحضارة ، والمعارف ، والايمان الصادق ، والانسانية السامية في الشرق والغرب » .

وهنا صفق المحتشدون تصفيقاً حاداً متتابعاً ، وفي غمرة هذا التصفيق الحاد ، همس في اذني مسيخ من خلني . « وهل في الصحراء من جامعة سوى جامعة الجذب والحرار والرمال والاكام والشيوخ والقيصوم » ..

همسة همسها المرور وانصرف ، ولكنها اشعلت في نفسي ثورة ملتبة ، وما رأياني مهتاجاً ابداً كاهتياجي ساعة همسها وانصرف ، مسكين ذلك المسيخ ، ومساكين الذين هم على غراره ، فابن الصحراء ، ادري بما أودع الله في جامعة الصحراء من جلال وجلال .

* * * *

في عام ١٩٤٦ . اعترمت مفتي الجمهورية اللبنانية الأكبر ورئيس الكلية الشرعية الاعلى
المرحوم الشيخ محمد توفيق خالد ، ان يصدر باسم الكلية الشرعية مجلة ، تكون أمانة على نشر
الثقافة الإسلامية .

ولما كانت مشاعر الصحراء المقدسة تملأ نفسي ، وهواتفها السحرية ترن في أعماق قلبي ،
ومواسم إجماعها الخالدة تلوح أمام عيني ، اقترحت عليه أن يكون اسم المجلة « وحي الصحراء »
فسر به جداً وقال : انه اسم فيه الهام وتوفيق .

وأي عمل من أعمال الحياة ، اذا لم يكن قوامه الهام وتوفيق . فانه عمل خال من عنصري
الخلود والبركة . وهذان الإلهام والتوفيق ، هما أول ما يكسبه أبناء الصحراء من جامعة
الصحراء^(١) .

والواقع ان جامعة الصحراء موطن الإلهام الروحي العميق ، وموطن التوفيق العملي
المثمر .

فهي الجامعة الوحيدة التي تفعم مشاعر القلوب ، وجواذب النفوس ، ومحالي الافكار ،
بهواتف إجماعها السامي العجيب .

ولعل رواد الصحراء ، لا يجدون لأول وهلة ، ما يجذبهم ، ولعلمهم يظنون على هذا الحال
الموحشة اياماً .

لأن جمال الصحراء المسجي بالحرار الماحلة ، والجبال الجرداء العارية ، وكتبان الرمال
المهيبة ، وسواقي الاعاصير ، ولوافح الرمضاء . لا ينكشف لهم بالسرعة المنتظرة ، لأنه جمال
كان في روح طبيعة الصحراء ، لا في جسدها المتبذل . فلا بد من لهفة وشوق وانعام نظر ،
وتأملات في الأسرار الكبرى الخفية .

ولو أن يد الحظوظ في استطاعتها ان تمزق سجف النوى المسدولة دون ابصارنا ، بعد ليال
من نزولهم الصحراء ، لرأيانهم خشعاً في محرابها الاقدس ، وهم يتعمقون أطيايف زيناتها الروحية
الرائعة على أكف السكينة الصارخة ، في الافاق الحائرة ، والارجاء القلقة ، البعيدة القريبة .
أجل لرأيانهم يتعمقونها بنهامة وشره . ومهما يكشف لهم من ملك كبير ، فان وراءه ملكاً
أكبر ، لا ينتهي وغير منته ابدأ .

ولئن شاهدوا — كما قالوا — أبناء الصحراء ، تسحرهم مفاتن العمران الضاحكة على افواه

(١) حالت ظروف دون اصدار المجلة . والرخصة لا تزال لدي ، فعسى الله أن يلهم رئيس الكلية الشرعية الأعلى الشيخ محمد
علايا بأن يتولى فكرة اصدارها .

الينابيع ، وشواطئ الانهار ، وتروعهم خائل المصايف الفينانة ، التي تنهادى بين افيائها الرمادية الممددة ، اطراف مقمرة مسحورة ، تجر ذيلها الضافية جرا ، وتنشيم نفحات الورد العطرة التي تغشاهم نسائمها المتتابعة ، من هنا ومن هنا ..

فان اولئك المشاهدين ، لو تيسر لهم حيثئذ أن يتعمقوا احاسيس ابناء الصحراء ، ويلتمسوا استجابتها في الصميم الصميم ، لوجدوا تأثيرها بوحى الصحراء ، في ليلة من ليالي المحاق ، أو في ليلة من ليالي القمر ، يفوق في عمقه وجواذبه والهاماته كل معالم العمران . ذلك لأن تأثير العمران في الجسد ، والجسد وما يؤثر فيه فانيان ، وان تأثير الصحراء في الروح ، والروح وما تؤثر فيه خالدان .

والانسان الحي ، هو الروح لا الجسد . فالجسد في كل عقد يتجدد « وأنت بالروح لا بالجسم انسان » .

وهكذا إن عدم رواد الصحراء مباهج الجسد ، فانهم لا يعدمون مباهج الروح .
واذا كان البصر يفتنه جمال العمار الوشيك الزوال ، فان البصيرة تلقف بشراة ملهمة ، جمال الصحراء الروحي .

وان كانت الاذن تنتشي لتغريد الاطيار ، وخرير الانهار . وعزف الاعواد ، فان الروح لتطير نشوى من اهازيج السكينة الصامتة في أعماق الصحراء .

وكون الصحراء تطبع في أنفس ابنائها ، اخلاقها المهذبة الكريمة ، وأعمالها المجيدة الرفيعة ، واحاسيسها السامية النبيلة ، فتلك حقيقة واقعة يعرفها في ابناء الصحراء ، الذين كتب لهم ، ان ينعموا بالصلة بهم . ودرس طباعهم ، وبواعث أمياهم في الصحراء نفسها .

انهم يجدون بعد طول المعاشرة ، وعمق الدراسة ، ودقة المقارنة ، وسداد الرأي :

١ — ان ابناء الصحراء صرحاء الصراحة المتناهية ، فلا حلاوة خادعة لكلامهم في الظاهر ، ولا مرارة قاتلة له في الباطن ، ولا تعرج ولا التواء في طباعهم ، فهم كالصحراء ، يطالعك جفافها في ظاهر شئائهم ، وفي باطنها الوداعة والمودة الصادقة والطيب والعمق ، ولا تفاوت في معاملتهم ، فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين الناس .

٢ — وأنهم ، على الغاية السامية من الايمان بالله وكتبه ورسله ، فلا كفر ولا الحاد ولا شك .

٣ — وأنهم على اسمى ما تكون البطولة والاقدام والصبر الجميل ، واحتمال المشاق لدى الشدائد ، فلا تخيفهم الاحداث ، ولا يكثرثون للموت ، ولا يباليون بما يكون ، اذا سلم شرفهم ومجدهم .

٤ — وأنهم في منتهى الذكاء والوعي ، فلا تفوتهم خلجات النفوس ، ولحات الأفكار ، ووثبات الخواطر . ولا يجهلون اهداف المتصلين بهم ، من الأشرار الطامعين في اقتناص أموالهم ، وان كانوا يلبسون عليهم ، بمظاهر الامانة الماكرة ، والقناعة المصنوعة ، ومرشد البر المكذوب .

٥ — وأن ابناء الصحراء على أرفع درجات الإستمسك بهدى الاسلام ، في الصميم الصميم من أعمالهم . فهم يقدمون على الأخذ بكل ما يدخل في اوامر الله ، من معالم الحضارة الحديثة ، كالأعداد الحربي المتفوق ، الذي يكون في مقدوره حفظ السلام ، والافادة من العلوم الحديثة بأوسع ما للكلمة من مفهوم ، واقتباس الصناعات الراقية ، وكل مقومات الحياة العزيزة المنيعة .

ويرفضون كل ما نهى الله عنه ، من اقامة خمارات ، ومواخير للدعارة ، ومراقص للمومسات ، ومخابىء للقمار ، وسوى ذلك من وسائل الملاهي التي تضحي بالصحة والوقت والمال على مذبح الفرائث العارمة غير المكتوبة بالإيمان .

ذلك لأنهم يشاهدون عياناً أن الامم لا تدفع عنها ، عدوان الطامعين الظالمين ، والغاصبين المعتدين ، بالراقصات والقيان والحانات والمواخير ، ومناضد الميسر ، ومقطعات الغزل الآثم المسمم بعرام الغريزة الجنسية .

ولو كان شيء من ذلك يجدي ساعة تصميم الاعداء على البطش والفتك ، لما تمكن الاسرائيليون الذين سيطروا بدعائهم المتفوق على ثروات الامريكان الضخمة ، أن يظلوا بينهم قابضين على انفسهم السياسية والاقتصادية بيد ويدفعوا باليد الاخرى ، فقراءهم العاطلين في العالم الى الشام ، ويمدوهم بالمال والسلاح ، وينتزعوا بهم من اهلها اقدس مقاطعة فيها — فلسطين — وفي مقاطعات الشام الأخرى — سوريا لبنان شرقي الاردن — الجيوش الجارة ، والفيالق المتكاثفة ، من اولئك العاطلين الآثمين الذين يضحون بكل قوى شعبهم — الثروة والصحة والوقت والحصانة والشوكة والسلطان — على مذبح غريزة الميل الجنسي .

هذه بعض ما تكسبه جامعة الصحراء ، لأبناء الصحراء من مواهب ممتازة .

وكم من اعوام طوال ينفقها الطلاب في جامعاتهم ، وكم من ليال يسهرها فحول الاساتذة . وهم يعدون المحاضرات القيمة ، في شتى ألوان العلوم ، ويختلف النظريات ، ليهيوا الانسانية جيلاً خيراً متساحاً ، يحمل ولو السير اليسير من مواهب أبناء الصحراء ، فلا يظفرون بعد بذل الجهود الجاهدة ، الا بالاخفاق تلو الاخفاق . ذلك لأنهم عجزوا أن ينقلوا الصحراء الى الجامعة ، أو ينقلوا الجامعة الى الصحراء . فان استطاعت الامم في يوم أن تنقل الجامعة الى

الصحراء ، وان تنشئ أبناءها بعيدين عن اوبئة المدن ، وشروطها المتفاقمة ، فانه اليوم الذي تستطيع أن تظفر فيه ، بالانسان المثالي المنتظر .

وأحسب ذلك اليوم قريباً جداً ، فان فكرة انشاء جامعة الصحراء في الصحراء ، قد أخذت مكانها الحي العملي من أنفس رجال الحل والعقد ، في حكومتنا السعودية الرشيدة ، حفظها الله ورعاها ، فقد عين المكان قريباً من العاصمة — الرياض — وسوف يكون انشاء جامعة الصحراء السعودية ، هو أكبر عمل تاريخي بعد الفتوحات الإسلامية الخالدة ، حفظ الله جلالة ملكينا المفدى سعود بن عبد العزيز آل سعود وجعله زخراً للعروة والإسلام .

تعليق حديث للطبعة الثانية على كلمة أمير الكويت الشيخ عبد الله سالم الصباح : نحن الآن في عام ١٤٠٢ هجرية وقد أنعمت الصحراء بالجامعات الكبرى وقد توحدت دول الخليج وأصبحت أمة واحد كأمس وأصبح العالم في الصحراء مثله في المدن . وقريباً تجد كل عربي يتكلم بلغة الفصحى التي كان آباؤه يتكلمون بها وأنزل على مناهجها وحي الله ... هذا قريب بإذن الله ...

الحياة عَرَبَة

كان يتقلب على فراشه الوثير ، ويصرخ صامتاً :

يــــا ويح اهلي ابل بين أعينهم على الفراش وما يدرون ما داني ؟
واسخطه — وإن لبس ثوب الشيخوخة المتهاة — أن اهله كفواً عن انفاق الصفراء
والبيضاء ، لاستئصال دائه ، وما به من داء ، سوى داء الشيخوخة المتداعية .

نعم انه اتكأ على رأس المائة ، كما احصاها الذين لا يعرفون من الحياة ، الا هذه الارقام ،
التي يضيفونها اليها أما هوفانه ينكر حساب الاعمار ، ويحس — وان كان لقي لا يزيد على جذع
النخلة المطروح في حديقة منزله ، انه لم يستنفد بعد شعلة الحياة : أي شعلة شباب القلب
والنفس والفكر . اني يستنفدها والمرء يحس وهو في ساعته الاخيرة أنه لو اعطي عمر الانسانية
جمعاء ، الطويل الطويل ، لما زاد عن عمر الوليد ، الذي يخطفه الموت منذ الاستهلال الأولى .
أجل ، لمس — وهو في سياقة الموت — ان الحياة عربية طائرة مسحورة ، وانها موفورة
بالاحلام المفتونة ، ذات السراب الخداع ، وبالالغاز البعيدة المعقدة . التي لا تحل .

وصرف عينيه الى النافذة المفتوحة حيال مرقده ، يحملق في الفضاء ، كالفلكي الذي أضل
نجماً بين دروب السماء ، ليرحم نفسه بالاعراض عن خبث نظرات العود ، وطوابع وجوههم
المتلفعة شقوق الغنائم ، واذا أطيافها ترف رفاتها الأخيرة ، قبل أن تلفها الظلمات ، وصرخ
احتجاجاً ، لماذا نبذته عربية الحياة وراء غبارها ، نضواً حسيراً ، كأنه شيء تافه لا وزن له ؟ !
اواه اين نفسه الانوفة ؟ التي كان يملكها — بين جنبيه ، أكثر من كل شيء ؟ ما بالها
أخذت تطير شعاعاً ، غير مكترثة به ولا راحمة ، كأنها ما عرفته يوماً .

أما كان منذ أيام يشاطر الناس الحياة ؟ ويفتن بها أكثر مما يفتنون ؟ أما كان حركة دائمة ؟
وقوة لا يستهان بها أما كان يعبر الشبان الخاملين على بأس ، إلا من الواح اكتافهم الطويلة
العريضة ، وسواعدهم المفتولة ، ودماهم المتفجرة في أوجههم ، اذا وجدهم يعدمون جهود
الطموح في نيل اجماد الحياة : بالعزائم الجبارة ، بالمغامرات الشاقة ، بالصبر والاحتمال .

اما الآن — وقد أصبح طريق الفراش — فانه أدرك ان فلسفته التي اعتر بها طول حياته ،
وسود منها في مؤلفاته ما سود ، ما استطاعت أن ترحح عنه هول ما نزل به أو ترجئه اياما ، أو
على الأقل تكشف له هذا الامر الذي آل اليه . ومن أجل ذلك ثارت ثائره الهامدة . واهتاجت
نفسه الخرساء وأخذت تردد ، وهو ساقط على أبواب الآخرة حياتي حياتي .

ولكنه يعود فينكر أن تسمى هاتيك الاحلام الخاطفة التي مرت به حياة حقيقية .
ها هي ذي تودع ذاكرته فصلاً فصلاً ، والناس يجهلون الحياة ، ، فيحسبون المائة عمراً
كاملاً ، ويغبطون صاحبها هذا اذا لم يحسدوه ، أما هو فلم يتبين أن تلك المائة زادت عن الساعة
التي تقضي في قاعة التمثيل .

انه لا يتذكر ابداً ، كيف ركب عربة الحياة — وكيف أفضت به الى حافة القبر؟ كل الذي
يذكره أنها تمددت ، ثم حشرت في هذه اللحظة الخائفة ، كأمواج الهواء تترامى ما تترامى !!
ثم تحشر في مثل كرة القدم ، لتتقاذفها اقدام اللاعبين . تبا للحياة أنها فتانة ختالة ، هذه المائة
التي تحسب عمراً طويلاً ، تتحداها هذه اللحظة في الطول ، وأي اعتبار للمائة أو الألف بالنسبة
لعمر الوجود ، وحظ الانسانية جمعاء من عمر الوجود ، لا يزيد على ساعة من نهار .
آية مائة هذه التي مرت به في مثل شرارة الكهرباء التي تلف الكرة الارضية في الثانية
الواحدة سبعا ؟!

هو لا يتذكر من حياته الا أنه كان جنينا بطيء الحركة ، وأنه ولد هزيعاً كالوشاح البالي ،
وانه ظل راسباً في أرضه أربعة أعوام . حتى مله أبواه لكثرة عله ، وكره الاطباء لقاءه . لفشلهم
في تطييبه ، ومع ذلك فقد ذهبت انذاراتهم بموته سدى .
هذا ما ظل في ذاكرته من حديث أمه عن حياته الأولى المجهولة .

وما عرف نفسه الا طفلاً مروضاً قليل الحركة ، ينظر الى اترابه والى عبثهم المشوق ، وجلبتهم
الصاخبة نظرة الغريب المريب ، غير مكترث لهذا الموت ، الذي يقاومه أبواه عنه ويحذرانه
عليه . لأنه كان شبحاً هائماً في سوارح أحلام الطفولة ، غير مفتون بتهاويلها السحرية ...
وانطوى فصل الطفولة ، واسدل الستار ، وهو لا يدري كيف انطوى ، ولا كيف اسدل .
لأنه لم يلف نفسه الا وهو في دور الشباب ، بين رفاق زهر مثقفين ، يغدووا باهم قوياً شديداً ،
تظللهم خيائل أحلام ذهبية ناعمة ، زوت عنه لفحات سموم الحياة المحرق ، بندى افيائها وطيوب
ازهارها وتغريد اطيائها .

ومرأة الشباب تضخم ما تمسه ، كالحري يحكي انتفاخاً صولة الاسد ، فكان بقليل العلم يرى
نفسه فيلسوفاً ، وبخدعة الاماني يرى نفسه سعيداً . وكم مرة تمثل بين اترابه برعونة قول
المتنبسي ، اعتزازاً بكبريائه :

أي	محـل	أرتقي	أي	عظـم	انقي
وكل	ما	قد خلق	الله	ومـ	لم يخلق
محتقر	في	همتي	كشعرة	في	مفرقي

وكم مرة لعن وجدف واتخذ من معارف العلماء ومؤلفاتهم وسيرهم ، صحائف سخريته ،
ليخدع الناس أنه وحده الانسان الكامل المحرر ، الذي تعمق في مجوئه ، حتى وعي واقع المعرفة
في كل شيء .

وفي نشوة غفلات الشباب ، وثبت به عربة الحياة وثبتها السحرية الى الكهولة ، وتبدلت
المناظر وتغير موضوع التمثيل . ومع ذلك ظل يرفض أنه دخل في دور الكهولة ، وان تجاذبته
اعاصيرها عاصفة بأحلام الشباب ، المشعة في شتى اتجاهاته . ولولا أن التكاليف الشاقة ترادفت
عليه ، والمسؤوليات الخطيرة نهشته ، وفجاءات الاحداث وكوارث ، مكاييد الانسان الوضع
أخمدت في نفسه صور تهاويل الشباب . وهدمت من قواه ما هدمت ، لما اعترف لنفسه في
أبعد اغوارها ، همساً أنه دخل في دور الكهولة . ولكنه ظل يغالط الشباب بانتسابه الى بواكير
أعمارهم .

وكم حاول أن يشد اليه ، مجالي شبابه الزائل ، فكان ما يشده في كل مرة السراب ، إهاتفه
به سخريات الزمان :

ما مضى فـات والمؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها
وشد ما أوجعته الحقيقة في أشراق الفكر ، لأنه تبين أن الساعة التي خالها الشاعر رقاً
صحيحاً في صحيفة حياته . هي صخر في سجل الوجود الخالد .

اين هي تلك الساعة التي امتلكها من حياته ، وهو لم يمتلك طفولته ، ولا شبابه ولا
كهولته ، بل ولا شيخوخته التي غدرت به فاكنته بكل امراض الطفولة ، وبكل افاعيها التي
انسابت اليه ، وفغرت فاها تنهشه نهشاً ، الشيخوخة التي وافته ، ولا يدري من اين وافته ؟
والعجيب أن تلك الساعة التي زعم الشاعر أنه يمتلكها من الزمن ، كانت تمر به كأنها
الفراشة الزاهية بمفاتيح ألوانها الساحرة ، وفي كل مرة تسول له نفسه أن يمسخها ، تذوب في يديه
ذوباناً سريعاً .

وهكذا تمر بالانسان عربة الحياة ، في مثل شرارة البرق وأن يخل نفسه أنه ثابت في مكانه ،
لم يتغير ولم يتبدل ولم ينتقل . وان الذي يتغير ويتبدل وينتقل ، هو الزمان فيملكه الغرور فيعمد
الى الأيام ، فيطلق عليها ، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً والزمان ينظر اليه في وزن البعوضة ، التي
تسقط جناحها ، وتضمها الى نفسها . وفي زعمها انها وسعت الكرة الارضية !

*

ويحك يا مسكين أنت وحدك المتغير ، وان الماضي والحاضر والمستقبل هي صفات حياتك !
والواقع أن حياتك كلها ماضية ، وان عربة الخيانة الخاطفة هي الساعة الموهومة التي حسبت
أنك تمتلكها من الزمان .

والحق ان الانسان لم يمتلك شيئاً سوى أعمائه ، التي يقول الله فيها :
« ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا »

كلمة الكلية الشرعية

هي كلمة القاها المؤلف باسم الكلية الشرعية في دار
المفتي الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد بمناسبة الاحتفال
بسمو الأمير فيصل وسمو الأمير منصور في ٢٥ جمادى الأول
عام ١٣٦٥ .

يا صاحبي السمو

إن كاتب التاريخ العربي الحديث لن يستطيع أن يمر ، من قبل أن يقف طويلاً جداً ،
مأخوذاً بما شادته أسرتكم الخالدة ، من أبحاد خالدة ، لأبناء وطننا الأم — جزيرة العرب —
أجل ان أسرتكم الماجدة ، قد نفخت في رموس الجزيرة الهامدة ، بعد كفاح معاركها
الماضية ، نسمة الحياة الإسلامية الصافية ، فهب ابناؤها الاشاوس ، وقد نقضوا عنهم ، اكفان
التواكل ، والجهل واضاعة الوقت هدراً . والايان الصحيح ملء قلوبهم ، والعزائم الجبارة تنقد
بين جوانحهم ، والطموح العربي المقدام ، يقحم بهم كل ميادين المعارف والصناعة والادارة
والجندي الحديثة المدربة ، والاعداد الحربي المتفوق .

وقائدهم الفذ صقر الجزيرة ، وامامها الكبير والدكم العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل
سعود ، يقود الطليعة ، وفي يده علم النهضة الإسلامية الكبرى — علم لا اله الا الله محمد رسول
الله — يلوح به للتأهين ، ويركزه فوق قمم الجبال وعلى ذرى الحصون ، وفوق كل سارية
وشرف ، وهو يهيب بهم ملء اسماعهم بندائه القوي المجلجل .

« هبوا الى الامام ، هبوا الى الامام »

ها هو ذا سلاحه يضيء سناه ميادين الشام والعراق والمغرب العربي والسودان ومصر ،
ويشق لهم به طريق العزة والكرامة والثروة والجاه .
وهذا صدها تباركه الجزيرة في نشيدها الخالد :

حبذا الآمال يحدها الى النجح الامام وطلائع النشء يرد المجرى عن زمام
العلم يحدها وروح الله والهمم الجسام^(١) وشعارهم أشبال إذ ذاك البلاد إلى الامام

(١) النشيد . ليعتمد المعارف في المدينة المنورة سابقاً الاستاذ الكبير الشيخ محمد سعيد دفتر دار .

والواقع أن إمام الجزيرة لم يمهد لوحدة الجزيرة التاريخية وأمجادها الكبرى بالحروب الطاحنة والفتن العمياء ، وإنما بروح كلمة التوحيد الطاهرة الجامعة ، والقضاء على الخرافات المبيدة المفرقة .

يا لله !! كم امتياز لنهضتنا الاجتماعية الإسلامية الحديثة الا ان قادة الامم يجمعون كلمة أمهم بالحديد والنار وقائدنا يجمعنا بكلمة السماء .

« لا اله الا الله ، محمد رسول الله »

ألا ان علماً تسطع فيه كلمة السماء ، هو علم الانسانية الاكبر ، الناس كلهم جنود مضحون تحت ظلاله .

يا سادة لعلكم كنتم تستغربون ان فائحاً يفتح عاصمة بلاده بعشرة رجال ، لو لم يكن هذا الحادث بالذات وقع لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود حين افتتح عاصمة بلاده « الرياض » . والواقع أنه لا غرابة في هذا الأمر بتاتاً ، ما دام في قلب كل رجل منهم ، من كلمة التوحيد ، قوة لا تعدلها قوة القبيلة « نذرية » .

وشتان ما بين القوتين ، تلك للعمار وهذه للخراب ، تلك للاجتماع ، وهذه للشقات ، تلك للحرية ، وهذه للعبودية ، تلك للسلام وهذه للحرب ، تلك للرحمة وهذه للقسوة .

يا صاحبي السمو

ان الحجاز ونجداً كجناحي الطائر ، بالنسبة للوطن الام — جزيرة العرب — لا تنهض لاستعادة وحدتها وشوكتها وسلطانها الا بهما معاً ، وهما في وعي شبان الجزيرة الاجتماعيين المفكرين ، كلمتان مترادفتان لمعنى واحد كبير مقدس في قلوبهم .

الاجتماع قوة لا تقهر

ونجد والحجاز اعتصام من الخطر والزلل والوقوع في الهاوية وقيام للاسلام والاخلاق والفضيلة والهدى ، وملاك للأدب العربي السامي الصحيح ، الخالي من الدعارة والفحش والتسمم والأوبئة الفتاكة ، والسطحية وقلة الذوق .

ونجد والحجاز في نظر العربي الصميم ، والمسلم الصادق ، محل للسابقة الى التضحية وتقديم الخدمات ونيل القربات ، لا موطن للمسابقة الى جلب الاموال بشتى طرق الاحتيال . وما حن العربي الصميم يوماً الى الحجاز الا وكان حينه الى نجد مثله .

احن الى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
حينئذاً الى أرض كأن ترابها اذا امطرت عود ومسك وعنبر
يا صاحبي السمو

ان مفتي الجمهورية اللبنانية الاكبر ، ورئيس الكلية الشرعية الاعلى ، مكبر كل الاكبار
الاجماد الاسلامية العربية الخالدة التي افترعها والدكم العظيم ، في موطن العروبة الاول « جزيرة
العرب » ومهبط خام الكتب السماوية « القرآن المجيد » .

وعلى ضوئها شيد هذه الكلية الشرعية الإسلامية في لبنان لتكون احدى المنارات الساطعة
التي يتعهد بها جلالته بالرعاية والعناية والاهتمام للابقاء على نشر التعاليم الإسلامية في ربوع لبنان
على غرار السلف الصالح . وللاكتفاء بالعلماء الوطنيين عن جلب سواهم من الخارج .

وهؤلاء هم اساتذتها خفوا لاداء التحية اليكم اعجاباً بكم وتقديراً لجهادكم وهم يحملون
الاجلال والاكبار لصاحب الجلالة مليكنا المعظم عبد العزيز آل سعود ابقاه الله خير ذائد ، عن
حما العروبة والاسلام ، ورعى اشباله الاماجد باليمن والغز

يا صاحبي السمو :

انا قد تركنا وراءنا من طلاب الكلية الشرعية الاسلامية شباناً تنقد قلوبهم حماسة لرؤيتكما ،
ورغبة ملحّة في أن يستضيء معهدهم بزيارتكما .

انهم عقدوا الايمان والعزائم والصدق ملء قلوبهم على الانضواء تحت اللواء السعودي
الإسلامي المقدس لواء كلمة :

لا اله الا الله محمد رسول الله

تعليق إن هذه الكلمة قد مضى عليها ٣٧ سبعة وثلاثون عاماً وهي تكشف أفك الذين
نسبوا اليّ أنّي لم أقم بأداء حقّ بلادي ودولتي وإسلامي في مدى غربتي الطويلة والحق أن كل
مؤلفاتي تكشف هذه الحقيقة التي لم أطلب من ورائها يوماً ، أية مادة أو شبهة مادة .. وكل الذين
عرفوني يعلمون أنّي لم أمدّ يدي الى أحد إلاّ الله . الذي منحني الصبر والدأب في العمل التزيه هو
التعليم العام والخاص ، وهذا إنعام من ربي أفخر به دائماً ... وكل الذين عرفوني في لبنان
يعرفون مني ذلك سلوهم . وأكثرهم أحياء والحمد لله ...

لو أنصف الناس لاستراح القاضي

لو تفقد الكتاب هذه الأمثال البسيطة ، التي تمر عفواً على ألسنة الناس لكل مناسبة . لوجدوها مشتملة على حكمة الانسانية الواعية المفكرة ، وتجاربها المديدة . أجل منذ أبعد الأزمان ، والبشر يعلمون أن لهم امراضاً نفسية فتاكة ، ويعلمون ان لها أدوية شافية . ولكنهم في كل عصر يرفضون ان يبذلوا ادنى إمكانياتهم ، ليصبح العلاج بها واقعياً . وكل الواقع لديهم ، هو أن يصفوا الدواء بالسنتهم ، ولكن بعد استعصاء الداء ، ونفاذ الوقت الموائم لصحة العلاج .

وقليل جداً المصلحون العمليون الذين يدخل في مقدورهم أن يفرضوا على الناس العمل بتجارب الاجيال التي يعلمها الجميع ، ولا يعمل بها الجميع . ها نحن أولاء نسمعهم — كلما تعدت جماعة على جماعة أو فرد على فرد واشتبكت بينهم الخصومة ، واستعرت العداوة ، وسالت الدماء ، وتدخلت المحاكم الشعبية الخاصة أو المحاكم الدولية العامة ، أو جامعة الأمم — يقولون « لو أنصف الناس لاستراح القاضي » . وقولهم هذا آية أنهم يكبرون الانصاف بالسنتهم ، ويتغنون به في مؤتمراتهم ونواديبهم ، ولكنهم يركلونه بأقدامهم قبل أن يباشروا أعمالهم .

ما الانصاف ؟

سؤال يحول في خاطري ، كلما شاهدت جماعة مهضومة الحقوق ، تلجأ اليه وتهتف باسمه .

هل هو غريزة ؟

يا ليتة كان غريزة فان الغرائز بواعثها نفسية طبيعية تهيمن على أعمالنا ، وتوجهها وفق احتياجاتها ، على الرغم منا وكبتها لن يتم الا بإيمان كبير ، أو برياضة شاقة وعنت طويل . إذن فلو كان الانصاف غريزة ، لشاهدت الحياة الانسانية على حال غير هذه الحال ، القلفة الحائرة الظالمة المدمرة ، المتقمة المتآمرة المتلونة الغدارة ، أي لشاهدتها على حال حافلة بالطمأنينة والسلام ، والثقة والتفاهم ، والنوايا الحسنة الصادقة والأعمال الحسنة الصادقة ، لاقامة العدل المطلق ، وتحرر الشعوب المستعبدة .

والحق أن الانصاف ، هو عاطفة كعاطفة القومية ، هو أحاسيس الوجدان المثالي المذهب ، هو قوام العدل المطلق . ولكنه لن يتنظم أعمال الأفراد والجماعات ، ولن تستقيم عليه أمورهم فيما يأخذون أو يدعون ، إلا بترية انسانية عالية ، او بتأديب إلهي موهوب . ومتى عمر الانصاف وجدان الانسان فانه حينئذ يأبى ان يعامل احداً بما يأبى لاحد أن يعامله به .

اذن فالبشر لن يظفروا بمثلهم العليا ، التي تقضي على وراثات المغاور ، وشرايع الغاب ، المتحكمة في أعمالهم ، الا اذا أصبح الاحتكام الى الانصاف من طبائعهم .

والعلماء المصلحون يرون ذلك بعيداً الآن ، لأن الاحتكام الى الانصاف لا يكون واقعياً الا نتيجة أمرين اساسيين إما نتيجة تطور عضوي عام يبدل استجابة الغرائز للمؤثرات الخارجية التي تتحكم في تعيين أعمال الانسان ، وهذا التبديل يوجب تداول أجيال طويلة لروح الإصلاح وإما نتيجة انقلاب نفسي كبير مفاجيء ، وهذا لا يكون الا بعد ضربات وحشية بسياط الذرة والهيدروجين ، توقظ روح الوعي الانساني الكريم :

إذن ، فكل أمة ستظل تعد لأختها في مجاهل الأرض السحيقة الخفية كل ما يدخل في إمكانها من المدمرات السريعة الجائحة .

وهذا الاعداد الجهني المتربص المخيف ، لا يمنع — في نظرهم — ان يتعابثوا بتجاهله ، وان يتنادوا بوجوب تحكيم الانصاف ، وعلان الايمان به ، ورصد الميزانيات الضخمة للجامعة الامم من أجل زرقة عينيه .

وهكذا سيطر الاحتكام الى الانصاف رواية ساخرة جذابة تمثل في أروقة جامعة الأمم ، ويتناقلها ممثلوها الى أممهم للعبث والتسلية والضحك على الذقون الطويلة العريضة .

لو كان في الدنيا شبه ظل من الانصاف ، يعتصم به من وقوع المظالم ، لما كنت ترى الامة القوية التي ترفض بتضحية أن ترضخ لأمة أقوى منها ، تحاول التسلط عليها ، هي بالذات التي تبيع لنفسها أن تسلط على أمة أضعف منها !!؟

ها نحن اولاء نشاهد الامم الراقية المهذبة التي قطعت اشواطاً بعيدة في الحضارة والتقدم ، ما تزال الغرائز المرسلة هي التي تتحكم في تعيين اتجاهاتها وأعمالها ، شأن اخواتها الفصائل الحيوانية الفتاكة المظلومة باحتقارنا .

أجل هؤلاء الساسة الافرنسيون .

تراهم وهم في ذرة معارف القرن العشرين .

تستبد بهم غريزة حب التملك والسيطرة ، فيصمون ما يعرفون من نبل جهاد المغاربة ، من

اجل الانطلاق والتحرر من ربة استعبادهم ، بشر ما يصمون به أعمال اللصوص الفتاك ثم يعقدون الاجتماعات تلو الاجتماعات ويرسلون الجنود تلو الجنود ، للقضاء على نزعة الحرية والانطلاق وللإبقاء على ربة الاستعباد بالحديد والنار وارقة الدماء واستباحة المحارم .

فاذا كانت فرنسا ربة الثورة التحررية المشهورة ، فرنسا المثقفة العالمة ، هذا انصافهم لطلاب الحرية ، فكيف يكون أنصاف الامم التي هي دون فرنسا ، في هذا المضمار الحضاري الراقي ؟.

والعجيب أنها تفعل ذلك ، وهي تفاخر بأنها محررة الشعوب المستعبدة في العالم . وبأنها هي التي أمدت الولايات المتحدة بالأسلحة ، حتى استطاعت أن تقلع مخالب الاستعمار الانجليزي من بلادها ، تفاخر بذلك ، وهي تعلم والولايات المتحدة تعلم أن امدادها لم يكن الا انتقاماً من الانجليز ، لا حبا في انصافهم ، كشعب مستعبد مظلوم . ولو أنها فعلت ذلك انتصاراً للحرية الانسانية المستعبدة ، لباركت جهاد الشعب المغربي المستعبد ، في سبيل الحرية ، وذكرت — من باب الانصاف — قيامها وقعودها ، وغضبها الجهنمي على الإلمان ، حين احتلوا بلادها ، واغتصبوا حريتها ، وهل فعل الإلمان معها ، بعض ما فعلته وتفعله هي في المغرب العربي ، بمقاطعاته الثلاث — تونس ، الجزائر ، مراکش —

ونجد فرنسا تكره جداً ، من يذكرها بالحوادث التي تمت الى ايجاب شيء من الانصاف ، وآية ذلك غضبتها المضرية ، على جامعة الأمم ، وفصل مندوبيها منها ، حين قررت النظر ، في قضية الجزائر الوطنية ، لتعطي فيها حكمها ، الذي قد يهمل ، كما أهمل حكمها في القضية الفلسطينية من قبل .

هبي يا فرنسا ، ان خلافا نشب بينك وبين اميركا ، وهبي انك عذت بجماعة الامم ، لتدرس وجه الخلاف ، وتعطي فيه حكمها ، فهل تكونين راضية ، لو أن أميركا غضبت على جامعة الامم ، وسحبت مندوبيها من أجل ذلك .

ليس من الانصاف الطبيعي ، ان تعلم فرنسا ؟!! أن الانسان سواء اكان يقطن صحارى افريقيا ، أم ناطحات السحاب في امريكا ، يمجّد الحرية والعزة والكرامة ، ويحقر العبودية والذلة والمهانة .

الوحش الوحش — يا فرنسا — يقاتل من أجل حريته فكيف الانسان ؟ وما دام الانسان يملك في رأسه لمحة من فكر ، وفي قلبه ذرة من ايمان ، وفي نفسه جذوة من اباء فحاح أن لا يرفض الاستعباد ، ولو كان في رفضه هلاكه .

ألا كل شيء ممكن في هذه الدنيا ، ولكن استمرار الاستعباد الى الأبد ، دون قيد أو شرط ، كما تريده فرنسا ، في المغرب العربي ، ! فانه غير ممكن . وهذا تاريخ البشر — حتى في عصور انحطاطهم ، أكبر شاهد ، ورحم الله أمير الشعراء حيث يقول :

إذا ملكت النفوس فابغ رضاها فلهـا ثورة وفيهـا مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاسر فكيف الخلائق العقلاء

يا لله !! كم تظلم الامم نفسها حين ترفض رأي المنصفين من ابنائها ؟ وكم تريق دماءها ؟
وكم تدمر عواصمها ؟ وكم تشقى عيشها ؟ وتجعله مريعاً لا يطاق ؟.

الا يا أمم الارض انك تستطيعين بحجز يسير من الانصاف ان تتفاهمي التفاهم الكريم
الصادق ، لا التفاهم اللئيم الكاذب ، وان تذيبى احقادك الوحشية الحذرة ، التي تجعل تركك
الاعداد الذري المتفوق ، لدرء مفاجأة انقاض اعدائك الاقوياء ، غفلة مبيدة .

ويجزء يسير من الانصاف يمكنك أن تكتبي التاريخ خالياً من الدس والتحريض والايحاء
بالكيد والأذى وتشويه الحقائق ، والتذكير بالسيئات والشر ، والنسيان للحسنات والخير ، أي
تكتبينه على هدى المصالح الانسانية الاجتماعية الراقية ، التي تجعلك تربي الحريات السليبة
لأصحابها ، وتحترمين اللغات والاجناس ، على اعتبار انها فروع شجرة الانسانية الجامعة ،
الموجة للتعارف والتفاهم والاحسان ، أي تجعلك تؤمنين بأن أصلك واحد من ذكر وانثى ،
وان قوميتك الثابتة هي التي ترجع الى جذور هذا الأصل الذي اعلنه الله في القرآن المجيد :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم
عند الله اتقاكم »

يا أمم الأرض أعلمي أن اعراضك العملي عن هذا النداء الآلهي ، وجحودك الصريح لهذا
الأصل الذاتى الجامع ، هو الذي جعل قومياتك شتى ، وعواطفك شتى ، جعل قومياتك
شتى ، لأنها قائمة على معالم التراب ، وجعل عواطفك شتى لأنها منبعثة عن غرائز الغاب .
وهذه حال كلما تفاقمت ، ازدادت بعداً عن التوَادد والتراحم والتفاهم . أي ازدادت بعداً عن
روح الانصاف .

هذا هو الواقع الذي جعل كل دولة من الدول الكبرى تعلم بالتجربة والمشاهدة والتاريخ ،
كل العلم ، ان ادنى غفلة منها ، عن أية دولة قوية مثلها ، دون الاعداد المستطاع ضدها ،

ودون أحكام شبكة التردد والدعاية ضدها ، ودون أحكام صرفها بكل الوسائل عن اقتناص أية فرصة ضدها تفسيره في النهاية هو الحكم على نفسها بالاعدام .

أي ما دام هذا هو الواقع ، لدى كل دولة من الدول الكبرى ، فهيات أن يأتي يوم ، يكون منهم فيه تفكير عملي لتحويل التربية والتعليم ، على حال ينفخ فيها روح الانصاف .

دعهم يرفضوا الاحتكام إلى الانصاف لحل معضلات مظاهم السياسية ، التي تتجدد كل يوم ، ودعهم يعتقدوا أن الاحتكام إليه ، سيظل مستحيلاً إلى الأبد ، ودعهم يحمّدوا على اعتقادهم هذا . ولكن لا تنس أنهم متناقضون ، وأنهم لا يخلجون من تناقضهم .

لو أنهم يخلجون من تناقضهم ما اعتقدوا ان الاحتكام إلى الانصاف مستحيل ، مع اعتقادهم انه : « لا مستحيل في القاموس » .

يا ويحهم أنهم ينفقون كل إمكانياتهم ، من أجل التفوق في اعداد قنابل الذرة والهيدروجين والغاز والأوبئة الفتاكة ، ويمتنعون عن ان ينفقوا أي جهد ضئيل لتهديب مناهج التربية والتعليم خشية أن يسكب على الانصاف الهامد نسمة الحياة ولأجل أن يظل اللجوء إليه في كل الايام مستحيلاً ، هذا واقع أعماهم بصراحة .

وهكذا نجد الدول القوية الكبرى ، هي التي تبذل إمكانياتها الواسعة ، لتجعل اللجوء إلى الانصاف مستحيلاً إلى الأبد .

أيتها الدول القوية الكبرى ، احذري اشباهك الدول القوية الكبرى ، ما وسعك ، الحذر الوحشي الحقوق المتربص وسددي كل مواهبك وعبقرياتك العلمية إلى صدرها ، حراباً ذرية محتاجة .

وأفعمي سراديك من ههنا ومن ههنا ، بثروات الشرق والغرب ، وحافظي طاقتك ، وفوق طاقتك !! على جشعك الفاجع المخيف ، واطماعك الختالة المفرسة ، التي لا تنتهي وإن انتهت حياتك ، وأظهري مؤتمراتك المستأجرة ، للتغني بأجماع السلام والانصاف والحرية وتخفيض السلاح لذر الرماد على العيون .

وأخفي مؤامراتك الحقودة الهدامة عن أعين الرقباء والارصاد لتحكم الاراقم تسديد انيائها إلى المقتل ، في جنح الظلام ، ساعة الغفلة . افعلي كل ذلك ما دام وضعك من تقاليدك ومجموعتك النفسية ، هذا الوضع الشاذ ، ولكن إلى جانب ذلك اسمحي لبعض امكانياتك أن تغرس ثلاثة مبادئ ، أنزلها الله عز وجل في خاتم الكتب السماوية — القرآن المجيد — فيما أنزل من مبادئ لتصنع المعاملات العامة بالانصاف والعدل البريء المطلق .

هيا اعتنقي هذه المبادئ الثلاث الآن ، وأدبري مناهج التربية والتعليم على مثلها العليا القويمة الخيرة الناهضة ، فإنك ستدوقين من ألوان السعادة والطمأنينة والأمن والتفاهم والمودة والرضا ، ما لم تحلمي بمثله ابداً ، مما يجعلك تقبلين على تحكيم الانصاف ، في كل أعمالك عفواً .

وفي اعتقادي أن ما تلمسينه ، من نتائج كريمة موفقة سيحمسك على الأخذ بكل المثل التقدمية العليا التي أوحاها الله عز وجل ، لإصلاح الحياة الانسانية واسعادها ، في شتى النواحي التي تناولتها .

المبدأ الأول

تربية العاطفة الانسانية ، على هدى وحي الله عز وجل وهذه التربية إذا أخذت بها وزارات المعارف في الدول الكبرى جعلتها تؤثر العدل في المعاملة ، والانصاف قوامه العدل في المعاملة ، وهيئات أن يؤثر الجائرون ذلك .

إذن فلا بد للدول الكبرى ، من تربية العاطفة الانسانية تربية عالية ممتازة لتؤثر الانصاف في أحكامها ولو ضد نفسها وهذه التربية تتحقق بفرضها على مناهج الثقافة في العالم ، وهي لا تتوقف على تداول أجيال مديدة ، لأنها تقوم على الكبت الغريزي . والكبت الغريزي يتحقق بالإقبال على دراسة الوحي . والاخذ بمثله العليا والتطهر بأضوائه من أوضاع الغرائز العارمة وطفيان العواطف المتحاجزة .

وكل ذلك من مقاصد رسالة الإسلام العظمى التي جاء التنويه بها في القرآن : « هو الذي بعث في الامين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لني ضلال مبين » .

ولن تجد الامم كافة من مثل عليا احفل بالاعمال المنتجة الخيرة ، لتربية العاطفة الانسانية ، الجامعة من مثل القرآن الكريم . وكل ما يصيب الافراد والجماعات من شقاء هو موزون بمقدار بعدهم عنها « صاع بصاع » .

المبدأ الثاني

الحكم بالعدل المطلق ، ولو على النفس أو الوالدين ، أو الأقربين . وهذا هو المثل الأعلى ، في فصل المنازعات بين الافراد والجماعات والدول ، وهذا هو عين الانصاف ، قال الله

تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »^(١).

ولن يتحقق العدل المطلق في الواقع العملي ، إلا اذا شمل نفس الاعداء المشاغبين بظلاله الندية المنصفة قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »^(١) .
ومتى استقامت نظم الاحكام في العالم ، على روح العدل المطلق ، سواء بين الافراد في داخل الاوطان ، أو بين الدول خارجها .

فان الانصاف سيأخذ مكانه اللائق به في أنفاس سياسة الدول ، لأنه هو نفس العدل المطلق ، وحينئذ لا يسع هيئة الأمم المتحدة ، إلا أن تقيم محكمة دولية كبرى ، ذات شوكة محترمة مطاعة ، تفرض العدل المطلق فرضاً ، على الدول الكبرى والصغرى على سواء بينهم ، وتعتبر كل دولة تسهين بأحكامها مجرمة اجراماً عاماً ، ضد الدول كافة ، وحينئذ تشن جميع الدول على تلك الدولة الجائرة المعتدية حرباً عامة ، مهما كانت قواها متفوقة ، بعد أن تحاصرها اقتصادياً وتمتنع عن التعامل معها . حتى تنفي إلى روح ، الانصاف وترضخ لحكم العدل المطلق ، : « فان الله خلق جهنم سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة » .

ومتى تمكنت هيئة الأمم المتحدة أن تنشئ محكمة دولية عليا ، مدعومة بجيوش الدول كافة . وتقوم أحكامها على روح وحي الله عز وجل ، فان المظالم ترفع حتماً ، والمصالحة تفرض فرضاً ، والمعتدي يرد اليه اعتداؤه دون انتقام ، وحينئذ لا تتكرر قضية البريمي التي تعالجها حكومتنا السعودية الرشيدة بمنتهى الحكمة والتعقل ، مع جرأة الساسة الانجليز على التسلط الجائر ، ووضع اليد وقدرتهم على اختلاق الحجج المضلة للرأي الدولي العام ، اذ هم يفعلون كل ذلك اعتماداً على قواهم المتفوقة ، وتحكمهم في هيئة الأمم الحالية ، واستهانتهم بها ، واعراضهم المكشوف الساخر عن كل أحكامها التي لا تلد لهم .

وهل تجهل انكلترا منطق الشرائع الدولية ، أنها لا مبرر لها في التسلط على أطراف جزيرة العرب ، وفرض نفسها على الرغم من أهلها ، مصلحة مثقفة ، مدافعة غيرة ، وهل تقبل هي مثل هذا الإصلاح والتثقيف والدفاع والغيرة ، في جزء من بلادها من دولة من الدول مهما بلغت صداقتها بها في الظاهر كأمریکا .

(١) النساء ١٣٥

(١) المائدة ٨ .

الا إن انكلترا هي الصديقة العدو ، والمصلحة المفسدة والثقفة المجهلة ، والمسألة المحاربة والمدافعة المستيحية .

وإن اخلاصها لوطننا — الجزيرة العربية — كاخلاص الثعلب للدجاج ^(١) .

المبدأ الثالث

تأييد المصلحين ومقاومة المفسدين في الأرض . ولا ريب أن في تأييد المصلحين تأييداً للعدل ، وفي مقاومة المفسدين مقاومة للظلم ، وهذا أمر مفروض في كتاب الله عز وجل : « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » .

والمفسدون تظل السنتم جذابا وضاعة قريبة من الانصاف ، وقلوبهم حقودة مظلمة بعيدة عنه ، شأنهم تمزيق الكلمة ، وعملهم الاعداد للتدمير القاضي على الحياة والاحياء ، وللبعا عنهم وللتحذير منهم جاء قول الله عز وجل : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو لد الخصام . وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

ويحسب السطحيون أن الاصلاح هو الاغراق في مفاتن الحضارة وال عمران السطحيون ان الاصلاح هو الاغراق في مفاتن الحضارة وال عمران والاسراف في التهام الشهوات .

ما أجهلهم لو كان هذا هو الاصلاح لكانت الدول الكبرى الحديثة ، على أحسن ما يكون الإصلاح ، لأن لها من اغراقها في مفاتن الحضارة وال عمران ، واسرافها في التهام الشهوات ، ما لم تحلم بمثله الامم ذات الحضارة البائدة .

يا هؤلاء !! لو كان هذا هو الاصلاح لما رأينا الامم القوية البائدة ذات الحضارات الواسعة لم تهلك وتصبح اثرأ بعد عين إلا وهي في أوج غرورها الحضاري وعنفوان كبرياءها وتفاقم ظلمها وفسادها وطغيان كفرها وسخريتها بالإيمان وأهله . ولتتل كبرهان هذه الآية الكريمة بخشوع : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

وهذا المبدأ اذا دان به ساسة الدول الكبرى — الذين يملكون اثاره الفتن ، وتأثير الاحقاد ، وتآليب الدول الصغرى فيما بينها . والتهام اقتصادياتها ، وافساد جهازها الدفاعي

(١) راجع مجموعة اعداد نشرة الاخبار القيمة التي يصدرها مكتب الصحافة والنشر في المفوضية السعودية في لبنان ، هذا المكتب الذي ازاح بنشاطه الظلمات الكثيفة التي تدس حول قضية البريمي .

وتعطيل مصالحها الحيوية التقدمية . ويملكون قلب اوضاعها ، فيجعلون الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، والظالم مظلوماً ، والمظلوم ظالماً ، والشر خيراً ، والخير شراً ، والامانة خيانة ، والخيانة أمانة والبعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، فانهم يستطيعون حينئذ أن يأمنوا على أنفسهم من غائلة ما يخشون من أنفسهم !!! .

ومهما يكن الامر فان الانسان لن يجد في الأرض من وحش حقوق ختال مفترس موارد مفسد منتهز مستبجح يجب ان يتوقى منه غير الانسان .

وانك تجد السياسين المفلتين من مسؤوليات ما أنزل الله من اصلاح ، لكفرهم . جميعاً من هذا النوع . أي هم هم قديماً وحديثاً — كلما اعترموا أن يفسدوا في الأرض ويتسلطوا على الامم الضعيفة ويسلبوها حرياتها ويتحكموا في توجيه مصالحها الخاصة ، وفق مصالحهم الخاصة — دسوا في اوساطها الايجابية اعوانهم الخونة المأجورين واتهموها بالتأخر والافساد في الأرض ، والعبث بالدين ، وتبديله ليبرروا تسلطهم عليها .

وقد حمل الله في كتابه الكريم ، على هذه السياسة الغاشمة المتآمرة ليتجنبها قادة المسلمين ولا يتورطوا في الوقوع في آثامها وكوارثها المدمرة : « وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه أي أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد » .

ولما كان دأب الظلمة المفسدين اذا تم لهم السلطان على الشعوب الضعيفة أخذوا يمعنون في تمزيق كلمتها ، وجعلها شيعاً متحازة ، واحزاباً متباغضة ، ذكر الله لنا ذلك لتكون على حذر : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم أنه كان من المفسدين » .

والواقع العملي أن الانصاف لا يأخذ مكانه اللائق به من أنفس سياسة الدول الكبرى ، الا اذا اتفقوا على تطبيق هذه المبادئ الحكيمة الثلاث ، ولو على مضض في أول الأمر .

وذلك في إمكانهم اذا اعترموا ، وما عليهم الا أن يحوروا مناهج التشقيف إليها ، لتنسجم أعمالهم في سبيل قويم مع الانصاف ليأخذ من نفوسهم استقراره العضوي ، على تداول الأجيال . والواقع أننا لن نستطيع أن نصدق أن الانصاف إنطلق من اغلاله الثقال الا اذا شاهدنا الدول الكبرى تطبق هذه المبادئ الثلاث على كل أعمالها بعزيمة صادقة وحينئذ نصدق ايضاً ما قالوا : « لا مستحيل في القاموس » .

يا ليت شعري هل يفكرون في الانصاف ؟ وهل يعملون له شيئاً . أم يسبق السيف العدل وينتهي كل شيء قبل أن يعملوا أو يفكروا في شيء .

سقيفة بني ساعدة

لا ريب ان الاثار الخالدة ، ذات المعاني السامية ، الباعثة على الأعمال الجليلة الكبرى ، يحرص عليها كل الحرص . من أجل ذلك أمرنا الله عز وجل . بأن نتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، لأن مقام ابراهيم فيه ما يذكرنا بالعبودية الخالصة لله عز وجل ، والاعتصام به وحده ، ومحاربة الوثنية والاشراك ، وهذه دلائل الايمان الصحيح بالله عز وجل : « ان أول بيت وضع للناس للذي ابنيكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم »^(١) .

ولا ريب ان لسقيفة بني ساعدة ، ذكريات مجيدة خالدة في تاريخ الإسلام . اذ فيها توحدت كلمة المسلمين ، بعد أن كادت تزول بهم قدم الخلف في مهاوي الشتات المييد ، ولولا أن توحدت كلمتهم في هذا الاجتماع ، الذي عقد على أثر ، انتقال رسول الله ﷺ ، الى الرفيق الاعلى ، لذهب ريحهم ، ولغدت تلکم الامجاد التاريخية الكبرى ، التي تمت على أيديهم ، قصة حلم جميل طائر ، كقصّة حلم افلاطون في جمهوريته .

ألا أن سقيفة بني ساعدة خليف بها أن تكون داراً للكتب ، أو جامعة لدراسة العلم والحكمة ، أو رمزاً لوحدة الكلمة ، وما انتجت من ثمرات طيبة ، لأنها المكان الذي شيد الاسلام فيه ، دعائم دولته المثالية الأولى — دولة الخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم . بعد أن كادت تنزلزل ، وتطوح به ، اطماع الطامعين في الخلافة وقلة تبصرهم في مآتي الاحداث ، وتقلبات الايام ، ومداخل الاعداء .

وكم من يد لعمر بن الخطاب ، حين أنقذ الموقف ، ورشح الصديق للخلافة ، إنه نظر بنور الله نظرة المفكر اليقظ المدرك ، أن المسلمين ، لن ينالوا ما وعدهم الله ورسوله من التمكين في الأرض ، بالعزيز والسلطان والهدى والنور ، الا يجمع عزائمهم لامثال أمر الله « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقد أدرك المؤتمرون بعقريّة عمر رضي الله عنه أنهم اذا تنحوا عن أمر الله تنحوا عن حقهم في الحياة ، الذي يقتحمهم من شتات وإبادة وذلة وثنية وإشراك .

إذن فاجتماع السقيفة هو أول مؤتمر اجتماعي يعقده ابناء الجزيرة العربية ، يصرع فيه الحق الباطل ، والاجتماع الفرقة ، والخير الشر ، والايمان الكفر .

(١) قد أفضت في بحث مقام ابراهيم عليه السلام في مؤلفي ذكريات طيبة ص ٤٩ راجعه .

وما أنفض المؤتمرون الا وأبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، خليفة رسول الله ﷺ يقف بهم مواقفه ، ويجاهد بهم جهاده .

ألا إن الايمان بكل إخلاصه ، والعبقرية بكل مواهبها ، والبطولة بكل عزائمها ، والاقتداء برسول الله ﷺ ، بكل آماناته وتضحياته ، تجلت بأكبر معانيها في خلافته ..

هذا الأثر الكبير في تاريخ فجر الإسلام ، هو أثر اجتماع السقيفة أنه مكان يذكر بالتوحيد الخالص ، والايمان الصادق ، والنظر البعيد والمستقبل المجيد . وجدير به أن يأخذ من كل مؤلف ، يتعرض لنشوء الدولة الإسلامية الأولى ، ومن كل جماعة تقيد نفسها بهدى السلف الصالح ، ما يأخذه حجر الزاوية .

والآن يمكنني أن أقول : « إن لهذا المكان المتواضع في جزيرة العرب ، ذكريات عزيزة كريمة في العالم الإسلامي .

ولعل الله يلهم حكومة حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم ، بمناسبة أمره السامي بتأسيس دار للكتب كبرى في المدينة المنورة أن تجعل عمارتها في سقيفة بني ساعدة .

نسر الجزيرة العَظيم

كلمة وفاء في الذكرى التي أقيمت في الكلية الشرعية
في الأسبوع الاول من وفاته رحمه الله

في مثل هذه الليلة طوى نسر الجزيرة العظيم جلاله الملك عبد العزيز آل سعود ، أجنحته الخفاقة التي كانت ملء السماء ، وأسلم اعنة الأجواء لولي عهده ، وآوى الى السهل الفسيح ليستريح من أعباء الجهاد ، وتكاليف الملك .

وانقضت تلكم الليلة الليلاء ، وهي تتلوى على وجوم الرمال ، وارتجاج النواحي ، واصطخاب السواقي .

وأقبل الفجر مثقلاً بأنفاسه المخنوقة بالحسرات ، مربداً بالغائم الحالكة ، وظلعت الشمس وانفشع كل شيء ، فاذا أضواء النهضة الحديثة التي رسم النسر خطوطها التقدمية الكبرى بجهاده ونضاله ومغامراته طول حياته ، في ضمان نسر عظيم يحتضنها ، ويضفي عليها من عزائمها الشابة ، وإرادته الصارمة وإخلاصه الكريم ، حياة على حياة ، وسمواً على سمو ، وتألقاً على تألق .

واستيقظ أبناء الجزيرة من غمرة الأسى ، وأعينهم لا تزال شاخصة الى السماء ، فاذا النسر هو النسر ، في بطولته واقدامه ، في نزاهته وإيمانه ، في عدته وعديده في وثباته المنقطعة النظير الى الابحاد ، في وعيه ودرسه لكل صغيرة وكبيرة ، في حسن صلاته بالافراد والجماعات في الداخل والخارج .

وانصرف أبناء الجزيرة إلى مزاولة اعمالهم بقوة وجلد وهم مطمئنون أن نهضتهم الثانية آخذة طريقها المستقيم ، الى الكمال الممكن ، الذي أخذته نهضتهم الذهبية الاولى ، وأن هؤلاء الامراء الابطال انجال الراحل الكريم ، وعلى رأسهم جلاله الملك سعود ، واحفاده الاشواوس ، وآله وعشيرته ، ومن وقفوا مواقفهم ، وناضلوا نضالهم ، واعدوا أنفسهم للتضحيات والفداء إعدادهم ، هم رواد النهضة الثانية وقادتها الامناء ، وذادتها المدججون بالسلاح ، المرهفون اسماعهم لدق الطبول ، ونفخ الابواق ، تأهباً لخوض المعارك ومنازلة الاعداء والخصوم ، وهم ابداً منائر هداية ، وشموس حكمة ومعرفة ، ومطالع اخلاق وفضيلة وايمان .

أيها الراحل الكريم ، لقد عز عليك ان تكون الجزيرة ذليلة ، ومنها انبثقت العزة ، وضعيفة وفيها عرفت القوة ، وممزقة وجاهلة ، وهي التي جمعت الامم وثقفتها ، فما قضيت الا وهي عزيزة قوية مجتمعة مثقفة .

لقد عرف ابناء الجزيرة من اقصاها الى اقصاها ، قدر ما أثلت لهم ، من ملك كبير جامع ، فاقبلوا ليودعوك الوداع الاخير ، وهم يحملون مشاعل النهضة الثانية التي اوقدتها في ربوعهم ، هاتفين بحياة نجلك الاكبر ، جلالة الملك سعود ، الذي تولى امداد المشاعل بالوقود والنور . وكم ملاً قلوبهم اعجابا واكباراً إذ أخذ يقتحم بهم سواقي اعاصير السياسية ومكايد شباكها الخفية ، وارصاد قواها الجهنمية ، وهو في يقظة الوعي ، وصدق الفراسة ، وحاسة النشاط ، وبعد النظر .

وخف وخفوا خلفه يلتهمون الشباب التي يقتحمها الى القمم ، إنه ابدأ في الطليعة ، يكافح ما يكافح ، وابتسام الوثوق بالله لا يفارق ثغره ، وطمأنينة الايمان باعادة ماضي الجزيرة المجيد لا يزيله .

لك المجد أيها الراحل الكريم لقد اعددت لنهضة الجزيرة ، المغامرات الشاقة ، والجهاد المتواصل ، وبذل الجهود الكبيرة والسباق الى اقتناص الفرص ، والتبصر بموارد الامور ومصادرها وقد قلدت ما اعددت لنجلك الأكبر ، وافراد اسرتك ، وجيشك الباسل ، وشعبك العريق .

أيها الراحل الكريم

الا في سبيل الله ، ما اعددت في جزيرة شرفها الله بأن جعلها وطناً لخاتم رسله محمد ﷺ ، وفي ذمة الله ما احتسبت من خير وهدى .

فأي مواطن لا يعتز ولا يفتخر بهذه المكانة السامية المرموقة ، التي تبوأها جزيرة العرب ، للمرة الثانية في التاريخ واي مواطن يخفق قلبه بحب بلاده ، لا يكبر نهضتها الاسلامية الثانية ، التي وطدت اركانها ، ورفعت منائرهما ، ونصبت صواها . وجعلتها نهضة إسلامية خالصة . وأي مواطن بعد ، لا يتوجع ولا يحس بلوعة الاسى ، وقد نعاك البرق اليه .

لله عزائمك — أيها الراحل الكريم — ما اجلها .. هؤلاء القادة والزعماء الذين كانوا ، يعودونك في ايامك الاخيرة ، وهم في سورة القلق عليك ، قلما ودعوك بغير طمأنينة تفرح قلوبهم ، ورضا يسعد نفوسهم . لأن فرحك ببشائر النهضة الثانية في الجزيرة ، وسمو اعلامها الخفاقة ، كان يزحزح من أنفسهم قلقهم عليك ، واشباحه المقعية حواليك ، استجابة لسلطان شخصيتك المحبوبة المطاعة .

اجل ما انصرفوا من بين يديك في كل مرة ، الا وطمانينة قلبك تغمر قلوبهم ، وسعادة نفسك تملأ نفوسهم .

ايها الراحل الكريم ، ما كنت نسر الجزيرة العظيم إلا لأنك ادرعت الصبر بالإيمان ، واقتحمت الاخطار بالاخلاص ، وطلبت الانتصار بالاعداد .

ها نحن اولاء لا نزال نسمع صوتك الرنان يدوي ملء جزيرة العرب قائلاً .
ألا إن الحياة العزيزة السامية ، لا تنال إلا بالكفاح والنضال ولا تنال إلا بالثابرة على الأعمال العظيمة ، والنزوع الى المثل العليا ، والاخلاق الكريمة ، ولا تنال إلا بالاستقامة والتقوى والايثار ، ولا تنال إلا بتجاوز الحسن الى الاحسن .

ايها الفقيد الغالي . كم كنت شاكراً لله حين بذلت من ذات يدك في سبيله ماضن به الكرماء . ففتح الله عليك كنوز بلادك لتكون عوناً لك فيما أخذت به نفسك من فعل الخيرات ، واقامة الاجداد .

ايها الراحل الكريم

إنك أنعمت نظرك في تاريخ هذه الجزيرة الخالدة . فراعك ما كان لابنائها من مكانة تتطامن دونها الشمس وما انحطوا اليه في هاوية تتسامى عليها الرموس . فأهبت بهم بصوت الرعد القاصف ، وقوة الزلزال العاصف ، فهبوا من مراقدهم ، وقد هاجهم ما اعددت لهم ، هاجهم صهيل الخيل ، ودق الطبول ، وخفق الاعلام ولمعان العدد ، والمغامرات والتضحيات ، ليأخذوا من النهضة الحديثة مكانهم اللائق بهم : « الصدر الصدر » . فهؤلاء هم يأتون ببدايع العبقريات ، وغرائب الاعمال ، وما كان بدعاً ان يكونوا كذلك ، وانت عنوان نهضتهم ، وهل يقرأ الكتاب الا من عنوانه . هذا ما قدمته لأمتك من ايجاد ، فتم قرير العين ، سعيداً ، بما قدمت ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

كلمة وفاء عن حياة أستاذنا الشيخ حسن الشاعر

لا قيمة لحياة أي إنسان إلا بمقدار ما يُقدَّم للناس من سمو وهُدًى وخير . ولا أرى إنساناً أمدَّ الله به النفع للناس فيما قدَّم لهم من معارف كتاب الله خالية من نزعات التأويل وكُدُرات العُجْمَةِ والتواءات الحروف ما قدَّمها أستاذنا الشيخ حسن الشاعر .

أجلُ قدَّمها في صحافٍ من الذهب وأكوابٍ من الفضة صافية كما أنزلها الله على خاتم رُسُلِهِ ﷺ وجامعة لكلِّ ما تشبهه الأنفس من النعم السابعة من إحسانِ الاجادة وشُمُولِ المعرفة ، وأمانة العلم وصلة الرحم وفصاحة الكلمة وشُمُولِ الفكرة .

أجل إنه قدَّم الكثير من علوم القرآن لكثير من العلماء الذين تخرجوا على يده . إنه صدَّق في عَهْدِهِ مع رَبِّهِ ، فعاش له ومات له ...

إنه بطلٌ من أبطال الاسلام وداعيةٌ برُّ مُخلصٍ فذٌّ ، وما زرتُه مرةً إلا وكانَ لَدَيْهِ مَنْ يُدرسه أو يُلقِّنه صحَّةَ النطق . بآياتِ الله .

كان يدعوني بالعلم وخدمة الاسلام . وكان يودني لأنِّي هاشم : سليل آلِ الدفتر دار المدنِّين بل لأنه عرَّفني مُحباً للقرآن المجيد وأهله حُباً تغلغل في شغافِ قَلْبِي ، وجعلني أعكفُ على مطالعة المؤلفات التي تتصلُ بكتاب الله وتكشفُ غرائب معجزاته وعجائب تحدياته ومدهشات بيانه وجعلني أمارسُ تدريسَ تفسيره ولغته أكثر من نصف قرنٍ وكان أستاذي الشيخ حسن الشاعر ذا بصيرة نافذة مباركة .

وقد زرتُه أنا وصديقي الوجيه الشيخ عبد الوهاب الفقيه وكان آوياً الى فراشه .. فقلت للقائمين على خدمته في المنزل دَعُوهُ مرتاحاً في فراشه فنحن ندخلُ عليه .. فلما أخبروه أبى ذلك وأقبل علينا يتوكأ على رجلٍ ويجرُّ قدميه جرّاً .

قلت يا سيدي هذه مشقة عليك لا أريدها . فقال إني أحبُّ ذلك وأنت عزيز لدي . قلت جئتُ لزيارتك وأنا مضطر لأنِّي أريد أن أسافر الى المغرب الأقصى فكان لا بُدَّ من طلب دعائك لي .

فدعا لي ما الهمة الله وكان هذا آخر اجتماع لي معه لأنه توفي وأنا في المغرب في الدار البيضاء وكان المصاب شديداً . لأنَّ خلو الأرض من المخلصين الافذاذ أهل البر والتقوى مرعب للغاية لأنه إنذارٌ بازديادِ مآسي القلوب وقساوتها وغفلتها عن ربها جلَّ وعزَّ .

وبادرتُ في كتابة رسالة الى الصديق الحبيب سفير المملكة العربية السعودية في لبنان معالي الشيخ على الشاعر مع صهرنا السيد عبدالله العمّاري وكان في الدار البيضاء ومتوجهاً الى بيروت . واستاذنا الشيخ حسن الشاعر عميقُ الحب لله ورسوله وكتابه الكريم الحُب الذي تلمسُ آثاره وبوادره واضواءه سواء أكان بين تلامذته وأصدقائه أو كان عاكفاً الى نفسه تالياً للقرآن أو ذاكراً مفكراً . أو دارساً لبعض المؤلفات القيمة .

وكانت له صلة وثقى بربه يعرفها عنه أهله ومن كانوا على مودةٍ معه ويتحدثون عنها بالعجائب المباركة . وكان شقيقي الشيخ محمد سعيد دفتر دار هو أحد تلامذته يحفظ الكثير منها وكان إذا اجتمع الينا يحدثنا عنها وكنت أنا أعرف ذلك وإذا سميتُ من يتحدث بها إلى الناس قلتُ هذا حقٌّ فإنَّ أستاذنا الشيخ حسن الشاعر أنافَ على القرن من الزمان وهو على استقامةٍ من الأمر عجيبة .

وهذا النمط من الاستقامة هو كرامةٌ وزيادةٌ والعجائبُ كما تكونُ معجزاتٍ متحديةٍ لرسول الله الكرام تكونُ كراماتٍ مباركةٍ لأوليائه فالله وحده هو الفَعَّالُ لِنَمِّ كلا الفريقين .. والعلماء المفكرون يؤمنون بتصرفِ قُدرةِ الله في الممكّنات ولا ينسبُ إليها العجزَ إلا قليلُ العلمِ وأهنُ الفكرِ مُريب .

أي إنسان ليس له ولاية عن كلِّ ما جاء في هذا الأمر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أما قصص الله علينا أحسن القصص في صنع أجلِّ الكرامات لمن صدقوا الله في إيمانهم وأخلصوا له وحده العبادة وجاهدوا في سبيل دعوة الإيمان بكل طاقاتهم غدً إلى سورة الكهف من آية ٦٠ الى آية ٨٢ .

«واذ قال موسى لفتهاه لا أبرحُ حتى أبلغُ مجمعَ البحرين أو أمضي حُقباً (٦٠) فلما بلغا مجمعَ بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً (٦١) فلما جاوزا قال لفتهاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً (٦٢) قال : أرايت إذ أوتينا الى الصخرة فإني نسيت الخوت وما إنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدأ

على آثارهما قصصاً (٦٤) فوجدنا عبداً من عبادنا أتيناؤه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً (٦٥) قال له موسى هل اتبعك على أن تُعلِّمَنَ ممَّا علِّمْتَ رَشِداً (٦٦) قال إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (٦٨) قال سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قال فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فانطلقا حتى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قال أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قال لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرَهِّقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسرًا (٧٣) فانطلقا حتى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا (٧٤) قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قال إِنْ سَأَلْتَكَ عَزْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فانطلقا حتى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قال هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وأما الغلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا (٨١) وأما الجدارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) .

فإنَّكَ تَلْمِزُ أَكْرَامَ اللَّهِ لِلَّذِينَ أَخْلَصُوا لَهُ الْوَلَايَةَ بِصَدَقِ إِيْمَانِهِمْ بِهِ وَإِثَارِ رِضْوَانِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَلْمِزُهَا بِالْخَمْسِ فِي قِصَّةِ وَلِيِّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مَعَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَيِّدُنَا مُوسَى وَإِنْ كَانَ رَسُولًا مِنْ أَوْلِي الْعِزِّ الْخَمْسَةِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَفْهَمَنَا أَنْ عَطَاءَهُ كَبِيرٌ ، وَرَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ . وَمَا لَهَا مِنْ حُدُودٍ فِي عُرْفِ الْبَشَرِ لِأَنَّ نَعَمَ اللَّهِ وَعَطَايَاهُ لَيْسَ فِي طَاقَةِ الْبَشَرِ تَحْدِيدُهَا هِيَ وَاسِعَةٌ وَارِعَةٌ « وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ..

وكذلك أنظر إلى أم موسى : والمرأة لَا تَكُونُ نَبِيَّةً أَبَدًا لَمَّا تَقْضِيهِ النُّبُوَّةُ مِنَ الْاِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ وَالْوَحْيُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَأَوْحِينَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ... هَذَا الْهَامُّ صَادِقٌ يَحْطِىْ بِهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ لَهَا مِثْلُ الْحَالِ الَّتِي كَانَ لَأُمِّ مُوسَى نِجَاجَ رَبِّهَا وَهَذَا الْإِلَهَامُ يَقْدُفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَبَتِّلِ الْإِوَاهِ .

ومن أجل ذلك أجرى الله لها الكرامة ناهيك وهي أم لرسول كريم من أولي العزم . وهذا الوحي الإلهامي لأم موسى مُفَصَّلٌ في القرآن تجده في سورة القصص ٢٨ من آية ٧ الى آية ١٣ وفي سوري سورة القصص .

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وهم لا يشعرون (٩) وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتسدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأختها قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣) .

ولو لم أكن في حديثٍ موجزٍ لحقيقة الكرامات التي نسمعها من السنة المتصلين فأستاذنا الشيخ حسن الشاعر لأفضت في ذكر ما جاء في القرآن المجيد والسنة النبوية الصحيحة . ولا أحد يرتاب ممن عرف الشيخ حسن الشاعر عن كتب أو اختلط به مستفيداً من علومه أنه كانت له رعاية خاصة من الله عز وجل وأن الله أجرى على يده من فضله على عباده الكثير من الهداية والتقى والعلم .

وكان استاذنا الشيخ حسن الشاعر الى جانب ذلك كله ذا فكاية مبرورة حبيبة جداً ولا يزال أحبائه الذين كتب الله لهم الصلة به يحفظون منها ما يحفظون وكان هو نفسه يتحدث إلى ضيوفه بشيء منها ترفيهاً لهم وسلواناً أذكر أنه قال وكنا في زيارته أنا وولدي الشيخ أيمن دفتر دار والصدیق الشيخ سعدي ياسين وبعض الأصدقاء فأخذ يتلطف بنا وذكر قصة فكاية قال إني كنت ألقن أحد طلابي من الاعاجم كيفية مخارج الحروف العربية المنزلة في القرآن المجيد .

وكنْتُ ألقىُ جهْداً في تدریبه على صحّة نطقِ قوله تعالى «ألدُّ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً ..» ١١ — ٧٢ ولكنَّ لسانه كان صلباً لم يُطاوِعه على صحّة النطق بالعين بل ظلَّ يقولُ هذا بعلي شيخاً وكان شيخنا يشدُّ على حرفِ العين بعلي بعلي وكان هو يُردِّدُ بعلي بعلي بعلي . وهكذا ظلَّ يقرأها محرفةً « وهذا بعلي شيخاً » وذهب جهْدُ شيخنا سدى .

واذكر أنه كان مرةً يشيع جنازةَ أحد أهل العلم في المدينة المنورة والمعروفُ عَنْ أهل المدينة المنورة أنهم يُكرمون العلماءَ كثيراً فكانَ الإزدحامُ شديداً وكانَ يَمْشِي بجواره تلميذٌ بَسِيطُ الثَّغَتِ الى الشيخِ حَسَنَ باهتَمِ وقالَ شَيْخِي إِذَا أَنْتَ مِتَ تَكُونُ جَنَازَتُكَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ قَالَهَا بِكُلِّ بَسَاطَةٍ فَضَحِكَ الشَّيْخُ حَسَنَ وَشَدَّ عَلَى يَدِهِ اشْفَاقاً ...
وكم كنتُ أتمنى أن أكتبَ مؤلفاً كاملاً أَرْخُ فِيهِ حَيَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ حَافِيهِ بِالْأَجَادِ الْخَالِدَةِ وَالْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ مَعَ الزَّهْدِ وَالْعِفَافِ وَالرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

هاشم دفتر دار

الكلية السعودية في لبنان

كم يتوجع السعودي الصميم ، الذي يقطن لبنان ، حين يشاهد لكل جالية جامعة أو كلية تقوم بالتوجيه الى لغتها وثقافتها ، ودعم سياسة دولتها ، والدعوة الى عقائدها والسهر على تربية شخصيتها القومية في ابنائها ، خشية ذوبانهم وتلاشيهم في سواهم ، ولا يجد مثل ذلك الجاليتة .

وقد فكر في هذا الأمر الخطير الملحق الصحافي في المفوضية السعودية المواطن الاديب الشيخ عبد الله الملحق ، تفكيراً عملياً منتجاً ، فشرع عن ساعديه ، وقدم ما لديه من ثروة ، وأخذ يشيد بها ، الكلية السعودية ، على هضاب «سن الفيل» أجمل موقع في ضواحي بيروت . وكله عزيمة صادقة أن يتحي عين المهاج الذي وضعته وزارة المعارف السعودية ، ليبقى لنشئ الجالية والمرسلين للتعليم العالي خصائص بلادهم ، خوفاً على وحدة المملكة من التصدع والتفكك والتباين .

وقد ابتدأ العمار سنة ١٣٧١ هـ ولكن قبل أن ينتهي ، صدر المرسوم الملكي السامي الموفق عام ١٣٧٤ هـ فتوقف الشيخ عبد الله الملحق عن اتمام تشييد الكلية السعودية ، لأنه رأى أن المرسوم تدارك ما كان يحذره على نشئ البلاد ، إذ فرض عليهم أن يتابعوا دراستهم في وطنهم ، على أعين وزارة المعارف الساهرة في وطنهم ، على أعين وزارة المعارف الساهرة اليقظي ، وتحت رقابتها الدقيقة الواعية .

وكم كان لهذا المرسوم الملكي الكريم من غايات سامية بعيدة ، عميقة التأثير ، كبيرة النفع لمستقبل البلاد .

يكفي أنه أقام الحواجز المنيعه ، بين المملكة وتسرب خبائث الحضارة الحديثة : من كفر صراح بالروح ، وعبادة متبيلة للمادة ، واستهتار مفضوح بقيم الاخلاق ، وانحطاط هدام في المبادئ ، ودس منكر على تاريخ العرب والإسلام واغراء ممقوت بارتكاب الفواحش باسم الحرية والعلم .

وهنا أجد افراد الجالية السعودية في موقف رجاء ملح من وزارة المعارف ، أن لا تحرم ذريتهم من هداية تثقيفها الوطني ، وخصائص توجيهاته ، لينشؤوا أمناء على تراث بلادهم العام ، وعلى استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل حفظه قبل ان ينشؤوا أمناء على ميراث آبائهم

الخاص — وفي كل خير — وإن كانت خيانة ميراث الاباء ، لا تهلك الا الخائنين بالذات ، وخيانة ميراث البلاد تهلك الأمة جمعاء . هذه خيانة أبي رغال في الجاهلية ، أفسحت المجال للغزاة الى أن يصلوا الى بيت الله الحرام ، قاصدين هدمه . وهذه خيانة الوزير ابن العلقمي في الاسلام ، قضت على الدولة العباسية ، وأهلكت الحرث والنسل ، ودمرت العواصم الكبرى في الشام والعراق . والتاريخ طافح بذكر الخونة الذين كانوا سبباً في هلاك الدول ، وإبادة الشعوب . لذلك كان أجل ما تهتم به كل دولة ، هو أي تنشء أبنائها على حماسة المغامرة والتضحية بالنفس والمال في سبيل أمجاد البلاد ، وهذا شأن قادة الجزيرة العربية بالأمس . وما اهتمام قادتها اليوم بالأشراف على تربية نشئها الحديث ، وأخذهم بآداب المثل الاسلامية العليا ، ومراقبتهم مراقبة صارمة ، فيها كل المسؤولية ، الا اقتفاء لما كان عليه اجدادهم الأول من اليقظة والحزم والوعي والنظر البعيد البعيد . والتوجيه أهم من التثقيف بمراحل . هذه المعاهد الاجنبية في الشرق تثقف ، ولكنها توجه لنفسها ، ونظرة دقيقة مراقبة عن كثب . لما يث في تضاعف معارفها من إحياء مركز ، وتوجيه خاص بهم ، تكفي لادراك قيمة التوجيه ، لدى الدول الكبرى .

ولم نجد مفلتاً من اشراف وزارة المعارف بعد صدور المرسوم الملكي الكريم الموجه ، سوى ابناء المغترين والمرسلين للتعليم العالي ،

أما من كان من هؤلاء في لبنان ، فالأشراف عليهم في منتهى السهولة ، لوجود الكلية السعودية المعدة لهذه الغاية الملكية الموجه ، ولكنها لن تستطيع أن تؤدي رسالتها التوجيهية على أكمل وجه — كمؤسسة ثقافية سعودية صميمة لحما ودماً — شأن كل المؤسسات الاجنبية التوجيهية إلا اذا شملتها الرعاية الملكية السامية .

أجل ستكون هذه المؤسسة السعودية ، بعد فتح أبوابها شمساً وهاجة مشعة بأنوار الرسالة الإسلامية الصافية ، كما هي في مطلعها الاولى . ونادياً كريماً لالتقاء المواطنين وتواددهم وتفاهمهم ، وسوى ذلك من المآرب الاجتماعية التي تهدف اليها الدولة في سياستها ، ولولم يكن للاهتمام بهذه المؤسسة الثقافية ، من نتائج سوى هذه ، لكانت قيمة أن تنال من حكومتنا العزيزة ، كل العناية والرعاية . وحكومتنا اليوم في أمس الحاجة الى إيجاد أمثالها في لبنان ، مجمع الدعايات المتنافرة ، من أي وقت آخر ، لأن ما ينفعه الغربيون في سبيل دعاياتهم يتجاوز الملايين . خذ مثلاً فرنسا وحدها فانها تنفق في هذا السبيل في لبنان وحده ، من أجل دعايتها ، ما يزيد على خمسة وأربعين مليوناً فرنكاً ، فما بالك بأمريكا وانجلترا ...

أجل ستكون هذه المؤسسة الثقافية السعودية ، مركزاً هاماً للدعاية والنشر في لبنان ، وهمزة وصل اجتماعي خير بين المملكة العربية السعودية والممالك الأخرى . وبالبحري إذا اضيف اليها لسان ناهض مناضل ، في مؤلفات دورية ، ومجلة رسمية ، ويسرني قبل أن اختم كلمتي حول هذه المؤسسة السعودية في بيروت ، أن انوه بفضل كاتبتنا الكبير العبقري فخر المملكة العربية السعودية الاستاذ حمد الجاسر ، فقد سبقني الى الافاضة في هذا الموضوع القيم الخطير .

افاضة أثارتنني الى الكتابة فيه ، فالفضل له . وأن اتقدم بكبير الشكر لسعادة وزيرنا المفوض رجل النبل والفضل الشيخ عبد العزيز الكحيمي ، لما يبديه من نشاط كبير في خدمة الوطن العزيز ، ولما يبديه من عناية كريمة ، واهتمام بمشروع الكلية السعودية في لبنان .

يَا بِلَادِي

« ... حياة الأمة لا تعد بالسنين والاعوام ، وانما بالأعمال الاجتماعية الكبرى التي يحققها قادتها الابطال المفكرون .

وفي هذا العهد السعودي الزاهر ، قد استطاع قادة بلادنا المفكرون ، وعلى رأسهم جلالة ملكنا المعظم سعود ، وولي عهده سمو الأمير فيصل ، أن يشرفوا من أعلا قمم التاريخ مرة ثانية ، وأن يمدوا أيديهم الوفية الموفقة ، الى أيدي قادة مصر ، عاقلين معاً الاتفاقية السعودية المصرية ، المشتملة على الضمانات الحربية المسلحة التي تحفظ مستقبل البلاد العربية .

أخذ الله بأيديهم الى كل ما فيه العزة والسلطان والسؤدد والمجد والخير والهدى . وقد كان من أثر إعلان هذه الاتفاقية ، في أنفسنا — نحن المواطنين — هذه الكلمة المشرفة التي أرفعها بكل تقدير بين يدي جلالة ملكنا المعظم سعود ، وولي العهد صاحب السمو الملكي سمو الأمير فيصل ، وسمو الامير مشعل وزير الدفاع والطيران وسائر رجال الحل والعقد في بلادنا ، لتكون ذكرى ناطقة باسمي أعمال قادة هذا الجيل ، من أجل الابقاء على حياة الأجبا الآتية واسعادهم » .

يا بلادي

« .. اليوم أتم الزمان دورته الثانية ، وأذن فجرك بالانبلاج ، وها أنت ذي استيقظت ظمأى الى استئناف جهادك الجبار ، لتبني الحضارة الحديثة بناء إسلامياً خالصاً من جديد .

فأنت نية صادقة في جلال الايمان ، واشعاع مقدسة في وحي السماء ، وقوة رحيمة في تاريخ البشر ، وشرعة عدل في سجلات الحاكمين ، وانسانية عالية في كون الاخلاق ، وقلادة فذة في جيد الزمان ، وهذا قلبي كله لك ، إنه ليخفق لهفة وحنيناً اليك : —

وكلما جرت ذكريات مجدك الكبير على لساني وكلما التمت شمائل عبقريتك الواعية ، في دهاء ساستك اللامعين .

كلما أمعن قادتك الابطال في إعداد العدد والعديد ، ليدروا عنك مفاجئات الاخطار . وكلما جلجل صوت مناديك الاول : « حي على الفلاح » طلع الفجر . وكلما اهلت اجيالك ، وهم على اهبة الاحرام « لبيك اللهم لبيك » .

ولقد اختلطت بناشئة الصحراء — كما يسمون بنيك — وبناشئة الجامعات في العالم ، فلمست الميزة بين ثمر الطبيعة التي أودع الخالق العظيم ، في تضاعيفه سر نواة الحياة الخيرة الصالحة ، وبين ثمر المعمل .

أجل لمست الميزة بين مواهب الفطرة النابضة روحاً في الشئائل وبين مظاهر المعرفة القائمة جسداً في الاحجار ، وبين مودات القلوب الوفية ، وبين مداورات اللسان المدخولة .

يا بلادي

يسمونك الجزيرة ، وأم الساميين ، والبلاد المقدسة ، ومهبط الوحي ، ومنبت الشعراء ، وإني لا اعتبر بكل هذه الاسماء ، حين انتسب بها إليك .

ولن ينقص من قدرك أن بنيك عاشوا في جاهليتهم اميين اوزاعا ، وأنهم اعطوا كل حقوق الأمة للقبيلة من الناحية الاجتماعية . فهذا حال كل أمة في ذلك الدور البدائي . ولكن حسبك امتيازاً — يا بلادي — ان الله زحرك لتكوني موطناً لخاتم النبيين ، وزخر في بنيك كل مواهب الفطرة السامية زخر الماسة في المنجم ، ليكونوا في كل عصر بواغ نور وهداية ، وقوة واجتماع .

يا بلادي .

هؤلاء أقطاب الدول الكبرى ، يكررون نداءهم بفرض المثل الانسانية العليا ، وفرض السلام ، وهم مدركون أن نداءهم يذوب في منطق غرائزهم ، التي لم يهذبها كبت الايمان بهاتيك المثل ولكنهم يأبون أن يظهروا في مؤتمراتهم الدولية إلا بكاملها ليضلل بعضهم بعضا ، عن مغاور مؤامراتهم ، ومحابيء مدمراتهم .

أما زعمائك — يا بلادي — فالمثل العليا عقائد إسلامية متغلغلة في أعماق قلوبهم ، تكبت طغيان غرائزهم كبتاً ، وتعصف به بعيداً عن الانتم والعار ، والاثرة والظلم ، والتسلط ونقض العهود

سقيا لك — يا بلادي !

ان تربتك الطيبة ، لا تنبت الا القادة النبلاء الذين لا يزوغون عن الهدى والخير ، اذا زاغ الناس . ولا يحجمون عن التضحية والفداء في سبيلك اذا احجم الناس ، ولا ينكثون عهودك التي أوثقوها لشد ازرك ، اذا نكث الناس .

ولا يختلفون في رفع اجمادك إذا اختلف الناس . ولا يترددون في نصب رايتك على رأسي كل شرف ، اذا تردد الناس

فقاتدتك هم هم ، ما أشبه اليوم بالأمس : «ثلة من الاولين وثلة من الآخرين» .

وهل شاهد التاريخ وعياً اجتماعياً عبقرياً ، اسماً من وعي قادتك ، قديماً وحديثاً . إنهم قدموه للأمم إيماناً وأعمالاً ، من قبل أن يقدموه علوماً وأسفاراً .
قدموه تفانياً في إصلاح ذات البين ، وإخلاصاً في صدق التفاهم وهم مدركون أن في ذلك كل النجاة من الحروب الأهلية المدمرة لهم .
قدموه مغامرة في البطولة ، وتهاوتاً على التضحية بالنفس والمال وهم مدركون أن في ذلك كل الابقاء على حياتهم .
قدموه عمقاً في التفرس ، وعبقرية في كشف مداخل العيون والأرصاء ، وهم مدركون أن في ذلك كل الوعي للفخاخ التي تنصب لهم في الظلام .
قدموه وعياً لما ينسج وراء توجيهات الدسائس النفعيين من مكاييد ، ترتدي أثواب المودة .
وهم مدركون أن في ذلك استقامة أمرهم ، واستدامة دولتهم .
قدموه وحدة جامعة ، وجامعة موحدة ، وهم مدركون أن في ذلك . دعم مجد الدولة بين الدول ، والسمو بحضارتها بين الحضارات .
يا بلادي .

ان بنيك الأشداء هم الذين أقاموا في الشرق على مد التاريخ الدول الكبرى ذات الأبعاد الفذة ، والمدنيات الرائعة ...
أجل أقاموها في العراق كلدانية واشورية وبابلية ، من قبل أن يقيموها لخمية وعباسية .
وشيدوها في الشام كنعانية وفينيقية وسريانية من قبل أن يشيدوها غسانية وأموية .
وركزوها في مصر مبنوية وهكسوسية من قبل أن يركزوها فاطمية وأيوبية .
وفي هذا العصر أقسم بنوك أنهم سيأثّلونها إسلامية سعودية ، أجل يؤثّلونها ببعد نظر دهاة الساسة ، وبجلادة عزمات الشبان ، وبغريب عبقریات المفكرين من علماء وأدباء .
يا بلادي

هذه السماء ماثلة في محرابك ، وهذا قدس وحيها الظهور يملأ صدرك . كأحسن ما يكون التقدم والجهد ، وكأروع ما تكون العظمة والاعتبار .
ولقد أنعمت نظري طويلاً في شتى أسفار الأديان الأخرى فلما قارنتها بسفرك السماوي المقدس — القرآن المجيد — ميزت بين قوى الروح الابدية الدافقة بالحياة والنور والهدى والعلم ، وبين سكينه التواييت التي تحمل قصة حياة انتهت .

أجل ميزت بين أسفار تركت المعجزات خلفها ، ومشت مثقلة خلف الاجيال ، وهي تحمل أغذية طفولة العقل ، وبين سفر يزجي معجزاته العلمية التقدمية أمامه قوية غلابة ، وهي تنادي متحدية صارخة ابد الدهر : « وإن كنتم في ريب مما انزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » .

يا بلادي

إنهم يتمثلون منشدين :

قد يهون العمر الا ساعة وتهون الارض الا موضع
وهذا صحيح في نظر الاناني الطائش ، اما في نظر الاجتماعي المفكر فالعمر كله غال ، لأنه ثروة الأمة التي بها تعتر وتقوى وتسمو وتثبت شخصيتها ووجودها .
ومواضع الوطن كلها عزيزة ، لأنها موطن حياة الأمة ، ومستقر أمجادها ، وفيه تتحد وتقوى ، وتشيد معالم حضارتها ، ومعامل علومها وصناعتها وكل مقومات حياتها .

بَيَانُ عَنْ حَقِيقَتَيْنِ أَساسِيَّتَيْنِ

إنَّ هذا القسمَ يشتملُ على بَيَانِ حَقِيقَتَيْنِ أَساسِيَّتَيْنِ :

الأولى : بَيَانُ كتابِ الوحيِ الآلهيِّ اليَقينيِّ المتزلِّ من لدنِ ربِّ العالمينِ ..

الثانية : بَيَانُ كتابِ العِلْمِ اليَقينيِّ القائمِ عليه تكوينِ الكائناتِ ، ولا غنىَّ للإنسانية المتطورة حضارياً ومعارفَ وآداباً وفنوناً وصناعاتٍ من الاطلاعِ على هاتينِ الحَقِيقَتَيْنِ ، وكشفُ هَاتَيْنِ الحَقِيقَتَيْنِ الآساسِيَّتَيْنِ تُؤدِّيَانِ بالبشرِ الى خلعِ غرائزِ الغابِ وَلَوْ بالكِبْتِ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَلَا يُنْطَبِعُ الإلهاميِّ التكوينيِّ .

والحقُّ أَنَّ انْكَشافَ وحدةِ المعرفةِ الماثلةِ في علمِ الكونِ اليَقينيِّ وفي علمِ الوحيِ اليَقينيِّ معا : ومنْ حُدةِ المعرفةِ هذه تنظُمُ الأُمَمَ كافةَ وحدةً المشاعِرِ الحساسةِ العاليةِ ووحدةً المودةِ الصادقةِ ، ووحدةً الثقةِ الجَامعةِ ، ووحدةً السلمِ والرحمِ الواحدِ والتعارفِ والتفاهمِ وتبادلِ مرافقِ الحياةِ بِأَمَانَةٍ ورضاً وطواعيةٍ .

من أَجلِ ذلكَ أرفعُ هذا الكتابَ الى مُفكِّري الأُمَمِ كافةِ العلماءِ والأحرارِ ليكونَ منارَ عِلْمٍ وهَاجٍ وهَاتِفاً بِاسْمِ خاتمِ الوحيِ الآلهيِّ والعِلْمِ اليَقينيِّ وهَاتِفاً بكلِّ المثلِ الانسانيةِ العليا ، وبكلِّ العلمِ اليَقينيِّ وبكلِّ الإحسانِ ، وبكلِّ الموداتِ ، دونِ حقدٍ وكراهيةٍ ، وزورٍ وتزويرٍ وافكٍ ودَسٍّ وزيادةٍ ونقصانٍ وغرورٍ وخيانةٍ واثمٍ وقطيعةٍ رَحِمَ ..

وبالأحرى الذين كتبوا عن الاسلامِ بلغةِ العُنْصَرِيَّةِ الشُّعْوبِيَّةِ ، أَوْ بِمَارِجٍ مِنْ أَحْقَادِهَا ، أَوْ بنوازغٍ مِنْ عَقِيدَةِ الوثنِيَّةِ الضَّارِيَّةِ ، والشركِ الظاهرِ والباطنِ أَوْ بِنَهْمَةٍ فَاجِرَةٍ مِنْ الكَسْبِ الآثِمِ ، أَوْ بزعمِ الخوفِ مِنْ وَحْيِ اللهِ ، وما أنزلَ اللهُ مِنْ وَحْيٍ الا رَحْمَةً عَامَةً للعالمينِ . وان كان فيه من خوفٍ ، فهو لا يَتَزَلُّ إِلَّا بِالْجُرْمِ المَلْحَدِينَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ يُمَزَّقُونَ وَحْدَةَ البَشَرِ ، وَيُشْعَلُونَ بَيْنَهُمُ الْفِتَنَ الْحَمَاءَ والحُرُوبَ العَمِيَاءَ ، وَيَنْفُثُونَ بَيْنَهُمْ صَغَارَ الْفُرْقَةِ وَالشَّتَاتِ .

وَأَنِّي أَقَامُ مِثْلَ هَذِهِ السَّخَافَاتِ وَالْإِنْخِطَاطِ ، وَأُقِيمُ جَاداً لِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ وَأُحَرِّصُ عَلَيْهَا كُلَّ الْحَرِصِ فِي كُلِّ مَا أَكْتُبُ عَنِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالسَّيْرِ وَالتَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ وَالْمَحَاضِرَاتِ وَالرَّحَلَاتِ وَفِي كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِالْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَلَا أَخْرُجُ أَبَداً عَنْ هُدَى الْإِسْلَامِ ، وَوَاقِعِ الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ بِالذَّاتِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ الْيَقِينِيِّ ..

وَأُحَرِّصُ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ إِنْ أَكْتُبُ مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ وَمَصْلَحَةُ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً . وَكَتَبْتُ كُلَّ مَا يَنْهَضُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعِلْمِهِمْ وَفَنُونِهِمْ وَشَعْرِهِمْ وَتَوْحِيدَ كَلِمَتِهِمْ ، نَاهِيكَ بِمَا أَمَّ اللَّهُ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ تَوْحِيدِ الْعَرَبِ فِي قَلْبِ الْجَزِيرَةِ . وَقَدْ مَجَّدْتُ كُلَّ ذَلِكَ وَحَرَصْتُ عَلَى التَّرَامِهِ حَتَّى مِنْ دِرَاسَتِي لِلْأَدَبِ لُغَةً وَشِعْراً وَخَطَابَةً وَأَمْثالاً وَقِصَصاً وَبَطُولَاتٍ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ . وَإِنِّي أَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَدِيمَ عَلَيَّ نِعْمَةَ الْإِيمَانِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَمَلِيِّ الصَّادِقِ بِاللَّهِ وَحَدَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، دُونَ شَرِيكَ أَوْ مَعِينٍ أَوْ ظَهِيرٍ ، وَدُونَ إِغْفَالٍ لِنِعْمَةِ مُتَابَعَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى أَمْجَادِ هَذَا الْإِيمَانِ وَمِثْلِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعُلْيَا ...

أَجَلُ هَذَا شَأْنِي فِي كُلِّ مَا كَتَبْتَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ :

— عَقِيدَةٌ وَفَقْهَاءُ وَسِيرَةٌ وَصَلَاةٌ وَزَكَاةٌ وَتَفْسِيرٌ وَتَارِيخٌ وَاجْتِمَاعٌ .

وَإِنِّي فَقَدْتُ كَلِمَاتٍ مَمْرُورَةً رِعْنَاءَ تَنْضَحُ بِلُغَةِ الْعَنْصَرِيَّةِ الشَّعْوَِيَّةِ ، وَبِالْكَسْبِ الْمَحْرَمِ الْآثِمِ ، وَبِظُلْمٍ مِنَ الْحَقْدِ الْمَجْرَمِ الدَّفِينِ ، وَبِدَافِعٍ مِنْ عَصِيَّةِ الْوُثْنِيَّةِ الضَّارِيَّةِ ، أَوْ بِدَافِعٍ دَسَّ الْخَوْفِ الْمَوْهُومِ الْمَفْتَرِي مِنْ عَصِيَّةِ الصَّهْيَانِيَّةِ . وَإِنْ كَانَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيَهُ إِلَّا رَحْمَةً بِالْإِنْسَانِيَّةِ كَافَّةً ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا يُخَيِّفُ غَيْرَ الْمَجْرَمِينَ الضَّالِّينَ أَجَلُ لَمْ أَكْتُبْ فِي حَيَاتِي كَلِمَةً وَاحِدَةً تُسَيِّئُ إِلَى إِنْسَانٍ أَوْ تَضُرُّ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ تُؤْذِي أَحَداً .

لَأَنِّي لَا أَكْتُبُ إِلَّا الْخَيْرَ . امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» ..

وَأَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، الْإِيمَانُ الصَّادِقُ ، لِذَلِكَ مُحَالٌ أَنْ كَلِمَةً شَرًّا أَوْ أَذًى ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ حَتَّى مَا كَتَبْتُهُ عَنِ الْأَدَبِ ، وَبَعْضَ سِيرِ الرِّجَالِ ، وَعَنِ التَّارِيخِ ، وَكَذَلِكَ مَا كَتَبْتُهُ عَنِ اللُّغَةِ وَأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا وَمِنَ الْقِصَصِ دَاخِلِ الْوَطَنِ وَخَارِجِهِ . بَلْ أَقُولُ : وَعَنِ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِفَنِّ الْقَلَمِ .

فَإِنِّي أَتَرَسَّمُ هُدَى الْإِسْلَامِ ، وَالْوَاقِعِ الْعِلْمِيِّ الْيَقِينِيِّ . وَالتَّوْجِيهِ التَّزْيِيهِ الْمَجْدِي وَمَصْلَحَةِ

الانسانية ، ومصلحة العروبة والاسلام خاصة . أي لا أكتبُ الا الخير الذي يجمعُ الصفوفَ ويوحدُ الكلمةَ ويمنحُ القوةَ والعزةَ ، ويحلو الحقائقَ .

بالاضافة الى كل ما ينهضُ بلغةِ العرب ، وعلومهم وفنونهم وشعرهم ومعاهدِ ثقافتهم وأسواقهم الادبية من الجاهلية والاسلام .

وإني أفعلُ كلَّ ذلك — والله وحده الشاهد — لأجل مرضاتِ ربي جل وعز ، وما كان أوسع ما يقضيه على من نعمة الكفاف ، والكفافُ والغنى عن الناس أوسعُ نعمة . وما فضلُ فهو للانفاقِ من بناءِ أجمادِ الخلود ، ومن يبخل بصدقِ قول الله جل وعز « ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لتنفقوا في سبيلِ الله فنكم من يبخل ومن يبخلُ فإنما يبخلُ عن نفسه والله هو الغني وأنتم الفقراء » .

وَأَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٤٧ — ٣٨)

وما قاله الشاعرُ الحكيمُ فهو مُستوحاً من كلام الله جل وعز ..

إِذَا كُنْتَ جَاءَ لِمَالِكَ مُسْكَاً فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينٌ
تُؤَدِّيهِ مَذْمُوماً إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ فَيَأْتِلَ عَفْواً ، وَأَنْتَ دَفِينٌ
وحتى ما كتبتُه في غُرْبَتِي مِنْ مَقَالَاتٍ وَمَحَاضِرَاتٍ وَخُطَبٍ وَكَلِمَاتٍ الْقِيَتُهَا فِي الْإِذَاعَةِ وَسِوَاهَا ، فَإِنَّمَا لَا تَخْرُجُ قَبْدُ شَعْرٍ عَنْ أَصُولٍ وَحْيِ اللَّهِ وَفُرُوعُهُ أَبَدًا أَبَدًا .

وإني أضرع الى الله عز وجل ، أن يديمَ علينا نعمةَ الايمانِ به ، واخلاصَ الدَّعوةِ له وطرحَ كلِّ عِبَادَاتِ الْخُلُوقَاتِ الْمَادِيَةِ وَالطَّاقِيَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمَثْمَلَةِ فِي الشَّرْكِ وَالْوثنِيَّةِ .

وما أكرمَ الدعوةَ الى الله التي ينهضُ لها ، ويقومُ بها علماءُ مخلصونَ أبرار . لا يريدونَ الا رضوانَهُ ونيلَ ما عنده وليس في الوجودِ أشرف ولا أرفع ولا أكرمُ من وظيفَةِ الدعوةِ الى الله جل وعز هي وظيفَةُ الرسلِ الكرامِ صلواتِ الله وسلامه عليهم .

وظيفةُ تلامذتهم وأتباعهم وَمَنْ يَلِيهِمْ مِمَّنْ يُحْيِي بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ والدَّعوةُ الى الله لها ناحيتان :

١ — ناحيةٌ خاصةٌ وهي التي يقومُ بها أهلُ العلمِ المخلصونَ الأبرار .

٢ — وَناحيةٌ عامةٌ وهي التي يقومُ بها وُجَّهَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَتِجَارِهِمْ وَحُكَّامُهُمْ وَأَهْلُ الْخَيْرِ وَالِدِينِ وَالتَّقْوَى لديهم ، والدَّعوةُ الى الله منصوصٌ عليها من وحيِ الله جل وعز .

« أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (١٦ — ١٢٥) .

هذا هو كل رجائي من تأليفه ورجاء الاصدقاء والعلماء الذين رغبوا الى في ذلك وهم كثر والحمد لله ..

واني أختم هذا البيان بهاتين الآيتين المعجزتين المتحديتين : آية . « قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ١٠٤ » وكذلك نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ، وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » ١٠٥ — ٦ « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَلْبَابِ » أي خلاصة أهل العقول ، وهي التي تسمى بمعارفها وتحقيقاتها عن الانحطاط العريزي الغابي والتقاليد الباطلة المتوارثة (٣٩ — ٩) .

والسبب الذي حَدَّثَنِي أَنَّ أَخْتَمَ هَذَا الْبَيَانَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ هُوَ أَنِّي التَزَمْتُ بِكُلِّ تَصْمِيمٍ وَصَدَقْتُ أَنَّ أَقْدَمَ لِأُمِّ الْحَضَارَةِ الْمُتَطَوِّرَةِ وَالْأُمِّ النَّامِيَةِ الْجَادَةِ فِي السَّيْرِ مَعَ تَطَوُّرِهَا ، أَقْدَمَ لَهَا حِصَانَةَ التَّطَوُّرِ الْمُتَزَلَّةِ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ لِعِزَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا وَالسُّمُوبَهَا إِلَى الْمَثَلِ الْعَلِيِّ الْمُتَزَلَّةِ مِنْ اللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَجَلَ أَقْدَمِهَا بِمَا هُوَ مُعْتَبَرٌ لَدَيْهِمْ مِنْ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ الْعِلْمِيِّ لِأَنِّي مَدْرَكٌ أَنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَفْرَادَ الَّذِينَ يُرْفَعُ إِلَيْهِمْ هَذَا الْمُؤَلَّفُ لِيَسُوءَ جَمِيعًا مِنْ مَوَالِدِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ الَّتِي هِيَ مَهْبُطُ خَاتِمِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ « الْقُرْآنِ الْحَمِيدِ » الْمَوَالِدِ الَّذِي يَنْشَأُونَ عَلَى اسْتَظْهَارِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مُعْجَزَاتِهِ وَالتَّعَرُّفِ إِلَى مَا يَحْمِلُهُ مِنْ مَثَلٍ عَلِيٍّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ كَافَّةً . مِنْ سَعَادَةٍ وَسَلَامٍ وَمَوَدَّةٍ صَادِقَةٍ وَعِلْمٍ نَافِعٍ وَإِيمَانٍ عِلْمِيٍّ أَكِيدُ .

وَأَيُّ قِيَمَةٍ لِلْحَيَاةِ إِذَا خَلَّتْ مِنْ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ ، وَمِنْ نِعْمَةِ التَّزَامِ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ مِنْ أَجْلِهَا بِكُلِّ الْمَوَاهِبِ وَالطَّاقَاتِ وَالتَّضَحِّيَّاتِ وَهَذَا شَأْنِي وَالْفَضْلُ لِلَّهِ سِوَايَ كُنْتُ مُقِيمًا فِي بِلَادِي أَوْ كُنْتُ مُغْتَرِبًا . لِأَنِّي أَحْسَسُ أَنَّ بِلَادَانَ الْإِسْلَامِ وَالْعُرُوبَةِ وَاحِدَةً . وَالْجِهَادُ فِي أَيِّ بِلَدٍ هُوَ جِهَادٌ لِبِلَادِي . لِأَنِّي أَحْمِلُ اسْمَهَا وَأَلْقَبُ بِهَا ..

وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ الْقِسْمَ الْجَدِيدَ الَّذِي أَضَفْتُهُ إِلَى هَذَا الْمُؤَلَّفِ وَكَانَ هَذَا الْقِسْمُ مَخْطُوطًا لَدَيَّ ، لَوْ ظَلَّ مَخْطُوطًا لَمَا أَفَادَ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ظُلَامَ الْخَزَائِنِ . وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ تَكْرَمًا وَاحْسَانًا ..

والله جل جلاله هو المنعم المتفضل وَالْهَادِي عَلَى كُلِّ حَالٍ ..

النظران العملي والفكري وبرهانهما

النظر العملي والفكري في أعمال الكائنات :

- النظر : يقال : نظر في الأمر : أي فكر فيه وتأمله وتدبره ليكشف حقيقته ، ولفظته نظر هي مصدر أي مصدر اشتقاق الفروع منها والنظر من أعمال الكائنات قسمان :
- ١ — النظر العملي : وبرهانه مشاهدة أعمال الكائنات .
 - ٢ — والنظر الفكري : وبرهانه التفكير في أعمال الكائنات ولكل بحث مستفيض واليك بيان ذلك ...

النظر العملي في الكائنات

برهانه الاستدلال بأعمال الكائنات المشاهد بالبصر على وجود المكون لها ومنذ أربعة آلاف عام استخدمه سيدنا ابراهيم الخليل . في الدعوة الى الإيمان اليقيني بالله الخالق العظيم رب العالمين وحده ونبذ الاصنام وكل معبود سواه جل وعز من حيوان ونبات وجاد ومن طاقة وجاذبيه وروح ونور وظلام .

أجل رأى سيدنا ابراهيم — عليه السلام — ان قومه غارقون في عبادة الاصنام الى آذانهم ، ومعتقدون ان الله رب العوالم روح حال فيها ، ومعتقدون ان تلك الروح التي زعموها أنها الله رب العالمين في صدق عابديها من كذبهم ، وتملك النفع للصادقين والضرر للكاذبين وتملك الارادة المطلقة ... من أجل ذلك لجأ سيدنا ابراهيم أولاً الى البرهان النظري ، لكي ينصرفوا عن الإيمان بالوهيتها ، وعبادتها والضراعة لها ولكي يزيل من رؤوسهم أنها تضر وتنفع ، وأن لها القدرة على ذلك ، وأن لها العلم المطلق .

(وأتل عليهم نبأ ابراهيم) (إذ قال لاييه وقومه ما تعبدون) ٧٠ (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) ٧١ (قال هل يسمعونكم إذ تدعون) ٧٢ (أو ينفعونكم أو يضرون) ٧٣ (قالوا بل وجدنا آباءنا لذلك يفعلون) ٧٤ (قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون) ٧٥ (انتم وآبائكم الاقدمون) ٢٦ — ٧٦ (فانهم عدولي الا رب العالمين) ٢٦ — ٢٧ ..

ولكن قومه لم يكثرثوا لبرهانه النظرى المبطل الوهية أصنامهم . بل أصروا على الوهيتها ، وعلى عبادتها معا ، لأنهم بسطوة تقاليدها ولفرط خشيتهم منها يحسونها ملء نفوسهم حياة وحركة وقدرة وبطشا .

لذلك لجأ خليل الرحمن عليه السلام الى البرهان العملي لإبطال ألوهيتها والبرهان العملي . هو ما يشاهده الإنسان بعينه ، وبتيبته بعقله ، ويتمثله بحواسه الخمس .. سطوة نافذة فوق كل سطوة لا تجحده الا من جحد .

١ — حقيقة ذاته ، كإنسان ...

٢ — حقيقة تفكيره كإنسان مفكر ...

٣ — حقيقة حريته كإنسان حر ...

٤ — حقيقة تميزه كإنسان يميز بين العلم والجهل ، وبين الدين والاسطورة

٥ — حقيقة إنسانيته كإنسان خال من أمراض العنصر به والشخصي والاثرة والحق

والانتقام واقدار الفكر العفن البالي ...

أجل لجأ سيدنا ابراهيم الخليل — عليه السلام — الى البراهين العملية المشاهدة في دعوة قومه الى الايمان بالله الخالق العظيم وحده ... لكي يقتنعوا ويطرحوا الوهية أفراد الكائنات وعبادتها . في كل مواقفهم وحالاتهم ويقنعوا عن الخوف منها الضراعة لها .
واني هنا اقتصر على مواقف ثلاثة لها جلال خلودها ولها أيضاً ذكرها السامي في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد الأول موقف « برهان التسامي المشاهد » ..
الثاني موقف برهان التحدي الصارخ ...
الثالث موقف البرهان التمثيلي وهاكم برهان كل موقف تفصيلاً ...

الأول برهان التسامي العملي المشاهد

ليست عقول البشر سواء في تفكيرها وبحثها عن حقائق الأشياء كما هي في عين الواقع اليقيني . وفي فهمها وقناعتها ، وفي اتجاه أعمالها بعد فهمها وقناعتها ...
وانما هي درجات : سفلى ووسطى وعالية ، وعلى ، ف قمة المثل الأعلى ولو كان كل البشر يؤمنون بالبرهان العملي لكانوا كلهم مؤمنين بالقرآن .

أصحاب الدرجة السفلى والوسطى

أصحابها أمعات العقائد الاسطورية المدسوسة ودأبهم اتباع كل ناعق ... وليس لهم من اعتقاد ما سوى ما يلقونه بالتقليد ، أو يمثل أمامهم بالايحاء ...
وهم لا عقول لهم تهتم بحقيقة ما يدينون به فكل ما لقنونه من أساطير هي الحق العلمي اليقيني والواعون منهم أما ان يكونوا منافقين منزهين ، وأما أن يكونوا مؤولين لكثير مما ورثوه من نصوص اعتقادية لجعلوها حسب ما يشتهون ان لم يبدلوا بالزيادة والنقصان وتجد أصحاب هاتين الدرجتين عبدة الحشرات والحيوانات والجن والأرواح والقبيلة والأوثان والأصنام والأبقار والثيران والنار والشمس والنجوم وفيهم من لقنوا الاتحاد فافتخروا به وازدهوا فكانوا من الخاسرين .

٣ و ٤ « وتجد أصحاب العليا وما فوقها ... »

شعوبهم شتى ، ومللهم شتى
١ — وفيهم الملحدون المنافقين الذين يقودون مسيرة معتقداتهم بحجاسة عنصرية مدخولة وعصبية انغالية حقودة مدبرة . يعدونها لأمر هدامة مييدة .. لعنة لعنة ...

٢ — فيهم الحمل الامعات الذين يسرون في كل واد خلف السائرين ويرقصون ويصفقون لمن يقودونهم بالرؤي والأحلام ومندهشات الخوارق المصنوعة التالية والطريقة سذج سذج وفيهم الذين لا يكتثرون بالعقائد ، ويمقتون ضججها وتجمعاتها ومجادلاتها ... ويهتمون تظاهراً بما يؤمن مصالحهم ومعاشهم دون مغامرة أو ثرثرة . أو صلة ما ... أو اهتمام ما ... وذا بحثت في معتقدات هاتين الدرجتين الثالثة والرابعة التي فيها متشابهة في تعاليمها ، وطقوس عقائدها وفلسفاتها وإن اختلفت أزمان وجودها واسماء الهتها هي في زعمهم أرواح ازلية ذوات قوى خارقة قادرة مريدة وهي روح واحدة عند الحلوليين حلولاً عاماً في كل شيء ... وقد تتجاوز الواحدة في عقائد أخرى الى الاثنين وإلى الثلاثة فما فوق ، وذلك عند الحلوليين حلولاً خاصاً ... أي الحلول في انسان أو حيوان أو جناد .

حسب الذات المولدة المعبودة لديهم .

٣ — درجة قمة المثل الأعلى

لما كانت فئة قمة المثل الأعلى ، لم تحددتهم ولم تصدقهم عجائب تكوين أفراد الكائنات ومدهشات أعمالها ووظائفها . عن ملاحظة مكوناتها العظيم رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد جل جلاله حتى يؤلهوها هي بالذات وتعبدها من دونه أو يشركوها في التأليه والعبادة ... وذوات أفراد الكائنات معها صغرت أو كبرت يظل صارخاً في صميم تكوينها حشد ما هي مشتملة عليه من آثار قدرة الله خالقها العظيم وجلال علمه وتخصيص إرادته . لذلك تحد عقائد الوثنيين والمشركون والملحدون الدهريين هي ظاهرة البطلان في منطق براهين العلم العملي اليقيني المائل في صميم تكوين الكائنات وتجد عقيدة المثل الأعلى المنزلة من رب العالمين . هي عقيدة واقع العلم اليقيني العملي . وبرهانها مائل في كتابي العلم اليقيني القرآن المجيد وكتاب ذوات أفراد الكائنات الصارخة بحقيقة الايمان : وعلمنا الإنساني هو عالم البصيرة والبصر والفكر والنقد والتمييز بين الحقائق التي تقدم في أوراق أهل العلم وبالبراهين العلمية العملية والنظرية يعدل العلماء الراسخون الامناء عن الاحاد وافك براهينه ، وعن الوثنية والشرك .. الى حقائق الايمان الصحيح وصدق براهينه ولا ريب أن واقع الايمان الصحيح بالله الخالق العظيم رب العالمين هو الذي أرسل الله من أجله رسله ، وأنزل عليهم كتبه وهو الذي تقوم عليه دعائم الايمان الصحيح في الأرض على مدى الأجيال وكان قديماً كل رسول يقوم بالطريقة التي هداه الله إليها من أجل القيام بالدعوة الى الايمان به ، واقناع البشر الضالين بحقائق وجوده ومعارفها وكان أهمها خوارق المعجزات الحسية لمن يشاهدونها بعلم وعقل ووعي وأنصاف ونقد وموازنة ، وانطلاق من اغلال التقليد .

ولما كان قوم سيدنا ابراهيم الخليل قد عجزوا عن فهم البراهين النظرية قدم لهم البراهين العملية ، وكان أولها برهان التسامي المشاهد ..

لأن الذين يؤهون بقرة أو بغلاً أو ثوراً أسمى منهم يؤهون إنساناً أي إنسان .. متخيلين أن روحاً أزلية حالة فيه . والذين يؤهون الشيطان أو الجن . فأسمى فيهم الذين يؤهون الملائكة . وهكذا كل الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات متفاوتة الدرجات مع ملاحظة أن الجميع مخلوقات لا تستحق العبادة بتاتاً وعبادتها من دون الله كفر صراح . ولكن حين يقدم الداعي رهان التسامي ، فليس مقصوده الاعتراف بالوهية الأكبر دون الأصغر والأحسن دون الحسن لا بل مقصوده أن يكشف للمخاطبين أن كل عبادة لغير الله هي باطلة وحقاقة وصغار في التفكير وجهل وتقليد وقصر نظر وغباوة ما بعدها غباوة ..

والآن نستطيع بعد هذا الشرح الواسع أن نقف كاعجاز الآيات القرآنية الآتية وتبين صدق برهان التسامي المخرج المقلدين من ظلام التقليد الى نور الاقتناع البرهاني العملي .. اسمع وتأمل بكل عقلك وقلبك وضميرك ووعيك ، تلمس كل ما قدمته لك عن إعجاز الآيات الآتية التي أحمل برهان التسامي العملي ٦ — ٧٤ « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناماً آلهة ، أني أراك وقومك في ضلال مبين » .

٧٥ : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ...

٧٦ : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ... فلما أفل قال لا أحب الافلين » .

٧٧ : « فلما رأى القمر بازغا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكونن من القوم الضالين » .

٧٨ : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي .. هذا أكبر .. فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون »

٧٨ : « أني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين

٦ — ٧٨ .

وطبيعة العالم المفكر القادر على التميز بين الأدنى والأعلى ، وبين الحسن والأحسن والمثل الأعلى ، أنه يسعى بكل ما يحوز من ملكات العالم ، بكل ما يملك من إمكانيات الارادة ، وبكل ما لديه من قدره على تحطيم أغلال التقاليد ، وبكل سمو نزعة التجدد التي تجيش بها مجموعته النفسية جيشاناً يقفز به من الأدنى الى الأعلى ، ومن الحسن الى الأحسن ، ومن الأحسن الى المثل الأعلى ...

ولله وحده عز وجل المثل الأعلى ...

...وهذا ما كان يهدف إليه خليل الرحمن من دعوة أبيه وقومه الى طرح عبادة الاصنام واللجوء اليها حين لفت أبصارهم وبصائرهم الى برهان التسامي العملي الكاشف درجات أفراد الكائنات المعبودة من دون الله ...

ولكنهم شاهدوا البرهان بأبصارهم ولم يشاهدوه ببصائرهم : فاصروا على عبادة ما اتخذوه من أفراد الكائنات آلهة . بحكم ظلمة التقاليد ، وسطوتها القاهرة على إرادتهم .

وبحكم جهلهم ان الذي لا يؤمن بأضواء البرهان العملي اليقيني المشاهد واضواء العلم به مثله وكمثل العيريشد الوند أو بذاك سيان في هذا أو ذاك حمار حمار ...

أشفق عليه يا أخي . واطلقه من هذه السلسلة الفولاذية العاتية تحظى بجزيل المثوبة من الله الكريم ...

برهان التحدي العملي المشاهد :

تقول : تحديته أي باريته ونازعته الغلبة

وبرهان التحدي تستطيع أن تلمس وجه الانتصار والغلبة به من أول مشاهدة هب أنك شاعر في عبقرية الاحمدين المنبهي وشوقي ، وهب أنك تحديت من يزعم عبقرية الشعر زعما ويتناول بزعمه على زعانف الشعراء والمتشاعرين وهب أنك تحديته في نظم قصيدة في موضوع يزعم أنه متخصص فيه وشرع ينظم وشرعت فأنت بلا ريب بحكم عبقريتك تأتي بالبدعة الفنية العجب التي لا يرتقى اليها . أما هو فإنه يكاكي ثم يكاكي ثم يبيض بيضة حمام فاسدة . لو قدمتها الى باقل ونسبتها اليه لاجتواها وبرئ من نسبتها اليه .

وكان برهان تحديك عملياً مشاهداً وكان انتصارك ساحقاً ما حقاً للخصم فهذا مثل قدمته بين يدي المطالع بياناً لبرهان التحدي الذي قدمه الخليل ابراهيم للملك نمرود لذر زعمه أنه الله رب العالمين حيال قومه .

أجل تحدى الخليل ابراهيم عليه السلام الوهية نمرود المزعومة في الصميم ببرهان عملي مشاهد نافذ صارخ . ما رأيت مثله قوة ساحقة للخصم ، وقاطعة كل جدال حتى لو استمر على المجادلة بعد ذلك لأحس أنه مجنون في عين نفسه بله عيون السامعين الحاضرين من وزرائه وحجابه وعظاء شعبه .

وما وسعه حيال برهان خليل الرحمان العملي الصارخ ، الا أن يعتصم بالصمت وهو مصر على إمساك الاولوية التي زعمها لنفسه : على كل حال ، واذعن لها كل شعبه على الرغم من ظهور بطلانها وبهته المخزى خشية عسفه وبطشه ...

والآن بعد هذه التوطئة يحسن يا أخي أن أقدم لك برهان التحدي العملي الذي قدمه خليل الرحمن لنمرود الملك ونص الله عليه في محكم آياته البيّنات وإنك لتلمس إعجازه صارخاً صرخات التحدي العملي المنتصر الساخر من الوهيته المزعومة

«الم ترالى الذي حاج ابراهيم في ربه ، ان اتاه الله الملك . اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال : أنا أحيي وأميت . قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فهبت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين» ٢ — ٢٥٨

الا يجد الناظر في هذه القصة أن نمرود على سطوة ملكة ، ونفوذ كلمته في شعبة تضائل حيال برهان خليل الرحمان العملي المشاهد وأصفر كالجرادة ...

الا تراه حاول الهرب من سلطان الحجة ، والتفلت من قبضتها الحديدية بالتورية حيث أجاب قوله «ربي الذي يحيي ويميت» انا أحيي وأميت ، أجاب بذلك وهو مدرك تماماً مراد الخليل ...

اذ محال أن يكون مراده من الاحياء والاماته المعنى المعين غير المقصود ويقال : أنه أحضر شخصين محكوم عليهما بالموت ، فأمات أحدهما وأحيى الآخر بالعفو عنه .

ولم تحف على خليل الرحمان لعبة التورية التي اعتصم بها من برهان التحدي القاصف سآردفه ببرهان من جنسه لا سبيل للفرار من الاذعان له ببرهان حل عزائم نمرود وأحمد عنفوان طغيانه وبهتة بهتا لم يسعه معه الى التظاهر بالصمت ونية الانتقام ...

وهكذا تجد سلطان التحدي غالب وقاهر لأنه حق صراح ، ولا برهان أقدر على أذعان الخصم الإله فما بالك اذا كان الخصم علماً مفكراً همه كشف يقين العلم في حقائق الاشياء لا ريب له كل الانتصار بحكم وإنسانيته وإنطلاقه ومقته للعصبية وإثاره للحق وجرائه على إعلانته وذلك اذا تجلى له في أمر من الأمور .

ومحال أن يرضى أن يعيش منافقاً ، يعلم يقين العلم ويحجده ويحاربه .. لأي اعتبار كان .. ويعلم يقين الجهل ويؤمن به ويتنصر له محال محال ... لأنه إنسان وعالم مطلق ...

شعلة الكلمة :

وشعلة الكلمة أن هذه البراهين الثلاثة التي اقتبسناها من الدعوة الحنيفية السمحة التي نادى بها الخليل ابراهيم بكل ما يملك من حماسة وإخلاص وإمكانات من شتى المواطن التي طاف بها : تكشف للأجيال شعلة الإيمان الصحيح بالله رب العالمين الذي له وحده الخلق والأمر والهيمنة والتصرف والمطلق في هذا الوجود وتبطل تأليه أي كائن من مادة أو طاقة ، وعبادته

والاذعان له والرجاء فيه ، والمثول بين يديه المناجاة والدعاء والضراعة والاستعانة به من دون الله خالقنا العظيم

أجل تبطل كل ذلك بمنطق العلم والفكر والواقع اليقيني ... ومع كل ما لهذه البراهين العملية المساعدة من قوة ضاحدة ، وأعصار مقوض فإنك تجد هنا وهناك بقايا من الملاحدة والوثنيين والمشركين ...

والباعث على بقائهم ، واذعانهم هو عدم اهتمامهم بواقع العلم في الأشياء والبحث عنه بوازع من نبل النفس وشعلة الفكر . لذلك تجدهم راضيين بالتخلف كل الرضا ...

١ — بحكم أغلال الوراثة وتلقين التربية الانغزالية المقوتة .

٢ — بحكم الخضوع للعصية العنصرية بكل المجموعة النفسية .

٣ — بحكم ... الاعتزاز بالتقاليد القائمة وتقديمها لو كانت تنضج بالاحقاد الشاعلة ، والبلايا الفادحة والنحل المبنية على الدسائس المخفية .

٤ — والاهم الاهم هو عمى البصيرة ، والبصيرة هي التي يرى بها المؤمن المفكر سر نور الله في السموات والأرض وفي كل كائن في هذا الوجود فعماها يفقد الرؤيا بالمرة . ومن لا يرى فكيف يؤمن .

هذا هو العمى

هذا هو العمى

بَحْثُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ

وجودُها يقينيُّ ، مُشاهدٌ بآثارِهِ الناطقةِ وبراهينِها الصارخةِ ، ولولا وجودُ ذواتِ الأرواحِ لما كانَ ثَمَّةَ حياةٍ ما

لأنَّ اللهَ جَلَّتْ قدرُتهُ جعلَها ، قوامَ الحياةِ ، فالحياةُ بدونِ ذَوَاتِ الأرواحِ لا وجودُ لها ولولا وجودُ ذواتِ الارواحِ ، لما نهَضَتِ المعارفُ الانسانية الى جلالِ الايمانِ باللهِ رَبِّ العالمينِ وخالقِ الخلقِ أجمعين ...

والملائكةُ أجمعون أرواح طاهرة ، والشياطين أجمعون أرواح خبيثة وهم من الجن والجن فيهم المؤمنون ، ولولا وجود الأرواح الطاهرة ، وأنفس البشر المفكرة الزاكية ، لما نهضت المعارف الانسانية الى الايمان بالله الخالق العظيم .

ولولا وجود الأرواح الطاهرة ، وأنفس البشر الزاكية ، لما استطاع العلماء المفكرون أن يميزوا بين حقائق الوحي الإلهي في الدين الصحيح ، وأساطير الوثنية والشرك والاحاد .

والعلماء يميزون بين حقائق آثار المجموعة النفسية ، وآثار حقائق الارواح . فاذا كان الاقتران الجنسي أثراً من آثار الغريزة ، فان تكوين الجنين في رحم الأم ، وتدرج حياته ، التكوينية أثر من آثار الروح التي نفخها الله في الابوين لما كانا جنينين وفي الجنين نفسه في الشهر الرابع .

وهكذا نجد تطور تكوين الجسد الانساني أثراً من آثار الروح التي ينفخها الله فيه وتصنع ما تصنع من مدهشات الخلق بقدرته تعالى وعلمه وارادته ، ولا دخل للنفس في ذلك أبداً ومن أجل ذلك اذا مات الانسان تموت معه مجموعة النفسية من غرائز وعواطف وفكر ووجدان وضمير ، وكل ما يتصل بالنفس الانسانية من نوازع .

وأما الروح فهي الحياة ، فأيان تكن الروح تكن الحياة ، وقد وضع الله بكل صنف من الأرواح سنن عملها ، طريقة حركتها التكوينية الخاصة بكل نوع من أنواع الأحياء سبحانه

وما أصدق القائل :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان — وأعلم أن النفس الانسانية التواقفة الذواقفة العارمة . هي باعث كل كفر والحاد وشبق الى التزوات والسفاح والجشع ، وجمع الأموال وإمساكها عن الانفاق في سبيل الاستقامة والهدى .. وهي التي تجعلك جامد الاحساس أنانياً تتجاهل حياة الآخرين ومرافقهم ما دامت حياتك آمنة ، ومرافقك على سعة مؤمنه . وهذه النفس التواقفة الذواقفة الطاغية هي التي تهوي بصاحبها الى الدرك الأسفل من النفاق ، فاللسان أحياناً يظهر الايمان ، وهو يُبطن الكفر والالحاد .

وقد يتفاهم العصيان وقسوة القلب والاستهتار والعمى في النفس ... فتتهوي بصاحبها الى الدرك الأسفل من النفاق . فتراه يسخر بوجود الأرواح ويحمد بعثاً بأجسادها في يوم آت حتماً . ويرتاب ويغامر في ارتكاب الفواحش مغامرة المجانين ، ولا يخاف عقابها ولن تستقيم النفس ، ولن تهذب الا بكبت الايمان وطمأنينة الروح ، ورضاها بوحى الله أعمالاً لا أقوالاً وفق أوامره ، ونواهيه ...

ومهما يكن فالعلم القليل الذي وصل إليه العلماء المتخصصون في دراساتهم لمظاهر الارواح في الأحياء العليا والدنيا ، لا يجعلهم يكشفون عنها ...

شأنهم في ذلك شأن علماء النفس المتخصصين على أن العلم بحقائق الأرواح الخيرة والشريرة ، مرجعه نصوص وحي الله القطعية ، وهو لا يزال في بواكيره ، والميدان فسيح والقلم شاححة جداً جداً .

وبخاتم وحي الله المعجز المتحدي ، استطاع العلماء الأمناء أن يميزوا بين حقائق وحي الله المنزل في كتب السماء من قبل ، والاساطير التي اختلطت بها ، وتسربت اليها من النحل الوثنية والمشركة والاحادية الباطنية التي حاكتها ضغائن العنصرية الانتهازية المتآمرة حماقة طبع وصغر فكر وشر نفس ... !!

والحق أن يكون الكفر والالحاد ، واللهفة الى التزوات الآثمة والسفاح ، الا حيث يكون الكفر بوجود الله والروح المترل بأمره ...

ومن هذا المنطلق الجاحد الشرير تكون السخرية يبعث الاجساد الانسانية في يوم آت حتماً ، ويكون الانفلات المطلق المريب يا ويلهم ...

والله جل جلاله ، كما خلق عوالم المادة ، خلق عوالم الروح ...

ولو آمن كل الناس بحقائق عوالم الروح وهي ماثلة بين أيديهم لاستقام البشر جميعاً وسعدوا وتألّقوا بصدق الاخلاص ونية الايمان العملي الصحيح . وحقائق الروح تجدها ماثلة في العالم وفي الاحاديث المستفيضة عنها في نصوص الوحي اليقينية ، وفي كثير من معارف الحضارة الحديثة . وقد كثّر الدجل والإفك والعبث بعقول السذج في اوربوا وامريكا خاصة ، في هذه الأيام لأن البحث عن حقائق عوالم الروح ينشئ دفائن الأساطير .

كما كان الأمر في مسائل علم النفس من قبل أن يفرز عن الفلسفة والتصوف العام والخاص . والآن أخذ العلماء الامناء الصاحون الذين لا تجوز عليهم الاساطير والخرافات أخذوا يدونون علم حقائق الارواح بكل انتباه وتحري للواقع ، بكل استقرار وذكاء .

ولا ريب أن إفراز علم حقائق الروح عن الفلسفة — في هذا العصر — وان عكوف زمرة نابهة من العلماء المتخصصين لدراستها في مصادرها الموثوق بها ، وجمع المعلومات اليقينية عنها . مفيد أكبر الفائدة .

يكفي أنه يجعلهم يطرحون زيف الاساطير وترهات الخرافات الملصقة بها . كل ذلك يحدث انقلاباً كبيراً في معارف البشر ، ويحطم اغلال الوثنيات والشرك والإلحاد ... كما يكشف إعجاز خاتم الكتب السماوية المتجدد في معارفه وتحديه ، على مدى تجدد الحضارات وتجدد معارفها ...

ومكتشفوا عوالم الطاقات الروحية العاقلة وغير العاقلة ، يرون في عزلها من التصرف والفلسفة والأساطير نعمة على الحضارة لا تعدلها .

بناء علم الارواح :

حقيقة الارواح لا يعلمها الا الله الذي خلقها ، وهذا شأن عوالم الطاقات هل علم العلماء كنه المغناطيس أو الحرارة ، أو البرودة الاثير ... حتى يعلموا حقيقة الأرواح .

كل الامر ان يدرسوا آثارها وظواهرها لما فعلوا في علم النفس لأن علم النفس مبني على دراسة تصرفات الإنسان والحيوان ، والتعرف على غرائزها وأعمالها الطبيعية الرتبية ، وتميز الفروع بين

الدوافع على مباشرة الأعمال ، وتفصيل الميول والعواطف والفكر والوجدان والضمير في حياة الانسان مجتمعاً ومفرداً . وما الى ذلك فيما تمور به النفوس البشرية في شتى اتجاهاتها ومواطنها ... فان علم الروح مبني على أعمالها التكوينية الخاصة تنوعها وفق المخطط المعين لكل روح ، بعلم الله وأرادته ومبني على التعرف لكل ذلك في نطاق الأسباب والمحسبات والأقدار التي يجريها الله خالقها ، وخالق كل شيء ناهيك والله جل جلاله خلق الكائنات وخلق أعمالها ، « والله خلقكم وما تعملون » وهذا هو واقع خلق الله للعالم كافة من أصغره الى أكبر الاجرام السابحة في الفضاء .

والتحري لمعرفة يقين المعرفة يتجلى في نواح ثلاث :

الناحية الأولى :

تتجلى هذه الناحية في نصفها من الأساطير والخرافات ، التي لا واقع لها في يقين العلم ، وفصلها عن كل الحقائق اليقينية التي تقع من الأرواح فعلاً مؤكداً صادقاً . وهذه الوثائق اليقينية ، هي من يقين العلم ولا يضيرها في شيء أن نسبها المشركون والملحدون الى السحر ، وما هي من السحر في شيء . ان هي الا معجزات وكرامات اجراها الله على يد رسله لتكون بمثابة البرهان على صدق أقوالهم وصدق رسالاتهم من عند الله رب العالمين . وكذلك الكرامات التي يجريها الله لآليائه ... وكل ذلك له نصوصه المتواترة في القرآن المجيد ، وذكرها يفتقر الى سفر كبير جدا . خذ مثلاً معجزات سيدنا ابراهيم وموسى والمسيح ، وكرامات أم موسى وأم المسيح ...

الناحية الثانية :

تتجلى هذه الناحية من أعمال الأرواح التكوينية للأجساد الحية بها والميسرة بالنمو التطوري على تنوع كفاءات أعضائها الظاهرة أو أعضائها الباطنة وفق مخططات الأعمال التي فرضها الله عليها في صميم كيانها من البداية الى النهاية ، ولاستئناف العودة اليها يوم البعث والنشور . يوم تبدل السموات والأرض ، وتبدل أمثال البشر حسب عوالم الآخرة التي إليها المصير النهائي .

ونفخ الأرواح في الاجساد هو حقيقة علمية مشاهدة في دقائق أعمالها ومدعشاتها دون تناسخ أو رجعة دنيوية أو تأليه أو وثنية أو إلحاد ، إذ ذلك بعيد عن يقين واقع معارف علم الأرواح .

الناحية الثالثة :

تتجلى في التميز بين أعمال الارواح الخيرة والشريرة في داخل الأجساد وفي خارجها بالنسبة لعلاقتها بالمجموعات النفسية الانسانية في بواعث الخير والشر والإيمان والكفر وحرية الإرادة وخضوعها لهيمنة الغريزة من الانسان الغريزي أو العاطفة في الانسان العاطفي أو الفكر في الانسان المفكر . تلمس كل ذلك في خصائص أعمال البشر الاعتقادية وسواها في مختلف الاتجاهات المتصلة بالأزمنة والأمكنة والثقافات والتربيات .

وفي هذه الناحية الثالثة يميز الدارسون معجزات الانبياء من كرامات الاولياء من الخوارق المتصلة بالجن والشياطين ، وما هي من قبيل المعجزات أو الكرامات . وأكثر هذه الخوارق الشيطانية بالأرواح الخبيثة هي التي يسميها الناس سحرا .

لأن السحر ليس كله صناعة وخفة وتخيل بل فيه تسخير الجنة والشياطين في الخبائث والموبقات والجهلة هم الذين لا يستطيعون أن يميزوا السحر من معجزات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وكرامات الاولياء التي هي مدد من الله تجل وعز وقد تكون مباشرة من الله أو بواسطة الملائكة الكرام وتجد تفصيل كل ذلك في بعض الخوارق بأقسامها وحقائقها .

هذه الكلمة جاءت رداً للذين
ينكرون وجود ذات الأرواح

أعمال المثل الأعلى في حفظ اللغات الحديثة الرقية

فكر علماء اللغات الحديثة الرقية . في الأسباب التي حفظت اللغة العربية من التغير والتبدل ومن التفسخ والزوال . أي فكروا في الأسباب التي حفظتها من تمزيق وحدتها الجامعة على تنابع القرون والأجيال دون لداتها من اللغات التي درجت وإياها من المهدي كاللغة اللاتينية واللغة المغولية واللغة السريانية وسواها .

وبعد الدرس والتفكير وجدوا أن الذي حفظ اللغة العربية حية خالدة نامية متجددة متطورة هو حفظ كيائها الأصل وحياتها المثلى من التمزيق والزوال هو القرآن المجيد ، فقد جاء مثلاً أعلى لا يبارى أبداً . وأنه يحمل طاقة روحية خالدة حفظت اللغة العربية من التمزيق والزوال .

نعم فكر علماء اللغات الأجنبية الحية الرقية في هذا العصر في الأسباب الظاهرة التي جعلت اللغة العربية تضارع لغاتهم وتصارعها بقوة هائلة خالدة فوجدوها ماثلة في عدة أسباب واليك أهمها .

١ — الإيمان العميق بضرورة حفظها من عبث التغير والتبدل اللذين لا يتميان إلى التطور والتجدد وإنما إلى ألسنة العامة المتلوية وتغيراتها المتتابعة التي لا يستمر معها صحة أداء الحروف ولا إحسان النطق واجادته حسب مناطق مخرجه ..

٢ — الإيمان بالنصوص التي توجب حفظها على أهلها كقوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون » وكقوله تعالى « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » ١٢ — ٢ .
أجل أنزل الله معجزة أبدية بلغة العرب مؤحداً لأهلها وداعياً لهم إلى هدى الإيمان الصحيح لكي يظلوا مؤمنين ماثلين في الأرض ولا يزالوا أبداً .

أجل أنزل الله بالحق الجامع لكل معجزات السماء ومحدثاتها وبراهينها العلمية اليقينية الدالة أنه كلام الله الأزلي المحفوظ بحفظ الله له إلى يوم القيامة .

كما أنزله حاملاً كل المثل الكريمة العليا التي تحقق السعادة والأمن والإيمان الصحيح لكل أهل الأرض إلى يوم القيامة ... أتله معي .

«وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل» ١٧ — ٥ .

أجل أنزله بكل ذلك « وليعلم الذين أوتوا العلم ، أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم إن الله لهادٍ للذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم » .

ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه » وهل متحدث أبلغ من مصدر النبوة لا إذن فحفظ القرآن لأطفال المسلمين كافة أعظم وسائل حفظه وأدعم لتأسيس الإيمان .

وحرام أن يترك هذا الأمر العظيم . واني إلى الآن أذكر أبادي العلماء الأبرار الذي لهم اليد المغدقة المنعمة على حفظي ما حفظته من آيات الله وشرحه وتفسيره في المدينة المنورة . وبيروت والقاهرة رحمهم الله وآثابهم أحسن الثواب واهتمام العرب قديماً وحديثاً بتعليم أطفالهم حسن نطق حروف الكلمات حسب ما تنطق من مخارجها .

وهذا باب وزنه في حفظ اللغة من التغير والتبديل لأن التغير والتبديل لا يأتي في آية لغة إلا بانحراف الألسنة عن مناطق مخارجها وبالتالي تتغير الكلمة ويُقتل أصلها قتلاً كما حصل ويحصل في كل اللغات التي ماتت ودُفنت في رموس المعاجم .. وهكذا تصبح اللغة غير اللغة ولأجل الابقاء على حياة اللغة اخترع العلماء الآن لضبط مخارج الحروف حتى تظل اللغة هي القوة الجامعة لوحدة الأمة مها تباعدت أقاليمها رتبعثت ...

وهذا ما صنعه العرب منذ فجر الاسلام بل منذ تأسيس سوق عكاظ ، وما زالوا يعملون على توحيد لغتهم وحفظها وسيادتها : ولماذا لا يفعلون ذلك والقرآن المجيد نزل بها . وهل اخترع العرب علم التجويد إلا لحفظ صحة النطق بكلام الله حسب نزوله في القرآن المجيد . ولن تجد بين الأمم أمة قد اهتم أبناؤها بلغتهم جاهليةً و اسلاماً ما تجده في أمة العرب .

إنهم أيقاظ نبلاء .. أنظر لما شرفهم الله وأنزل بلغتهم كتابه المعجز المتحدي . ودخل فيهم من دخل من الأمم الأعجمية واحسوا أن لألسنة تنحرف عن صفاء الكلمة وصحة النطق لها كم يتركوا الأمر على عواهنه بل وضعوا قواعد لضبط صحة حركات الكلمة وسكانتها أثناء الكلام ليظل العربي هو هو في صحة نطقه بلغته أجل وضعوا علم النحو قواماً لأستيتهم وسداداً لها من الفساد والمهالك لكي تنجو من وهن اللكنة والعجمة ولكي تظل مستقيمة على سنن موارث آبائهم وأجدادهم .

الآ تَرَى أَن الْإِنْسَانَ فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ يَتَغَيَّرُ وَيَتَبَدَّلُ وَلَكِنَّهُ يَظَلُّ حَافِظًا لِّكَيَانِهِ وَأَعْضَائِهِ مَا دَامَ حَيًّا . فَإِذَا مَاتَ تَمَزَّقَ جَسَدُهُ وَأَصْبَحَ بَعْضُ تَرَابِ الْأَرْضِ حَتَّى لَوْ جُمِعَ تَرَابُهُ فِي إِنَاءٍ وَقُلْتُ لِنَاطِرِهِ هَذَا فَلَانُ لِمَا صَدَّقَكَ هَذَا عَيْنُ وَضَعِ اللُّغَةِ فَهِيَ مَا دَامَتْ حَيَّةً تَنُمُو وَتَتَطَوَّرُ نُمُو الْحَيَاةِ وَتَطَوَّرَهَا : الْحَيَاةُ الَّتِي لَا تُخْرِجُهَا عَنْ كَيَانِهَا بَلْ تَظَلُّ هِيَ هِيَ .

وَلَا جُلَّ أَنْ تَظَلَّ هِيَ هِيَ خَيْرَةٌ قَوِيَّةٌ مُتَجَدِّدَةٌ وَضَعُوا عِلْمَ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَسَائِرَ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَالِإِشْتِقَاقِ فَلِلَّهِ هُمْ مِنْ أَبْطَالٍ بِرَّةٍ كَرَامٍ طَابَتْ ذِكْرِيَاتُهُمْ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ كَمَا أَحْسَنُوا لِلغَتِّهِمْ وَتَارِيخِهِمْ وَدِينِهِمْ وَأُمَمِهِمْ .

أَجَلٌ إِنَّ سَاسَةَ الْعَرَبِ وَقَادَتَهُمْ تَجَدُّهُمْ قَدْ صَرَفُوا أَكْبَرَ إِهْتِمَامِهِمْ بِصَحَّةِ لُغَتِهِمْ وَسُمُوحًا وَاقْتِدَارَهَا عَلَى مِصَارَعَةِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَمِقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ تَظَلَّ لُغَتُهُمْ مُحْفُوظَةً أَصُولًا وَفُرُوعًا كَمَا كَانَتْ فِي سُوقِ عَكَاظٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ ، وَأَنْتَ تَلْمَسُ إِهْتِمَامَهُمُ الْكَرِيمَ بِتَحْفِيزِ أَتْبَائِهِمُ الْقُرْآنَ الْحَمِيدَ وَتَعِينُ فُحُولَ الْعُلَمَاءِ لِكَيْ يُثَقِّفُوهُمْ بِهَا الثَّقَافَةَ الْعُلْيَا وَنَاهِيكَ بِتَشْجِيعِ الْأَدْبَاءِ وَالْبُلَغَاءِ الَّذِينَ يَحْسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ لِحَفِظِهَا وَتَدْوِينِ الْكَلِمَاتِ الْبَلِيغَةِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ الْقِيَمَةِ بِهَا وَصِيَاغَةِ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ .

كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِبُونَ عَلَى أَيْدِي الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ هَدْمَهَا وَالْقَضَاءَ عَلَيْهَا بِأَسَالِيبِ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ وَلَعْنَاتِهِ ..

وَبِتَدْبِيرِ شَتَّى الْمُؤَمَّرَاتِ فَلَوْلَا هَذَا الْوَعْيُ الْيَقِظُ وَالرَّعَايَةُ الْبَالِغَةُ وَالِإِنْتِبَاهُ الْمُسْتَوْعِبُ لِأَوَّلِكَ الْكَائِنِينَ الْمُتَأَمِّرِينَ لِقَضِيٍّ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَجْيَالٍ وَبِالتَّالِي قُضِيَ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي صَمِيمِ بِلَادِ الْعَرَبِ وَأَهَمُّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تَحْفَظُ اللُّغَةَ أَيْةَ لُغَةٍ كَانَتْ مِنَ الدَّمَارِ وَالْكَوَارِثِ وَالِإِنْخِرَافَاتِ وَالْمَهَالِكِ تَشِيدُ الْمَجَامِعَ اللُّغَوِيَّةَ الْكُبْرَى وَتَعِينُ الْعُلَمَاءَ الْأَعْلَامَ مِنْ أَجْلِ حِرَاسَتِهَا وَإِقَامَةِ النُّوَادِي وَالْأَسْوَاقِ وَإِغْدَاقِ الْجَوَائِزِ وَالْمِنَحِ لِلَّذِينَ يُبْدِعُونَ الْكَلِمَةَ الصَّحِيحَةَ الْحَيَّةَ الْخَالِدَةَ . (٣) وَإِرْغَامِ كِتَابِ الصَّحَفِ وَالْمَجَلَّاتِ عَلَى التَّرَامِ صَحَّةِ الْكَلِمَةِ وَوَقَايَتِهَا مِنَ الْفَسَادِ وَالْأَخْطَاءِ .

هَذَا عَمَلُ الْأُمَمِ لِأَجْلِ الْإِنْقَاءِ عَلَى حَيَاةِ لُغَاتِهِمْ وَبِالتَّالِي عَلَى حَيَاتِهِمْ . وَهَذَا هُوَ شَأْنُنَا بَلْ هَذَا شَأْنُنَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ..

ويسرني قبل الانتهاء من بيان أجماد هذه اللغة التي أنزل الله بأسلوب بيانه المعجز
المتحدي بآيات رائعة تحمل الحكمة وفصل الخطاب . وسرني أن يظل على ذاكرة كل سامع
على كل لسان قول البوصيري رحمه الله .

آيات حق من الرحمن مُحدثه
لم تقترن بزمان وهي تُخبرنا
دامت لدينا فقامت كل معجزة
مُحكيات فما تُبين من شبه
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
ردت بلاغتها دغوى مُعارضها
لها معان كموج البحر في مدد
فما تُعد ولا تُحصى عجائبها
قرت بها عين قاريها فقلت له

قديمة صفة الموصوف بالقدم
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
من النبين إذ جاءت ولم تدم
لذي شقاق وما تبغين من حكم
أعدى الأعادي إليها مُلقي السلم
رد الغيور بد الجاني عن الحرم
وفوق جوهره في الحسن والقيم
ولا تُسام على الإكثار بالسأم
لقد ظفرت بجبل الله فاعتصم

هاشم دفتر دار

الجَدِيمَة

لا جريمة مع الاسلام أبداً ، الاسلام والجريمة ضدان لا يجتمعان في نفس واحدة . جاء الاسلام وهو يَحْمِلُ في أصوله وفروعه علاج الجريمة في داخل النفس وخارجها . أجل عالِجَهَا في داخل النفس فأنحَسَمَتْ مِنْهَا . وفي خارج النفس في المجتمعات فأنحَسَمَتْ مِنْهَا سُمُوءًا سُمُوءًا ... !!

وسبق علاج الاسلام لمصدر الجريمة داخل النفس قبل علاجه خارجها في المجتمع لأنَّ الجريمة أول ما تفرخ بُوَيْضَتَهَا تفرخها في داخل النفس . فاذا نمت وترعرعت انطلقت إلى الخارج .

فكّر معي هل يقتلُ القاتلُ وهل يسرقُ السارقُ . وهل يسلبُ السالبُ ، وهل يخونُ الخائنُ ، وهل يقامرُ المقامرُ ... في الخارج إلا إذا فعَلَ في أعماقِ نَفْسِهِ مراراً ومراراً . والنفسُ هِيَ نَاصِيَةُ الطريقِ إلى الفُضِيلَةِ ، كما هِيَ نَاصِيَةُ الطريقِ إلى الرذيلة . أذكر أنه كان لعالم من علماء النفسِ خادمٌ أمينٌ ، أمسكها رجال الشرطة وهي سارقةٌ درهمين زائفين . وجاءوا بِهَا إلى سِيدِهَا باعتبارها خَادِمَةً وَسَارِقَةً ولكنَّ سِيدَهَا ما كَادَ يَرَاهَا ويرى الدرهمين الزائفين حتى طلب إليهم إطلاقها وهو يقول «إنها أمينة» ، إنها لَمْ تَكُنْ في يوم سارقة .. أنا السبب .

والقصةُ هِيَ الدرهمين الزائفين ذكر لهم أَنَّهُ وَجَدَ مِنْذُ شَهْرٍ تَقْرِيباً بَيْنَ دَرَاهِمِهِ هَذَيْنِ الدرهمين الزائفين فطرحَهُمَا إلى جانبِ مُنْضِدَتِهِ . شأنُ كُلِّ شَيْءٍ لا حاجةَ لَهُ بِهِ ولم يَكْتَرِثْ لَهُمَا . ورأتِ الخادِمُ الدرهمين مطروحين ولم يَدْرُ في خَلْدِهَا أَنَّهَا زائغانِ ... وَأَنَّ سِيدَهَا طرحها لذلك .

ولم تبالِ بهما للوهلة الأولى ولكن تكررَ نظرها اليهما طبع صورتهما في قرارِ نفسها وظلت الصورة تكبرُ يوماً فيوماً ومُغرياتُ أخذهما يتفاقمُ وهي تحسبُ أنَّ سيدها لم يدرِ عنها شيئاً . وأخيراً بعد أن مرَّتَ بها كلُّ دَوَافِعِ الأخذِ النفسية أخذتها وكان أمرها ما كان ..

والسببُ هو وجودُ الدرهمينِ في غيرِ حِرْزِهِمَا .. فما هيَ بِسَارِقَةٍ . وحرزُ المثلِ معتبرٌ في تحديدِ السرقةِ إذن فالجرِمةُ قِصَّةُ صورةٍ بشعةٍ منكِّرةٍ تطبعُ في النفسِ . قبلَ أنَّ تكونَ قصةً واقعِ إجْرامٍ عَدَّارٍ في الخارجِ ومن أجلِ ذلك كان علاجُ الأنفسِ المرضى وتركيبها وتطهيرها من انحطاطِ الوثنية والاشراكِ وكلِّ بواعثِ الإِجْرامِ أولَ ما تَوَجَّهَتْ اليه الدعوةُ الإسلامية « قلْ يا أيُّها الناسُ اني رسولُ الله إليكم جميعاً الذي لَهُ ملكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يحيي ويميت فآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (٧-١٥٨) « هو الَّذِي بَعَثَ في الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » (٦٢-٢) .

وسبقُ الأعمالِ بالنياتِ ظاهرٌ في قولِ رسولِ الله ﷺ « إِنَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّا لَكُلِّ أَمْرٍ ما نَوَى ، فمن كانتْ هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانتْ هجرته الى دُنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحُها فهجرته الى ما هاجر إليه » .

وهذا التطهيرُ النفسي مِنْ ظُلُمَاتِ جَرَائِمِ الشُّرْكِ والوثنية والإلحادِ وسائرِ الجرائمِ مِنْ قَتْلِ وسرقةٍ وخيانةٍ وغيبيةٍ ونميمةٍ وحسدٍ وظلمِ .

فكلُّ المسلمين سواء في الدعوة إلى التطهيرِ النفسي وأولُ الدِّعَاةِ إلى التطهيرِ النفسي هُما الأَبَوَانِ والبيئَةُ والمدرسةُ والأُمُّ مدرسةٌ وزيادة .

وأما التطهيرُ الخارجي الذي يقعُ في المجتمعِ ، بواسطةِ العقوباتِ المشروعةِ . فهو من حقوقِ الدولة ، ولكن يَجِبُ على الأفرادِ والجماعاتِ أن يساعدوا الدولة في اداءِ الشهاداتِ وكشفِ مخابىءِ المجرمينِ والدلالةِ عليهم نَجاةً لأنفسهم . من المهالكِ ...

وكم بلادِ احترقتْ بواسطةِ إخفاءِ المجرمينِ . واخفاؤهم وإبواؤهم جريمةٌ شنيعةٌ في الاسلامِ وبما أنَّ الوازِعَ النفسيَّ قد ضلَّ ، ومضى الزمن الذي كان المجرمُ اذا وقعَ الاجرامُ منه !! يُدْخِلُهُ الخوفُ من عقوبةِ الآخرةِ فيقدمُ إلى الحاكمِ نفسه معترفاً ليطبقَ عليه العقوبةُ الشرعيةُ ...

ولم يَبْتَقِ الا وازعُ السلطان وهذا الوازعُ : هو اليوم الحاجز الوحيد بين الجريمة والمجتمع لمن
حكمةٍ عاليةٍ ونظرٍ بعيدٍ سديدٍ في حسمِ الجريمة في كلِّ مجتمعٍ تطبقُ الأصولُ الإسلاميةُ المترلة
للقضاءِ على الإجرامِ والمجرمين وهذا حقٌّ . فإني أرى المجتمعَ الذي ترفعُ منه أصولُ العقوباتِ
الاسلاميةُ يحلُّ محلُّها الإجرام .

ورأيت الذي يرفعون العقوبات المنصوص عليها في وحي الله عن المجرمين ... هم أولُ
الهالكينَ على أيدي المجرمين . وإني أرى ذلك جزاءً وفاقاً .

وكان أهلُ الجاهلية يقولون القتلُ أنفى للقتل ، وهذا حقٌّ اذا تُتَّبِعَ المجرمُ بالذات في
مخابته . وطبقت عليه العقوبةُ . وفي هذا القصاصُ الحياةُ للناس . ولكن اذا التى حبلَ حُبِ
الإنْتقامِ على غواربِ الفوضى في التراثِ وتبادلت القبائلُ والأسرُ القتلُ فيما بينهم .

على كلِّ من هبَّ ودبَّ . من غيرِ القاتلِ فإنَّ في ذلك الهلاكُ المحتومُ للمجتمع . ويكونُ
الكشفُ على هذه الحقيقةِ في أعلى مناراتها أن تتلوا بخشوعٍ وتدبر وتفكيرٍ قوله تعالى « ولكم في
القصاصِ حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » .

ولعل في القتلِ المستطير من البلاد التي ألقت الصعوبات التي أوجبها الله عقوبة بالغة وفيما يلي
كلمة شرطة الصيانة ...

شُرطَةُ الصِّيَانَةِ

كَثُرَ حَدِيثُ الْقَادَةِ الْإِفْذَادِ وَالْكَاتِبِينَ الْمَفْكَرِينَ ، عَنْ الْجَرِيمَةِ وَالْمُجْرِمِينَ . وَعَنِ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُقْضَى بِهَا عَلَيْهِمْ . قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ أَمْرُهُمْ وَيَسْتَنْقِضَى عَلَيْهِمْ .
وَبِمَا أَنَّ الْجَرِيمَةَ لَا يُمَحَى وَجُودُهَا مِنَ الْمَجْتَمَعِ ، إِلَّا إِذَا مُجِيَ وَجُودُهَا مِنَ الْإِنْفُسِ وَلَا يُمَحَى وَجُودُهَا مِنَ الْإِنْفُسِ إِلَّا إِذَا دَعَمَ الْإِيمَانُ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ فِي الْإِنْفُسِ أَوَّلًا . ثُمَّ عَمَتِ سَطْوَةُ السُّلْطَانِ وَوَازَعَهُ فِي الْمَجْتَمَعِ وَسَبَقَ فِي كَلِمَةِ الْجَرِيمَةِ بَيَانُ ذَلِكَ .
الْجَرِيمَةُ :

هِيَ تَصْمِيمٌ عَمَلِيٌّ لِهَدْمِ الْحَيَاةِ وَاسْتِمْرَارِ صَلَاحِهَا وَتَقْوِضِ دَعَائِمِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْوُضَ حَيَاةُ الْآخَرِينَ وَلِحَقِّ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلَ وَمُودَةِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بَيْنَ الْإِنْدَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَيَكْنِي أَنْ تَقُولَ الْجَرِيمَةُ فَوْضِي وَإِفْسَادٌ مُتَعَمَّدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ .

شُرطَةُ الصِّيَانَةِ :

عَمَلُهَا أَنْ تَصُونَ الْأَمْنَ مِنْ جَرَائِمِ الْمُجْرِمِينَ : وَهِيَ سَوَى شُرْطَةِ إِمْسَاكِ الْمَجْرِمِينَ لِلْاِقْتِصَاصِ مِنْهُمْ بَعْدَ وَقْعِ الْجَرَائِمِ .. فَتَلَّ عَمَلَ شُرْطَةِ الصِّيَانَةِ ، كَعِلْمِ الْوَقَايَةِ الصَّحِيَّةِ مُسْتَنْبِطُ الْحَايَةِ الْإِنْدَادِ وَالْجَمَاعَاتِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْأَمْرَاضِ . وَمَثَلُ شُرْطَةِ مَلَاْحَقَةِ الْمَجْرِمِينَ وَامْسَاكِهِمُ لِلْاِقْتِصَاصِ مِنْهُمْ كَعِلْمِ الطَّبِّ ذَاتِهِ يُعَالِجُ الْمَرَضَ بَعْدَ وَقْعِ الْأَمْرَاضِ

مِلَاْحَظَةٌ :

شُرْطَةُ الصِّيَانَةِ لَا تُنَافِي حُرِّيَّةَ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ ، بَلْ هِيَ الَّتِي تُحَافِظُ عَلَيْهَا مِنَ الْعُدْوَانِ وَتَدْعُمُهَا وَتُرَدُّ غَائِلَةُ الْمَجْرِمِينَ عَنْهَا ، وَلَا يَتَنَهَمُ شُرْطَةُ الصِّيَانَةِ أَنَّهَا ضِدَّ حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ الشَّخْصِيَّةِ

والجماعة إلاَّ المُنْطَوِّونَ على اقتراف الجرائم وهل مِن الحرية الشخصية أن يندسَّ المفسدُونَ بينَ المصلحين ويتأمرُوا على رجال الدولة والأمة ويقضوا على حياتهم ومصالحهم ويمزقوا كلمتهم وتجعلوهم أعداء يستبيح بعضهم دماء بعض ...

مصدر الجريمة :

من المؤكد أنَّ مصدرَ الجريمة نفس الفرد الشرير أو أنفُس الجماعة الشريرة لأنَّ صُنْعَ الفرد المجرم في هَدمِ الأمنِ وتخريب حياة الآخرين كصنع الجماعة المجرمة إلا أنَّ الجماعة المجرمة ضررها أهولُ أحداثاً وأفدحُ نهايةً وأكبرُ طامةً وَوَيْلاً .

الاجرام والعلم :

كان سلفنا الصالح يُمَجِّدُونَ العلمَ بما قال الله تعالى ، وقالَ رسوله الكريم ﷺ أبا تمجيد ، وكذلك كل ما يتصلُ بهما كعلمِ الفقه وأصوله وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية . وما هو قريب لِتحقق الهدى والايمان في قلوب الأفراد والجماعات وما زالت حقيقة العلم تتسع وتتسع ، وبالخري في العصر الذهبي العباسي حتى أصبحتِ المكاتب العلمية على شاطئ دجلة والفرات تعلقو قباؤها كأنها الاعلام البيضاء التي ترفرف فوق شرفاتها حائم السلام ... ومن أجل ذلك أطلقوا عليها دار السلام .

أما اليوم فإن اتساع العلوم ووفرة اعدادها وألوانها وكذلك الفنون فإنها تربو وتربو من ساعة الى ساعة .

وتزداد اتساعاً واتساعاً حتى أصبحَ التثقيفُ العلميُّ العالي والسموُّ الأدبي الرفيع لا ينفع فيه إلاَّ التخصُّصُ ، وأصبحتِ الأمةُ التي لا يتَخَصَّصُ أفرادها في شتى الفروع العالية والفنون الجميلة والصناعات الحربية وسواها رعيلاً رعيلاً فقد حَكَمَت على نفسها بالاعدام ، وتنادى بها الزوالُ والفسادُ هذا هو الطريق لذلك تجددُ الدول الكبرى والصغرى جادة في استقصاء العلوم واحصائها وجمعها ودرسها والتوسعة فيها على سواء . بالاضافة الى تَخَصُّصِ التَخَصُّصِ . وهذه دولتنا السعودية جادة كلَّ الجِدِّ في فتح الجامعات الكبرى والمعاهد الثانوية في البوادي والقرى . وتأسس اندية الأدب ومجامع اللغة .

والمدهش في أعمال عَصْرنا هذا أَنَّكَ تجد التثقيفَ دخلَ حتى في مخابىءِ المجرمين لأنَّ
العنصرين ما داموا يَنْظرون الى الأمم كأعداء . وما داموا يَدُسُّون ما يدسون في كلِّ مكانٍ
المفسدين والمعتلين والمجرمين في الأعماق من وراء . ليزيعوا الْفَوْضَى والاضطراب والافساد باسم
الاصلاح والهدى والخير ، فإن الاجرام لا يَنْتهي بل يربو ويربوا لذلك تجدُهم في كل بلدٍ
شرقي أو غربي ، واشعال نَزَوَاتِهِ وأهراق قدراتهم على مذبح الرذيلة ..
الجنسية واستغلالها لكل ذلك وهذا هو الذي يُشاهده الدارسون لأن إنفاذَ الجرائم في أعمالهم
الخفية يقومُ على ركنين أساسيين .

الاول :

مخاطبةُ الغرائز وتجنبِ مخاطبة الفكر والعلم . وأهم الغرائز التي يَحْشِدُونَ لَهَا سحر
المُغْرِيَّات ويهدمون بها الشباب والشابات لتحويلهم الى مجرمين في حقِّ أنفسهم ودينهم
ومصالح أمتهم هُما : غَرِيزَتَا الجنس والتملك وتسليط مُغْرِيَاتِهِمَا عليهنَّ لتسخيرهم الى مزاوله
الجرائم الجنائية والسلوكية غير المشروعة بباعثِ هَاتَيْنِ الغريزتين الراغبتين إذا أُرْسِلتا على
عواهنها دون وازعٍ من سلطان أو دين .

الثاني :

الثاني إتخاذ التزوات والأعمال الجنسية السرية الممنوعة لدى كلِّ الدول مَصَايِدَ وفخاخاً .
لتسخير الشباب والشابات إلى ارتكاب الجرائم وابتكار الأفلام الخليعة المردية ومناظرها الحمراء
البشعة الشاعلة المثيرة الهدامة للصحة والوعي والابتكار والخامدة لِشُعْلَةِ التفكير ، ووَقْدِ الزَّكَاةِ
والصارفة عن كلِّ طموح عالٍ .

ومتى وصل شباب الأمة وشاباتنا الى هذا الدرك الساقط فأنى تكون لأمتهم بهم معارج
أبجاد ، ومناثر معارف وعدد دفاع عن الأمن والحرية والوحدة .
ولا ريب أن عملك وعملكي وعمل كل مواطن هو محاربة هذا الانحراف والبلاء والتخريب
والهدم والاحاد والانفلات .

الكائنات وعلم الله الأزلي

الذي

كل الكائنات مبنية في تكوينها على علم وهذا العلم هو آية وجود الله العليم الخبير ولا يحدد أن الكائنات مبنية على علم الله جل وعز ، ويزعم أنها مبنية على الصدفة الا من بلغ به حب الجنون ، ولعنة العنصرية مبلغ إبليس اللعين . لأن علم إبليس بوجود الله لا يقل عن علم الملائكة ولكن حرية الإرادة الخاصة التي أعطاها دون الملائكة لأنه من الجن هي التي جعلته قادراً أن يستمر على الإيمان أو يكفر .. لأن الملائكة الكرام فطروا على الإيمان فقط . وليس في وسعهم الكفر أبداً .

ولا يملكون الإرادة الحرة التي تجعلهم ينحرفون عن طاعة الله أبداً هذا وإن الملائكة مطيعون خاشعون : « قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » ٢ — ٣١ وتسمع إبليس اللعين يقول لله جل وعز مبرراً عدم سجود آدم .

« قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ٧ — ١٢ كأن أمر تفضيل النار على الطين يعود إلى إرادته هو لا إلى إرادة الله جل جلاله .

فاذا رأيت انساناً يرفض أن ينسب العلم المبني بموجبه تكوين الكائنات إلى تكوينها الله العليم الخبير . فهو بلا ريب ينسبه كفراً وجحوداً والحاداً عمداً بدون أي دليل علمي يقيني إلى الصدقة أو إلى هوى النفس أو إلى خبثها ولعنتها أي ينسبه إلى لا شيء ويجعل هذه النسبة الكافرة الرعناء المحرمة ... عن عيني العلم وعين الحرية والإنطلاق اذا رأيت انساناً هذا شأنه فلا تعجب فكم هم الذين يجحدون وجود الشمس وهي ساطعة في كبد السماء تلفحهم بأشعتها والجنون فنون !!!

ولهفةً التَّظاهرِ بِالْعِلْمِ والحريةِ والتَّجديدِ والكفرِ والإنحدارِ إِذَا تَغَلَّغْتَ فِي النَّفْسِ الواهنةِ الرعناءِ تفعلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهؤلاءِ السفسطائيونَ مِنَ الإغريقِ القدماءِ ... لم يَكفُوا بِجُحُودِ اللَّهِ .

مُكَوِّنَ الكائناتِ بل أنكَروا حَقائِقَ الكائناتِ نفسها وزعموا أنها خيالاتٍ حتى لا يَأْتِي العلماءُ المحققون فيتخذوا من وجودها سبيلاً إلى الإيمانِ بِاللَّهِ خَالِقِهَا العظيمِ .

فهلَ رَأَيْتَ كَفْراً أَكْفَرَ مِنْ هَذَا وهل ظَلَمَ أَظْلَمَ مِنْ هَذَا .
وهلَ رَأَيْتَ شَرّاً أَشَرَّ مِنْ هَذَا تقولُ أنتَ وأقولُ أنا .. لا لا : وتقولُ محالُ أن يصلَ خبثُ الإنسانِ والحادِّه ولَعْنَتُهُ أَنَّ يَحْدَ حتى وجودِ الأكوانِ وهو منها ويعيش فيها ولا يكتفي بِجُحُودِ وجودِ اللَّهِ . والباعثُ على كل ذلك هو جُحُودِ وجودِ اللَّهِ مَكُونِها .

ولكنَّ الواقعَ يوكِّدُ أَنَّ ذلكَ كانَ في اليونانِ وقد انتقلَ مذهبُهم هذا إلى العالمِ الإسلامي وتألقتْ عِصَابَةُ السفسطائيين في بغدادَ وكانَ لهم رئيسُ مشهورٌ يجتمعُ بالأئمةِ الاعلامِ ويزورُهم شأناً دهاةِ أهلِ الكيدِ والكفرِ والنفاقِ .

هذا رئيسُ السُّفُسْطائِيِّينَ في بغدادَ يزورُ الإمامَ أبا حنيفةَ النُّعْمانَ رضوانَ اللَّهِ عليه ويتحدثُ إليه ساعةً .

وفي أثناءِ ذلكَ أوعزَ الإمامُ أبو حنيفةَ إلى خادمةٍ أن يخفيَ البغلةَ التي وفَدَ عليها وشدَّها لدى البابِ .

ولما انتهتِ الزِيارَةُ صحبَه الإمامُ إلى بابِ دارِهِ ليرى ما يصنعُ ظلَّ رئيسُ السفسطائيين يتلفَّتُ يميناً وشمالاً باحثاً عن بغلته فالتفتَ إليه الإمامُ = عن أي شيء تبحث .

السفسطائيُّ = عن البغلةِ فقد شدَّتها إلى البابِ .

الإمامُ = وهل للبغلةِ حقيقةٌ ماثلةٌ حتى تُشدَّ إلى البابِ .

السفسطائيُّ = أدركَ عِظَمَ البرهانِ وسطوعَ دلالاتِهِ فما وسعَهُ إِلَّا أن يعترفَ باليقينِ الصارخِ الصادعِ في البرهانِ فقال : صدقتْ أبا حنيفةَ إِنَّ للبغلةِ حقيقةً ذاتيةً فأتَ بها ومها يُكَيِّنُ الإنسانُ من جُحُودِ الواقعِ اليقينيِّ فإنه يعودُ إليه متى تمثلَ له البرهانُ الصارخُ ..

ولولاً إنْكَشافُ عِلْمِ اللَّهِ الماثِلِ في الكائناتِ المبنيةِ بموجبه وبأصوله وقواعده لما اكتشفتْ كُلُّ هذه العلومِ الكونيةِ وزهتْ الحضارةُ وتقدمتْ .

بل لولا انكشافُ علمِ الله المبيّثِ في الكائناتِ لَمَا كُنْتَ شَاهِدَتْ مَرَاغِ الحَضَارَةِ بِلَغْتِ
هَذَا الْمَدَى الْوَاسِعِ .

فَكَرُّ فِي هَذَا الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي كُوْنَتْ أُذُنُ الْخَفَاشِ بِمَوْجِبِهِ لَمَا طُبِقَ مِنَ الْوُجْهِ الْعِلْمِيَةِ
الْحَضَارَةِ فِي إِيجَادِ أُذُنٍ حَسَّاسَةٍ لِلْحَضَارَةِ تُسْمَعُ الْبَعِيدَ الْخَفِيَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَتَنْبِئُهُ عَلَيْهِ
اِكْتِشَافُ الرَادَارِ ...

وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ مِلْيَيْنِ الْمَكْتِشَفَاتِ وَلَوْ اسْتَطَاعَ الْعِلْمُ أَنْ يَكْتِشِفَ أَعْمَالَ الطَّاقَةِ النَّبَاتِيَّةِ
وَقُدْرَتِهَا فِي امْتِصَاصِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ ، وَكَيْفِيَّةِ تَخْزِينِهَا فِي خَلَايَاهَا لِاسْتَطَاعَةِ أَنْ يَكْتِشِفَ
عَلَى غَرَارِهَا « الشَّمْسِيَّةِ » آلَهُ تَصْنَعُ شَجَرَ يَمْتَصِحُ حَرَارَةَ الشَّمْسِ وَيَخْزِنُهَا لِلْإِفَادَةِ مِنْ شَأْنِ
الرَّادَارِ .

وَاسْتِنْبَاطُ عُلُومِ الْحَضَارَةِ وَآلَاتِهَا وَوَسَائِلِهَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ الْمُنْبِئِ بِمَوْجِبِهِ الْأَكْوَانِ هُوَ لُجْجٌ وَرَاءَ
لُجْجٍ لَا نِهَآيَةَ لَهَا ..

وَصِفْوَةُ الْقَوْلِ إِنَّ عِلْمَ الذَّرَّةِ مَأْخُوذٌ مِنْ تَكْوِينِ الذَّرَّةِ نَفْسِهَا . وَعِلْمُ الْفَلَكِ مَأْخُوذٌ مِنْ تَكْوِينِ
الْفَلَكِ نَفْسَهُ وَعِلْمُ الْكَهْرِبَاءِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكَهْرِبَاءِ ذَاتِهَا ، وَالَّذِي اِكْتِشَفَ مِنَ الْعُلُومِ الْمَكْنُوزَةِ فِي
الْكَائِنَاتِ قَلِيلٌ جَدًّا « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » . وَالكَثِيرُ لَا يَزَالُ مَكْنُوزًا فَهَذِهِ الْعُلُومُ
لَا تَدُلُّ عَلَى الصَّدْفَةِ إِلَى لَا شَيْءٍ يُشَبِّهُ الصَّدْفَةَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى اللَّهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ وَالْإِيمَانِ نِعْمَةً ،
وَالْكَفْرِ عَذَابٌ وَالتَّفَاقُّ فِتْنَةٌ وَقُلْ « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » .

محاضرة الدعوة الدينية وأسسها

كلُّ دعوةٍ دينيةٍ يُنادي بها المُنادون جَمَاهِيرَ الأُمَمِ وأفرادها لإِعْتِنَاقِهَا لا بدَّ أنْ تقومَ على أُسُسٍ ثلاثةٍ ...

١ — الإيمانُ باللهِ الخالقِ العظيمِ مُبْدِعِ العوالمِ ، والمُهِمِّينَ عليها ، والمُتَصَرِّفِ فيها .

٢ — الوحيُ المُنسُوبُ إلى اللهِ الخالقِ العظيمِ .

٣ — الرسلُ الذينَ تلقوا الوحيَ وبلغوه للناسِ ودَعَوْهم إلى الإيمانِ بهِ والتزامِهِ والحفاظِ

عليه ، والدُّودِ عنه .

هذهِ الأُسُسُ الثلاثةُ هي التي تقومُ عليها كلُّ دَعْوَةٍ دينيةٍ لدى الأُمَمِ . فإنْ كانتِ الدَعْوَةُ قائمةً على العلمِ اليقينيِّ ، ومناهجِ الفكرِ المثقفِ وبحوثِهِ الحرَّةِ . كانتْ صحيحةً .

أمَّا إنْ كانتِ الدَعْوَةُ الدينيةُ مُخْتَلِطَةً ، أو مَوْضُوعَةً ذاتَ ظُنُونٍ وَأَوْهَامٍ وَأَسَاطِيرٍ ورُؤى وَأَحْلَامٍ فإنَّها تكونُ فاسدةً ...

واني هنا في كَلِمَةٍ هذهِ الليلةِ أَعْرِضُ حَقَائِقَ الدَّعْوَةِ الدِّينِيَّةِ الاسلامِيَّةِ في أُسُسِهَا الثلاثةِ من حيثِ مكانِهَا في حَقَائِقِ العلمِ اليقينيِّ ومناهجِ التَّفَكُّيرِ الصحيحِ وأصولِ البَحْثِ المُحَرَّرِ أَعْرِضُهَا مُرَتَّبَةً في أُسُسِهَا الثلاثةِ .

« الأول » :

الإيمان بالله الخالق العظيم

رَأْسُ الدَعْوَةِ الدِّينِيَّةِ هي الإيمانُ باللهِ الخالقِ العظيمِ مُوَحِّدِ هذهِ العوالمِ والمُهِمِّينَ عليها والمتصرفِ فيها : إيجاداً وإعداداً وقدرةً وإرادةً وعِلْماً .

سواءَ ما ظهرَ منها وأمكنَ رؤيتهُ بالمراقبةِ الحديثةِ ، أو بالعلمِ اليقينيِّ أو خَفِيَ في أَسْحَقِ أبعادِ الفضاءِ مما لم تُحِطْ بِهِ المراقِبُ ، ولا يَعْلَمُ كَنَهُ حَقِيقَتِهِ إِلَّا اللهُ مَكُونُهُ العظيمِ .

وهؤلاءِ علماءُ الحضارةِ المحدثونَ يَكشِفونَ كلَّ يَوْمٍ مِنْ مجاهِلِ عوالمِهِ الكَثِيرِ الكَثِيرِ وما يزالونَ على رمالِ الشَّاطِئِ كما يُعْلَنونَ .

وهنا لا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ خَالِقِ الْأَكْوَانِ إِنْ جَاءَتْ مُسْتَوَى عَظَمَةِ خَلْقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ الْمَتْرَامِيَةِ السَّحِيقَةِ بِكُلِّ عَجَائِبِهَا وَمُذْهَشَاتِهَا الَّتِي اكْتُشِفَتْ وَالَّتِي لَمْ تُكْشَفْ ، فَإِنَّهَا تَكُونُ صَحِيحَةً وَإِنْ جَاءَتْ سَخِيفَةً هَرَبِلَةً كَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ خَالِقَهَا حَيَوَانًا أَوْ نَبَاتًا أَوْ رُوحًا أَوْ مَلَكًَا أَوْ جِنًّا أَوْ إِنْسَانًا فَإِنَّهَا تَكُونُ مِنَ تَخْرِيفِ الْأَسَاطِيرِ وَأَوْهَامِ الْكُفَّانِ وَتَرَهَّاتِ الْمُهْوسِينَ .

أَجَلْ إِنْ جَاءَتْ عَقَائِدُ الْإِيمَانِ فِي الْمُسْتَوَى الرَّفِيعِ الْعِلْمِيِّ الْيَقِينِيِّ اللَّاتِقِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ ذَاتًا وَصِفَاتًا وَأَفْعَالًا كَانَتْ عِلْمِيَّةً يَقِينِيَّةً حَقًّا . وَإِنْ جَاءَتْ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَكُونُ أُسْطُورِيَّةً وَهْمِيَّةً بَاطِلَةً .

وَحِينَئِذٍ يَبْدُلُ الْوَحْيِيُّ الْمُنْسُوبُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى حَقِيقَتِهِ لِأَن كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَوْجَدَ الْعَوَالِمَ سِوَى كَلَامِ الْمُزَيَّفِينَ الْمُتَحَرِّفِينَ مِنْ مَلَاحِدَةٍ وَمُشْرِكِينَ وَوُثْنِيِّينَ . وَإِنْ كَانَ مُصَدِّرُ انْخِرَافِ الْمَلَاحِدَةِ وَتَزْيِيفِهِمْ مِنْ طُنُونِ الْعِلْمِ وَفُرُوضِهِ رَغْمَ زَعْمِ التَّجْدِيدِ : وَإِنْ كَانَ بِخِرَافِ الْوُثْنِيِّينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْخِرَافَاتِ الْمُنْدَسَةِ فِي كُتُبِ الْوَحْيِ وَمِنَ الْكُفْرِ الصَّرَاحِ الْمُدَوَّنِ فِي كُتُبِ الْمَلَاحِدَةِ أَوْ فِي كُتُبِ الْمُشْرِكِينَ الْوُثْنِيِّينَ الَّتِي سَطَّرَهَا الْكُفَّانُ وَحَرَّفُوا وَدَوَّنُوا مَا شَاءَ لَهُمُ الْهَوَى فِي كُتُبِ الْوَحْيِ الْمُنْزَلَةِ وَكَذَلِكَ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ الصَّحِيحَةِ حَيْثُ بَهَا الْمَلَاحِدَةُ مَا شَاءَ لَهُمُ الْهَوَى وَالْكَفَرُ وَالْانْفِلَاتُ الْخُلُقِي .

فَإِنْ رَأَيْتَ دَاعِيَةً دِينِيًّا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عَقِيدَتِهِ . وَهُوَ يَرْفُضُ بَحْثَ نصوصِهَا الْمُعْتَمَدَةِ بَحْثًا عِلْمِيًّا خَالِصًا . وَيَصْرُحُ أَنْ يُزَيِّفَهَا بِالْإِكْبَارِ وَزَخْرِفِ الْقَوْلِ ، وَيُدْعِمُهَا بِالْخَوَاقِيقِ وَالرُّؤْيِ وَالْأَحْلَامِ . فَاعْلَمْ أَنَّهُ أُسْطُورِي غَبِيٌّ وَجَاهِلٌ قَدَمٌ أَوْ مُتَاجِرٌ خَبِيثٌ حِرْبَاءُ يَرِيدُ الْاِسْتِيلَاءَ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَأَعْرَاضِهِمْ بِاسْمِ عَقِيدَتِهِ الْمَزْيِفَةِ .

لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ يُدْعَى إِلَى آيَةٍ عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ سِوَاهَا أَنْ يَدْرُسَهَا دِرَاسَةً عِلْمِيَّةً يَقِينِيَّةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَهْوِيَ بِمَجْمُوعَتِهِ النَّفْسِيَّةِ سُلْطَانَهَا وَيَدِينُ بِهَا ..

وَيَسْتَطِيعُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْهَمَ الْعِلْمَ مِنَ الْجَهْلِ وَالصِّدْقَ مِنَ الْكُذْبِ وَالْحَقِيقَةَ مِنَ الْوَهْمِ إِذَا هُوَ يَبْحَثُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فِي صِحَّةِ رَأْسِ الْإِيمَانِ وَالْعَقِيدَةِ وَالِدِينِ أَيْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ .

أَجَلٌ يَجِبُ بَحْثُ صِحَّةِ عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ بَحْثًا عِلْمِيًّا يَقِينًا حُرًّا بَوَعِيٍّ وَحَذَرًا وَانْتِبَاهًا ..

وإنَّ لم يفعل البشرُ ذلك وقَعُوا في مهالكِ الوثنية والاشراكِ والأساطيرِ وترهاتِ الخوارقِ ومفترياتِ الوُضْعِ الدينيِّ واستغلالِ السذاجةِ والبساطةِ. أو يقَعُوا في مهالكِ الإلحادِ والملحدينِ وبلاياهم وشذوذهم وكبائرُ مفسادهم وغلالُ أخلاقهم ومؤامراتهم وخياناتهم ضد الإيمان العلمي الصحيح الذي جاء به خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ .

ومفاسد الإلحادِ والملحدينِ خداعةٌ غرارةٌ يُدْخِلُهَا استباحةُ الشهواتِ وتحليلِ الحرامِ وتحريمِ الحلالِ والحمدُ لله وجد في عصرنا هؤلاء شُبَّانَ واعونَ جامعيونَ يَأْبُونَ أن يُصْغُوا لأيةِ دعوةٍ دينيةٍ يُنادي بِهَا مُنَادُونَ مَشْهُوهُونَ في شَتَّى بلادِ العالمِ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْمَعْرِفَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ يَنْبُوعَيْهَا الْأَسَاسِيَيْنِ .

١ — يَنْبُوعُ الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ لَا الظَّنِّي .

٢ — وَيَنْبُوعُ الْوَحْيِ الْقُطْعِيِّ الْوَاصِلُ الْبَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ الْجَمَاعِيِّ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْقُطْعِيَّةِ ..
لأن استقاء الإيمان بالله الخالق العظيم من غير هذين ينبوعين يُوقَعُ في مهاوي الظنون والأوهامِ والفروضِ المَزُورَةِ على الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ وعلى حَقِيقَةِ الْوَحْيِ الْيَقِينِيِّ بِقِسْمِيَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

وأكبرُ المهاوي السَّحِيقَةِ الْمُهْلِكَةِ ، وأشدُّهَا بلاءَ وأكثرها فساداً وأخبثها مبادئ هي مَهَاوِي الْإِلْحَادِ وَالثَّوْنِيَّةِ وَالْإِشْرَاقِ ...

ومهما يَكُنْ فَإِذَا رَحَلَتْ إِلَى أَيِّ بَلَدٍ وَالتَّقَيَّتْ بِهِؤْلَاءِ الدُّعَاةِ الْمَشْهُوهِينَ فَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَيْ بِالْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ الْكَلَامَ فِي الْجَوَانِبِ قَبْلَ الْكَلَامِ فِي الرَّأْسِ سَذَاجَةٌ وَغَفْلَةٌ ... !! فَإِنْ صَدَرَ مِنْ ذَا عِجَاهٍ فَهُوَ رُغُونَةٌ وَإِنْ صَدَرَ مِنْ ذَا عِلْمٍ وَخُبْرٍ وَكَيْدٍ وَتَمْوِيَةٍ .

وإني هُنا في هذه المحاضرة أدعو إلى عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ بِيَقِينِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ وَبَيَقِينِ الْعِلْمِ الثَّابِتِ ...

وَالنَّدَاءُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمِيًّا يَقِينِيًّا وَاقِعِيًّا وَلَمْ يَكُنْ

أَخْلَاقِيًّا مَخْلَصًا مُصَحِّحًا عَالِيًا وَصَبْرًا وَسَهْرًا وَاحْتِمَالًا فَإِنَّهُ لَنْ يُوقِفَ فِي الشَّبَانِ الْمُثَقِّفِينَ الْمَوَاهِبَ
الْهَامِدَةَ إِلَى اعْتِنَاقِهِ وَطَرَحِ الْإِلْحَادِ ...

وليس في الوجود قَاطِبَةٌ أَشْرَفَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَنْبَلَ وَلَا أَنْفَعُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ .
أَجَلُ إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُنْبِعَةً مِنْ أَعْمَاقِ النَّفْسِ وَمَهِيْمَةً عَلَى السُّلُوكِ وَمَوْجِهَةً إِلَى
الْإِيمَانِ الْعِلْمِيِّ الْبَقِيْنِي الصَّحِيحِ بِكُلِّ الرَّغَبَاتِ وَالتَّضَحِّيَّاتِ وَاللَّذَاتِ الْمَرْضِيَّةِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ :
وَلَا تَتَحَقَّقُ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تُشْرِقُ فِي أَعْلَى مَنَارَاتِهَا إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ .

الأول

أَنْ يَكُونَ مَطْلَبُ الْجَزَاءِ الْأَوْفَى مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَطْلَبُ الْجَزَاءِ مِنَ اللَّهِ
وَحْدَهُ جَرَّ إِلَى الْعَطَبِ وَأَصْبَحَتِ الدَّعْوَةُ مُرْتَبِطَةً بِهِ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَسَدَ أَمْرُهَا وَأَصْبَحَتْ
تِجَارَةً خَاسِرَةً بَعِيدَةً عَنِ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ . وَالْحَقُّ بَاقٍ وَالْبَشَرُ زَائِلُونَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَحَاسِبُونَ فَلْيَحْدِرِ
الْمَلْحَدُونَ قَبْلَ زَوَالِهِمْ وَحَسَابِهِمْ .

وَرَأَيْتُ أَبْعَدَ الدَّعَاةِ عَنِ الْإِخْلَاصِ لِلدَّعْوَةِ وَالْفِرَارِ مِنْ تَحْمِيلِ الْمَشَاقِّ مِنْ أَجْلِهَا الَّذِينَ
يَتَقَاضَوْنَ أَمْوَالَ الْأَوْقَافِ الْوَفِيرَةِ وَلَدَيْهِمُ الْأَمْوَالُ الْوَفِيرَةُ وَلَا يُؤَدُّونَ حَقَّ مَا يَتَقَاضَوْنَ عَلَيْهِ رَغْبَةً فِي
مَا عِنْدَ اللَّهِ وَابْتِئَارًا فَرَضَاتِهِ بِالتَّضَحِّيَةِ وَالْمَوَاطَبَةِ وَالسَّهْرِ وَالْكَدْحِ وَكَمْ فِي ذَلِكَ مِنْ مَجْدٍ وَخُلُودٍ .

الثاني

أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي ذَاتَهُ عَمِيقَ الْإِيمَانِ الْخَالِقِ وَيَرَى فِي دَعْوَةِ أَخِيهِ الْإِنْسَانَ نَجَاةً لَهُ مِنْ
السَّقُوطِ فِي خُبْثِ الْإِلْحَادِ أَوْ ظِلْمَاتِ الْوُثْنِيَّةِ وَالْإِشْرَاقِ .

أَجَلُ يُحَسُّ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ بِلَذَّةِ التَّضَحِّيَّاتِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ وَيَكْرُسُ كُلَّ جَهْدِهِ
لِانْجَاحِهَا لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ هِيَ أَشْرَفُ عَمَلٍ يُأْرِسُهُ إِنْسَانٌ إِنَّهُ عَمَلُ رُسُلِ اللَّهِ الْعِظَامِ صَلَوَاتُ
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَمَتَى أَحَسَّ الدَّاعِي بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ اسْتَحْلَى مُرَارَةَ الصَّدِّ وَالرَّدِّ
وَالْمُجَادَلَةِ وَالْمُجَافَاةِ وَالْحَرَمَانَ وَاسْتَعَذَّبَ الْخَشَوْنَةَ الَّتِي يَلْقَاهَا الدَّاعِي عَادَةً مِنَ الْخَلْقِ . وَبِذَلِكَ
يَكُونُ الدَّاعِي مُوَفَّقًا فِي دَعْوَتِهِ وَيَكُونُ نَاجِحًا قَادِرًا عَلَى كَشْفِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ رَاضِيًا مُخْتَسِبًا
مَقْدَمًا مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَجْرِ عَلَى كُلِّ أَجْرٍ سِوَاهُ .

الثالث

أَنْ يَتَرَوَدَ بِالْعُدْرِ الْلازِمَةِ لِلانْتِصَارِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَفِيفاً مُسْتَقِيماً مُؤْمِناً عَمَلِيّاً بِمَا يَقُولُ لِأَنَّ النَّاسَ يَرِاقِبُونَ الَّذِينَ نَصَبُوا دَعَاةً لِلإِيمَانِ الْحَضَارِيِّ الْعَالِيِّ بِاسْمِ اللَّهِ مِرَاقِبَةً دَقِيقَةً .

وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي وَادٍ وَالدَّعْوَةُ الَّتِي وَجَّهُوا لِلْقِيَامِ بِهَا فِي وَادٍ مَقْتُوهُمْ وَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ سَاخِطِينَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الدَّعْوَةِ بِسَبَبِهِمْ لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ دَاعٍ أَنْ يَكُونَ فِي حِذْرٍ مِنَ الَّذِينَ يَرِاقِبُونَ سُلُوكَهُ وَمَهْمَا يَكُنْ فَقَوَامُ الدَّعْوَةِ كَمَا يَكُونُ بِالْعِلْمِ الْمُنْفُوقِ وَالْحِكْمَةِ الْمُؤَثَّرَةِ يَكُونُ بِالْأَخْلَاقِ اللَّيِّنَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّدَاقَةِ وَالنَّصِيحَةِ الصَّادِقَةِ وَالْإِرْشَادِ الْعِلْمِيِّ الْقِيمِ الْمُؤَيَّدِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الصَّارِخَةِ .

« الثاني » :

أَنْ يَكُونَ فِي بَيَانِ الْوَحْيِ الْمُنْسُوبِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ الشَّامِلِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ فِيهِ السَّمُو وَالْحِكْمَةُ وَفِيهِ كُلُّ الْمَثَلِ الْعَلِيِّ الَّتِي إِذَا تَلَّاهَا حَيَالُ الْجُمَاهِيرِ أَحْسَنُوا حَقِيقَةً أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَتَانَ بَيْنَ كَلَامِ الْكُهَّانِ الْمَدْسُوسِ عَلَى كَلَامِ رَبِّ الْكَلَامِ .

أَلْفَ أَلْفِ شَتَانٍ .

أَجَلَ شَتَانٍ بَيْنَ مَصْدَرِ النُّورِ وَبُورَةِ الظُّلَامِ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ الْحَقِّ وَوَهْمِ الْبَاطِلِ وَبَيْنَ الصِّدْقِ الْيَقِينِيِّ وَالْكَذِبِ الْمَدْخُولِ ...

وَكَلَامُ اللَّهِ كُلُّهُ رَحْمَةٌ بِالْخَلْقِ وَدَعْوَتُهُ لَهُمْ إِلَى الْحُبِّ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّوَادُّ .

وَكُلُّهُ حَنَانٌ وَبِرٌّ وَهَدًى وَجَمْعٌ لِلشَّمْلِ وَأَخْلَاقٌ وَعَدْلٌ وَإِحْسَانٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ وَتَسَامُحٌ . أَمَّا كَلَامُ الْكُهَّانِ فَإِنَّهُ قَسْوَةٌ وَفُجُورٌ وَانْحِرَافٌ وَظُلْمٌ وَهُوًى وَعَنْصَرِيَّةٌ وَإِفْسَادٌ وَدَعْوَةٌ لَتَزْيِيقِ الْكَلِمَةِ وَنَسْبَةِ الْفُسَادِ إِلَى أَطْهَرِ خَلْقِ اللَّهِ الْإِنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ يَكْفِي إِنْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَزَلُّ عَلَى كُلِّ الرُّسُلِ لِكُلِّ الْخَلْقِ سِوَاهُ مَا أَنْزَلَ عَلَى أَوَائِلِ الرُّسُلِ أَوْ عَلَى أَوَاخِرِهِمْ . اسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ .

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرُسَلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسَلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ، رُسَلًا

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»
٤ - ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ .

« الثالث » : رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم

لا ريبَ أن هؤلاء الرسل اختارهم الله مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ لِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ والقيام بالدعوة الى الايمان به ، وهذا أَشْرَفُ عَمَلٍ يقومُ به الانسانُ تجاهَ ربِّ العالمينِ وخالقِ الخلقِ أَجْمَعِينَ .

أجلُ لا ريبَ أن هؤلاء الرسل اختارهم الله وهل يختارُ الله المولى الكريم الا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وأصلحهم واسأهم ملةً وإيماناً وحكمةً وحَقاً .. أَمَا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) .

وصفاتُ هؤلاء الرسل صفاتُ إنسانيةٍ عاليةٍ وبالاجمال هم أبرارٌ أطهارٌ صادقونُ أُمَناءُ ومعضومونٌ عن المآثمِ صغاريها وكبارها ومن الكفر الصراح نسبة الفواحش الى رُسُلِ الله الكرام كما هو مُدَوَّنٌ في كتب منسوبة الى الله تجذُّها في العهد القديم مدونة ، حاشاً أَنْ يَكُونَ رَسُلُ اللَّهِ بتلك المَثَابَةِ الكَرِيمَةِ ... المدونة في تلك الكتب .. حسبهم الله .

أجلُ انه من الظُّلُمِ الفاحشِ والخُبْثِ اللعينِ نِسْبَةُ الفواحشِ الى رُسُلِ الله . كيف يكونُ رُسُلُ اللَّهِ مَصْدَرُ الفسادِ ، وهم مَصْدَرُ الهداية والاستقامة والضراعة الى رب العالمين . وإذا كان الله عز وجل يأمرُ نبيه الكريم وخاتم رسله محمد ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهَدْيِ أَنْبِيَائِهِ ورسله فما بالنا نحن ؟!! والآلآن اختتم هذه المحاضرة بما فَضَّلَ اللَّهُ رُسُلَهُ الكرامَ وبِمَا مَجَّدَهُمْ به في وحيهِ المتزل . قال الله تعالى «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ إِذْ قَالَ رَبِّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ ، وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أولئك الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَئِسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أولئك

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»
٦٠ — ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٩ و ٩٠

وَفِي النِّهَايَةِ مَنْ كَانَ لَهُ سَوَالٌ فَلْيُعْلِنْهُ . وَاللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .
وَأَحَبُّ أَنْ يَكْفِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ وَحْيِ اللَّهِ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ بِغَيْرِ عِلْمٍ . كَلَامًا لَا يَصْدُرُ إِلَّا
مِنْ جَاهِلٍ تَكَلَّمَ ضِدَّ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ وَالْإِنْسَانِيَةِ .. وَهَذَا يَنَاقِي الْحَضَارَةَ وَالْإِنْسَانِيَةَ وَالتَّجَدُّدَ وَالْعِلْمَ .
وَلْتَذَكَّرُوا أَبَدًا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» ١٧ — ٣٦ .
وَالْفُؤَادُ يُطْلَقُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ .

معجزات القرآن المدخرة للمستقبل

إنَّ أبسَرَ دراسةٍ لآياتِ القرآنِ المجيدِ وأقلَّ إطلاعٍ على دلائلِ آياته تَلَمَّسُكُ معجزاتِ الآياتِ المدخرةِ لمستقبلِ الأجيالِ القادمةِ الى يومِ القيامةِ ..

والسببُ أن القرآنَ المجيدَ هو خاتمِ الكُتُبِ السَّماويةِ وأنه مُنزلٌ لِهَدايةِ البَشَرِ كَافَّةً الى حَقِيقَةِ الايمانِ باللهِ الخالقِ العظيمِ والسَّموِيِّ الى أرفعِ محاريبِ الوحيِ المنزلِ القرآنِ المجيدِ .
وكان من المحال أن لا يَجْعَلَ اللهُ فيه دلائلَ صارخةً بخوارقِ المعجزاتِ في صميمِ آيته لأجلِ إيمانِ الأجيالِ المقبلةِ المُتتابعةِ في هذهِ الحياةِ الدنيا حتى النهايةِ ..

والسببُ أن القرآنَ المجيدَ أنزلَ معجزةً صارخةً دَاعِمةً صدقَ رسالةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يتحدى البراهينَ على تتابعِ الأجيالِ والناسِ كُلِّهِمْ لَيَسُوْا عَرَباً بلغاءَ حتى يَكُونَ في اقتدارِهِمْ دراسةَ القرآنِ المجيدِ . الدراسةُ العلميَّةُ الكاشفةُ لِخَفَايَا معجزاتِهِ المدخرةِ لِلأجيالِ المقبلةِ لكي يَكُونَ لَهُمْ بَراهِينَ علميةٍ يَقينيةٌ مُثَبِّتَةٌ صدقَ رسالةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِبْتِائاً قَطعياً حاسِماً .
والبشرُ ولو لم يَكُونُوا عَرَباً فَإِنَّ ترجمةَ معجزاتِ القرآنِ العلميَّةِ المدخرةِ للمستقبلِ تَجْعَلُهُمْ بمنزلةِ العربِ المَطلعينَ على مدهشاتِهِ المعجزةِ المتحديةِ وإنَّ في ذلكِ حجةً للغةِ .

أجلُ تَكُنِّيَ العقولِ الحرةِ العالمةِ المَفَكِّرةِ الأَمينةِ البَراهِينَ العِلْميةَ المترجمةَ بأمانةٍ وصدقٍ وقلتُ وأنا اتحدثُ ، الطلابُ — إن كُتِمَ تريدونَ خِدْمَةَ القرآنِ المجيدِ حقاً .. فاستَظْهِرُوهُ وتعمقوا في فَهْمِ تَأويلِ آياته والإحاطةِ بما تشتملُ عليه مِنْ معجزاتِ بَيِّناتٍ ثُمَّ اتقنوا أَيْةَ لُغَةٍ مِنَ اللغاتِ وَترجمُوا ما عَلِمْتُمُوهُ مِنْ دلائلِ معجزاتِ القرآنِ المجيدِ إليها بِأسلوبٍ أدبيٍّ علميٍّ أخاذٍ بِسحرِ البيانِ الحلالِ .

إن فَعلْتُمُ ذلكَ نِلْتُمُ رِضوانَ اللهِ تعالى ومَحَدَ الخلودِ . وهنا قالَ أحدُ التلامذةِ هَلَّا ضَرَبْتَ لَنَا مثلاً شاهداً لِمُعْجَزاتِ القرآنِ المدخرةِ للمستقبلِ .

قلتُ هذا ما أريدُ الحديثَ عنه لَكُمْ ، وما أَكْثَرَ مُعْجَزاتِ القرآنِ المدخرةِ لِلأجيالِ المقبلةِ .
الا تذكرونَ أَنه قد مرَّ بِكُمْ في درسِ سَلَفٍ في تأويلِ سورةِ المَرسَلاتِ آيَةُ « أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفافاً أَحياءَ وَأَموئاً » .

وسَلَفَ أن سألَ أحَدَكُمْ كَيْفَ تَكُونُ الأرضُ كافَّةً لِلحيِّ وهو يَغْدُو وَيروحُ وَيَطِيرُ وَلَكِنْ

الكفت والضمُّ والجذبُ ظاهرٌ في الميتِ حيثُ يَتَحَقَّقُ الكفتُ في القبرِ : وسلفَ أنْ أثبتُ أنَّ هذا هو موطنُ الإعجازِ المدخرِ لعَصْرِنَا ، ألا تَرى أنَّ التعجبَ الذي كَانَ وَاِردًا قبلَ اكتشافِ الجاذبية بقولنا كيفَ تَكُونُ الأرضُ كافَّةً للأحياءِ وهم يروحون ويغدون ويخلقون في الهواء : الآن بطلَ هذا التعجبُ بمَعْرِفَةِ عِلْمِ الجاذبية وأسرارها .

وحينئذ تَكُونُ الآيةُ مشتملةً على مُعْجَزَةٍ مُدْخَرَةٍ لعَصْرِنَا وللْعَصُورِ التي تَلِي عَصْرِنَا . والقرآنُ المجيدُ حافلٌ بهذا اللونِ من معجزاتِ الغدِ . ولا حاجةَ الى الاقحامِ والاقحامِ جهلِ وزلزلةِ في العقيدة حتى ولو كان بحسن نية .

وتعريفِ الاقحامِ هو أنْ نخشَرُ في نصٍّ معنًى أجنبياً بعيداً عن المعنى الأصلي . يُقْحَمُ في هواتِفِ الإعجازِ ليكونَ آيةَ اعجازٍ وَتَحْدُّ للقرآنِ للأجْيَالِ وهو لَوْنٌ مِنَ الافتراءِ على الله جل وعز . هذا اذا كانتِ النيةُ خيرةً واذا كانتْ شريرةً يقحمُ لكي يكونَ مدخلا . للطعنِ على آياتِ القرآنِ . لأن الدارسَ الأجنبيَّ إذا أُطْلِعَ بعد احسانِ اللغةِ العربيةِ ولم يجد سوى الاقحامِ والاقحامِ في أعلى إرادتهِ إفلاسٌ وآياتُ الله . والحمدُ لله نحنُ في غنى عن مِثْلِ ذلكِ وهنا أعلنُ إِنَّ الاقحامَ إجرامٌ في كَلا أمرٍ به سوءِ النيةِ وحُسْنُهَا لأنه افتراءٌ في افتراءٍ .. والله جل وعز لعنِ المفتريين .

لا لا إن آياتِ القرآنِ المجيدِ تنصُ أن القرآنَ مدخرٌ فيه معجزاتٌ وفيرةٌ للمستقبلِ منها عرفَ ومنها لم يعرفَ تأملِ قوله تعالى «فقد كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فسوفَ تأتيهمُ أنباءُ ما كانوا به يستهزؤون» ٦ — ٥ .

الا تجدُ أن الله يعلنُ أنَّ أنباءً من الحقِّ ستأتي وتكونُ حجةً علميةً رَاعِمَةً لآلَافِ المستهزئين الذين سارعُوا وكذبُوا بالحقِّ المتزلِّ من الله في الكتابِ من قبلِ الدراسةِ والبَيِّنِ .. وكان رسولُ الله تكادُ نفسه تذهبُ حسراتٍ مِنْ أَجْلِ تكذيبِها بيناتِ القرآنِ المجيدِ ، وهي الحقُّ الصرَادُ الصارِدُ ...

واراد الله أن يُطمئنَ قلبَ رسوله الكريمِ بآياتِ العلمِ والغيبِ المدخرين للمستقبلِ وأن يفهمُ أنَّ معجزاتِ القرآنِ التي يكذبونها سوفَ تأتيهمُ لأن لكلِ بناءٍ مستقراً ينتهي إليه أَجَلٌ تأملِ قوله تعالى «وكذبَ به قومكَ وهو الحقُّ قُلْ لستُ عليكمُ بوكيلٍ لِكُلِّ نبيٍّ مُستَقَرٌّ فسوفَ تعلمون»

٦ — ٦٧ .

طاقة الشمس وجزيرة العرب

كنت وأنا طالب في الجامعة الأزهرية أسمع علماء المُحدِّثين ، يذكرون قولَ رسول الله ﷺ . (لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً) .

وكان العجبُ العُجاب يأخذني ، لا من أن جزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً ، ومدناً وقرى وأريافاً خصبَةً خضراء في الأزمان الغابرة . لأن ذلك صارخ في ثلاثة شواهد .

١ — في وَحْيِ الله ، وكفى بوحى الله يقين برهان على قدم خصب جزيرة العرب ، وعمرانها المزدهر الممتد الى قرى الشام المباركة في الحقب الخالية فسورة سبأ فيها الكفاية ، عُذُّ إليها وتدبرُها ، وأطلْ وقوفك لديها وبالأحرى عند قوله تعالى في الآية الكريمة (وجعلنا بينهم ، وبين القرى التي باركنا فيها ، قرى ظاهرةً ، وقدرنا فيها السيرَ سيرُوا فيها ليالي وأياماً آمنين) ١٨ — ٣٤ فالقرى التي باركها الله هي قرى الشام والقرى الظاهرة ، هي قرى جزيرة المتقاربة والسير المقدر بالأميال والفراسخ أياماً وليالي هو آية سعة عمران جزيرة العرب وازدهار حضارتها ، ولفظة آمنين تدل على وجود الدولة القوية القادرة على فرص الأمن على انفساخ ممتلكاتها ... والحديث الشريف نفسه كما يدل على خصبها الآتي يدل على خصبها الماضي القديم وفي القرآن المجيد نصوص جمّة حول ماضي جزيرة العرب العمراني الخصيب ، وقد وجد علماء الآثار اعجازَ مدلولاتها في أطلال الآثار الشاخصة ، وحفرياتها الدفينة المكتشفة ، والتي لما تكشف ولا شيء أدل على قِدَمِ خِصْبِ الجزيرة العربية الأخضر القينان الرّيان من النفطِ نفسه المدخور في أعماقها .

أما كان بالأمس البعيد في علم الواقع الجيولوجي ، حقائق غناء ، وغابات شجراء ، ومروجا مزدهرة ومراعي خصبة طافحة ببوادر المواشي ، وشتى أنواع الحيوان . التي طواها الأمس البعيد في أعماقها ، لتعود اليوم أنضَرَ مما كانت وأسطع وأبهج ، « ذلك تقديرُ العزيز العليم » ...

٢ — وصارخ في ما ألف المؤلفون ، وكتب الأثريون ، ونَقَبَ المنقبون . حول ما كانت عليه جزيرة العرب في غابر الأزمان السحيقة ذات نضرة في الوديان ، وبسطة في العمران وغزّة في الملك ، وزينة في الحضارة ، وبهجة في العيش ، وسُمُو في الخلق وغزارة في العلم ، وتفوق في الأدب . ولعلك تحسب العلماء الذين عُتُوا بوصفِ عمران المدن التائهة في مجاهل الجزيرة

العربية ، وفي أوديتها القصية ، ولحج رمال رُبْعِهَا الخالي . والعلماء الذين فصلوا ما كانت جزيرة العرب من ترفي في الزينة وأسراف البذخ ، ومن غرائب مبدعات الفن في نحت صروحها في صميم جبالها ، وفي إطلالها الشاخصة ، قد مسها سحر الأساطير ، وأفانين عبقرياتها ، وبدع زخارفها ..

أجل تكاد تحسب ذلك لو لم يكن كتابها هم ذوات رَوّادها المكشفين والمنقبين . وهم على ناصية الاكتشاف ، ولما يتوغلوا ... والاكتشاف المطرد يكشف واقع ذلك من يوم الى يوم .
وها هي الدولة السعودية العربية العريقة — ما رعاها الله — قد انتدبت أعمق علماء الأرض — وأقدرهم على اكتشاف حقائق التاريخ وخبايا الآثار ونبش دفائن الكنوز . وسط كل ذلك للإنسانية المهذبة العاملة في موسوعة حديثة بعيدة عن هوش العنصرية اللعينة ، واحقادها السوداء وخبث مواءمراتها وتربصاتها .

وهذه الموسوعة ستكون الدفعة الأولى من ينبوع طافح يتفجر بحقائق العلم تفجيراً . ويكون على أثرها دفتات موسوعات إثر دفعات موسوعات ، كلها كنوز علم مرصودة للأجيال .. وها نحن أولاء في طليعة عهد دائع كله وقيد جد واقتدار لإعادة جزيرة العرب الى ما كانت عليه ولا عجب في ذلك إنما العجب أن لا يعود ذلك لأنه من لباء الوحي اليقيني وانما الوحي اليقيني لن تتخلف أبداً .

وهكذا كنت — وأنا في معركة طلب العلم — أفكر في الطريقة التي يمكن أن تعود بها الجزيرة العربية الى مروج وأنهار تفكيراً مقترناً بحتمية الإيمان بالعودة .

وان كنت أعلم ما أعلم من جفافها ومن قلة مائها وندرة آبارها الغزيرة وعيونها الجارية . لأني من ابنائها ...

وما أزال أذكر أننا وفدنا مرة الى جدة من المدينة المنورة وقد جهدنا في الطريق وخفنا وظمئنا .. فلما شاهدت (الكنداسة) لأول مرة والماء ينصب والسقاة يحملون رفاتهم (١) على عيدانهم متتابعين في زحام وجلبة خفق قلبي بالطمأنينة وتصورت نفسي حيال شلال عرم .. ورويت حتى نضح الماء من اظفاري بعد جفاف الطريق ونضوب مائه .

هذه الذكريات الظامئة هي التي جعلتني أفكر في كيفية العودة وأقول موقناً (لا مستحيل على الله جل جلاله قد يفجر من جبال جزيرتنا الينابيع ويجري من خلالها الانهار أما كنا نقول الى عهد قريب ..

(١) جمع رفة من رف الطائر بسط جناحيه ومثله حامل صفحتي الماء على عودة الوزيلة مراة تنحصر حرارة الشمس وتعكسها وتوجهها وزائل

أي الحيوانات التي سيخلقها الله ، لتحمل اثقالنا الى بلد لم نكن لنبلغه الا بشق الانفس بدلا من الابل والخيول والبغال والحمير . حين نتلو قول الله عز وجل (والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) ١٦ — ٨ .

ولكن لما هدى الله العقل البشري الى صنع وسائل النقل الحديثة من قاطرات وسيارات وطائرات وسواها ، فهمنا مدلول الآية الكريمة وانكشف سر اعجازها المدخر ... وفي هذا العصر استدار الفلك وأصبحت جزيرة العرب على قاب قوسين من تحقيق نبأ رسول الله ﷺ لأن فحول العلماء المخترعين في كل بلد ، أخذوا يدرسون باهتمام بالغ الوسائل العلمية التي بها يفيدون من طاقة الشمس الحرارية في التنمية الحضارية المتطورة عين افادتهم من الكهرباء جمعا وتخزينها وتصنيعا ..

ويتم ذلك اذا وصلوا الى اكتشاف (الوزائل) الحديثة التي يمكن أن تجمع أكبر كمية من طاقة الشمس الحرارية المتفرقة جمعا حاصرا لها وخازنا وقادرا على توجيهها لناحسة بعينها ولغاية بعينها وحجزها لمدة بعينها . وعندئذ يحول الماء الى طاقة بخارية وطاقة البخار هائلة جداً . أما تشاهدها تخر بأطواد البواخر في لحج البحار ، وتسابق البرق وهي تسوق أكبر القاطرات وتدمر بأصابعها أضخم المكثات في قوة الأعصار ودورانه ... والإفادة الكبرى من طاقة الشمس تكون في مواطن قوتها الكبرى كجزيرة العرب وبالحرى تجد لعلوها . وكل البلاد الواقعة في خط الاستواء وتقام على شواطئ البحر الاحمر عمائر (المشمسات)^(١)

ومها يكن فالطاقة البخارية لا يمكن أن يستهان بها في الصعود الحضاري المتطور الصاعد يكفي أنها يمكن تحويلها الى كهرباء بواسطة المولدات الديناميكية التي تدار بواسطة البخار أبان تحليقه الصناعية .

والحمد لله فقد ظهرت بوادر الإفادة الجادة من حرارة الشمس المتطيرة في العوالم بقوة هائلة كبرى قبل أن تنتهي طاقة النفط في يوم ويهلك العالم أو يتصدع .

أجل ظهرت لدى بعض الدول المتحضرة بصورة رائعة قوية في هذه العماثر الضخمة التي تقام لذلك . حتى في البلاد الخصبة الوفيرة المياه للإفادة التجارية ولتخزينها وعرضها في الأسواق كما تعرض بطاريات الكهرباء .

وها نحن أولاء نشاهد العلماء الشمسيين المتفوقين النوابع يتكاثرون وأقبل عليهم الطلاب من

(١) المشمس هي عمارة مصنعة بالوزائل التي تعكس حرارة الشمس للإفادة منها في تحويل ماء البحر الى بخار .. اذا حصر في بركة مصنعة خاصة كذلك .

كل البلاد للدراسة والتخصص وتحصيل معارفها الحديثة التي تربوا يوماً فيوماً ولكي يطبقوها في أوطانهم اذ اعدوا إليها وبنهضوا بها .

وكنت قرأت أن جزيرة العرب هي من لب المواطن لتخزين الطاقة الشمسية وعاصمتنا الرياض وهي أعلى مكان صالح لإقامة عمائر التناول من طاقة الشمس جميعاً وتخزيناً وتصنيعاً .. وكأني أشاهد قادة نهضتنا في متعة بالغة وهم يشاهدون ما تحقق على أيديهم مما فكروا فيه أمس فأتموا تشييد عمائر المشمسات على ضفاف البحيرات الصناعية وعلى شواطئ البحر الأحمر وقد حشدوا فيها فحول العلماء الشمسيين المخترعين فاجروا مياهها المقطرة العذبة انهاراً غزيرة الى كل فيافي جزيرتنا العربية القاحلة فاستحالت مروجاً خضراء وحدائق غناء وربوات شجراء .

وحينئذ يبصر الناس جميعاً عياناً ما أخبر به ابن الجزيرة البار نبينا محمد — ﷺ — بعد ما كانوا يسمعون به بيانا ...

ومهما يكن فاللدول كافة لو لم تجند كل عزائم قادتها المفكرين وكل عبقریات المخترعين لتحقيق الإفادة السريعة من طاقة الشمس الحرارية المبعثرة أفادة مماثلة لطاقتي البخار والكهرباء فان انفاذ طاقة النفط من الأرض يفض على وجودها الحضاري ويسكنه الزمهرير وتجلد الحرارة . وهذه دولتنا السعودية الرشيدة ، وعلى رأسها الملك المفدي المحبوب خالد بن عبد العزيز قد افتتح مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، فكان فاتحة أعمالها دعم مؤسسة الدرعية للإفادة من طاقة الشمس الحرارية وإرسال نوابغ طلاب العلوم الحديثة للتخصص في علوم الطاقة الشمسية .

ومهما يكن فإني أعتقد أن البهجة التي أحسستها أمس ، وأنا أشاهد الماء الذي تخيلته دافقا من كنداسة جدة القديمة على ضالته لا يُعد شيئا بالنسبة لما كان في فاتحة هذه النهضة وما يكون يوم يتم تشييد العمائر الشمسية ويومه آت قريب .

وأحسب المواطنين العالمين ، في ذلك اليوم العظيم لأبد أن ينهضوا لتجديد تضحيات ابطال هذه النهضة وتكريم أنجمها .

ولأ يرتاب أحد في أن أول أوائل أبطالها المحاصرين ونجم أنجمها الذي بتضحياته تحققت النهضة الحديثة قلب جزيرة العرب البطل الذي بقر بطنه في احد معاركه لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف فشدها بجزام وظل يكافح حتى أحرز النصر ...

ذلك هو صَقْرُ الجزيرة القن الملك عبد العزيز آل سعود فيا له من صقر أطلَّ الجزيرة بجناحيه
من إيمانٍ ومودةٍ يقظةٍ ، ووحدةٍ وقوةٍ وتفاهمٍ صدقٍ وذكاءٍ عِلْمٍ وسُودَدَ إسلامٍ ألا إنه البطلُ
الذي تمجده الأجيالُ الحديثَةُ الذي تستمتعُ بنعمةِ الوحدة والعلم والأدبِ والأمنِ والإيمانِ ومن
أجل ذلك ذكراه ستظل على أفواهِها ترنمةُ فجرٍ وكلمةُ شكرٍ وحمداً لله الذي تفضلَ النعمةَ
بعبادِهِ على يديه رحمه الله رحمه الله .

تحدّيات مُعجّزات القرآن الكريم

١ — كم أتمنى أن تكشف حقائق العلم الذي هم بموجبه تكوين الكائنات المادية والطاقة العاقلة وسواها .

٢ — كم أتمنى أن يطلع البشر كل البشر على وقائع تاريخ الامم وافرادها كما حصلت بالذات منذ بداية أحوال الانسان الفطري الى نهاية الانسان الحضاري الحديث . المحلق بمكوكه بين كواكب السماء .

٣ — كم أتمنى أن تتجلى كيفية بداية تكوين الكائنات وكيفية نهاياتها وما صحب ذلك وما يكون وراء ذلك .

٤ — كم أتمنى أن تنكشف عوالم الطاقات كافة العاقلة وغير العاقلة ، والمهمة وغير المهمة وسننها الظاهرة وسننها الخفية .

٥ — كم أتمنى أن يعلم البشر جميعاً حقائق الوحي الإلهي كما بلغه الأمين جبريل الى رسل الله كافة دون تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان .

٦ — كم أتمنى أن يخترع المُخترعون آلاتٍ تفصلُ لُججَ الأصواتِ المتشابهة المتداخلة في أبعادِ الفضاءِ وتفرز كلَّ صَوْتٍ وتعزوه الى صاحبه دون اختلاطٍ وتداخلٍ وغمغمةٍ وجمجمةٍ . وحينئذ نسمعُ أصوات الشعراء والخطباء والكاتِبين نصوص الكتب المقدسة تسمعها دون زيادة أو نقصان .

وحينئذ نلمس أضافات الدساسين ومفتريات المؤلهين ودس الأساطير والوثنيات والشرك في كلمات الله ، لمس الخواص الخمس .

٧ — وكم أتمنى أن يتطور صنعُ المكوك الفضائي حتى تبلغَ سرعته سرعة الضوء أي ستة وثمانين ، ومائة ألف ميل في الثانية الواحدة .

وأن يكبر حجمه حتى يضارعَ المنظادَ ليطوفَ حول أنجم المجراتِ بأكبر عددٍ من الرواد . هذه أمنياتي بكل أشواقٍ ولهفاتي لعلماء الأجيال المقبلة الأمانة على حقائق العلم اليقيني وإذا لذلكم أن تسألوني لماذا كانت هاتيكُم الامنياتُ هي كلُّ أشواقٍ ولهفاتي كان جوابي برهانه صارخ من عماق ضمير الكونِ ومتفجّر من ينابيع وحيِ الله المعجز المتحدي وصدى لشرف العلم

في مجال مجموعتي النفسية . لأنَّ بذورَ أغراسِ العلمِ اليقينيِ منثورةٌ في خصوبةِ وَحْيِ الله القرآنِ المجيدِ فيقْبِنُهُ يَقِينُهَا وَاذَا التَّقْيَا تَفْتَحَتْ وَرُودُ المَعْرِفَةِ بِنِضَارَتِهَا وَأَطْيَافِهَا وَثَمَرَاتِهَا النَّاصِجَةِ وَأَضْوَائِهَا الْبَاهِرَةِ . والالتقاء يكون بِعَمَلِ العلماءِ الْأَمْنَاءِ عَلَى الجِهَادِ فِي كَشْفِ حَقَائِقِ المَعْرِفَةِ .

لذلك كانت أمنيائي هذه هي ذات أمنيات العلماء في كل عصر ومصر . ناهيك بعلماء الحضارة الحديثة ، فهم يلتهبون أشواقاً ودراسات وتأملات من أجل كشف الأمنيات التي بدأت بها كلمتي هذه .

ألا إِنَّ كَشْفَ حَقَائِقِ المَعْرِفَةِ اليَقِينِيَةِ فِي حَضَارَتِهَا الْحَدِيثَةِ الرَّاقِيَةِ ، كَشْفٌ حَتْمِيٌّ لِتَحْدِيَّاتِ مَعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .

كما إنها أمنيات علمائنا المؤمنين بخاتم الكتب السماوية القرآن المجيد ، أن يكشف الله لعلماء الحضارة الحديثة مغاليق علوم الكائنات المنورة فيها .

والسبب أن علماءها المؤمنين متأكدون أن العلماء الآخرين لما يكشف لهم بعد تحديات معجزات القرآن العلمية . اذا كشف لهم ذلك حتماً يؤمنون لأن العالم الأمين المتحرر اذا عرف الحقيقة أعلنها وآمن بها وجاهد من أجلها وضحي . والواقع أن معارف تحديات معجزات القرآن المجيد ما تزال بكرةً بكرةً لم تفتح كل أغلاقها . والعلماء ما يزالون مستغرقين خشوعاً حيال شواطئِ بَحَارِهَا الْعَمِيقَةِ ذَوَاتِ اللُّجْجِ ..

وأحسبك يأخذك الطرب والأسى

١ — الطرب حيال تحديات أعجاز القرآن المجيد الذي يزداد قوة وعزة وانتصاراً وجدة . كلما ازداد العلم قوة وعزة وانتصاراً وجدة فالعلم هو النور الذي يريك الكوكب الذري وهاجا في بحر الظلمات . أي يريك القرآن ساطعاً على عرش الأعجاز فوق أعلى منارات الحقيقة على الإطلاق .

٢ — والأسى حيال العلماء الآخرين الذين يسارعون فيعرضون عن الإيمان بخاتم الكتب السماوية شأن الاغبياء المقلدين الامعات المهاويس . وذلك قبل الدراسة والتبين .

ومها يكن فانصرافهم عن الايمان مع تحديات معجزات القرآن الساطعة الصارخة أن هو الا عصبية لعنصرياتهم وغواية لإنفاذ مكابدهم ، وكفر برسالة أرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . وحرب لله رب العالمين وخاتم رسله محمد ﷺ . ومحارب الله حتماً مهزوم شرانهمزاً أما آيات الله فستظل في كل عصر ومصر معلنة غلبة منصوره . وها هي عاقبة المكذبين مشاهدة في مهالكهم ورم جثثهم .

« قلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » ٢٧ — ١٤ .

وهنا أعرض الأسباب الحقيقية التي صرفت فريقاً من علماء البشر عن الإقبال على دراسة معجزات خاتم كتب الوحي المتحدي . وهي أسباب عدة وإليك بمحملها .

السبب الأول

انهم درسوا كتبهم الدينية المقدسة فوجدوا حشوها الاساطير والترهات وخرافات الوثنية والإشراك فحسبوا أن كتب الأديان المقدسة من هذا القبيل فاعرضوا عنها جملة . وهذا الاعراض جنائية ومسؤوليته العلمية كبيرة جداً . لأنه إعراض عن وحي الله العلمي اليقيني فالإعراض عنه قبل الدرس مسؤولية خطيرة ، وجريمة منكرة .

السبب الثاني

الاحاد : والعالم الملمد الذي لا يؤمن بوجود الله رب العالمين فكيف نريد منه أن يؤمن بأن خاتم الكتب السماوية هو كلام رب العالمين . لا بد من تقديم برهان وجود الله أولاً . والله في هذه العوالم كتابان دالان على حقائق وجوده جل جلاله كتاب الكائنات وهي صارخة دالة عليه وكتاب الوحي المعجز وهو صارخ دال على وجوده وزيادة على ذلك دال على صدق رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه . والاحاد ظلام حالك مسدل على مجموعة نفس الملمد فلا يجعله يبصر حقائق العلم اليقيني المشتمل على أسرار تكوين العوالم فيؤمن بأن الله هو مكونها بعلمه وقدرته وارادته . وكذلك لا يجعله يبصر حقائق العلم اليقيني المشتمل على إعجاز القرآن المتحدي . ومتى عمي العقل الانساني عن مشاهدة أضواء هاتين الحقيقتين فلا يرجى منه إيمان يقيني علمي بوحى الله القرآن المجيد .

السبب الثالث

اقتصار البحث العلمي على ظواهر الاشياء ومتى وقف العقل العلمي الباحث على دراسة ظواهر الأشياء فكيف يمكن أن يهتدي الى كشف خفايا المعجزات المكنوزة في آيات القرآن المجيد . أو المكنوزة في حقائق أفراد الكائنات الا ترى أن العلماء لو لم يتابعوا دراسة حقائق

انفلات الذرة لما اهتمدوا الى خفاياها ولولم يهتمدوا الى خفاياها لما علمنا أنها تشتمل على اجزاء وان كل جزء هو أصغر من الذرة .. بل لما ظهر أعجاز القرآن القطعي ، وظهر أن الذرة في موازين مثاقيل العلم .. لها ما هو أصغر منها كما جاء في وحي الله « مثقال ذرة أو أصغر منها » كما تحقق بطلان قول فلاسفة اليونان القدماء أن الذرة هي أصغر ما في الوجود المادي وأنها الجزء الذي لا يتجزأ .

إذن فالسبب في جحود أن القرآن المجيد هو كلام رب العالمين وأنه غير مشتمل على دلائل علمية يقينية تكشف لعقل الانسان أنه كلام رب العالمين . هو انصراف العلماء العباقره من الاجانب عن متابعة دراسة معجزات بصدق وإخلاص والعلماء الذين ينصرفون عن كشف المعجزات المتحديات في آيات القرآن المجيد قلما يؤمنون . أما الاستماع الى تلاوة آيات القرآن بخشوع وانكسار رجاء البركة والقربى فانه غير متابعة الدراسة الكشافة الامينة ومتى انصرف الفكر العلمي البحوث عن متابعة الدراسة الكشافة الامينة فلا جحود الجاحدين ان القرآن ليس هو من كلام رب العالمين اذن فالانصراف عن كتاب رب العالمين هو أثر من الاقتصار على دراسة ظواهره . واني لك مثلاً أن دراسة الظاهر المائل أمامك محال أن تكشف الحقائق الخفية .

هب أنك جلست حيال أكبر رئيس في الأرض وأخذت تتحدث إليه وأنت تفكر فيه وتنظر اليه . فانه محال أن يخطر في بالك أنه كان علقاً بين ملايين العلاقات من مني بمنى . وأنه إتصل ببويضة والدته ثم مرت به الادوار التي تمر على إنسان في الرحم . ثم ولد وحفظ كما يحفظ كل وليد وانه قد مرت به الادوار الحياتية التي تمر على وليد منذ دخوله لأول مرة مدرسة حديقة الاطفال وقد تطورت به الحياة حتى أصبح زعيماً عظيماً .

أجل أنت لا تفكر في كل ذلك لكي تتخذ لنفسك عبرة إيمان وفكر وعلم بل لا يدور في خلدك بعض ذلك .

والسبب أنك تصرف تفكيرك وأنت حiale وناظر إليه في الوسائل التي يمكنك أن تفيد منه لنفسك إن كنت اثنائياً . أو لا منك وابناء أمتك ان كنت اجتماعياً . وللانسانية كافة من أجل سلامها وهداها وتوحيد كلمتها وكف أذى المجرمين الممزقين عنها .. اذا كنت انساناً عالماً سليماً مؤمناً ..

هذا الوضع الذي مثلته لك هو حال أكثر العلماء وهم ينظرون الى ظواهر عوالم الوجود هم يكتفون بأوضاعها القريبة والبعيدة والصغيرة والكبيرة وما صغر وصغر وما كبر وكبر . دون التفكير في أسرارهم حقائقها وكيف وجدت ودون التفكير في أسرار حقائق موجدتها وصفاته . وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل وهم من جراء استغراقهم في ظواهر الكائنات ودراستها والاهتمام بها

في عَمى عن اسرار وجود الله خالقها العظيم وهذا العمى هو الذي يصرفهم عن التعرف اليه في حقائق كائنة خاتم الوحي الالهي كما يصرفهم عن التعرف اليه في حقائق أكوانه التي كونها بعلمه وقدرته واراادته .

السبب الرابع

خضوع المجموعة النفسية للغريزة أو العاطفة لأنهم شبهوا مجموعة نفس الانسان بالمملكة فلا بد لها من حاكم مطاع تكون له القيادة والأمر والنهي والأخذ والعطاء أي تكون له السلطة التنفيذية على كل افراد المجموعة النفسية وأكثر البشر مهيمن على أفراد مجموعتهم النفسية الغريزة أو العاطفة وهؤلاء إن يكونوا من سلائل أديان وثنية أو مشركة فلا رجاء فيهم أن يؤمنوا بخاتم الكتب السماوية . ولو انكشفت لهم في إثناء دراساتهم براهين أن العلم اليقيني الناطقة أنه كلام رب العالمين .

وأما العلماء الذين تسود مجموعاتهم النفسية حكومة الفكر والعلم فانهم يؤمنون اذا انكشفت لهم معجزات آيات القرآن المجيد ، وقد يتطوعون للدعاية له لدى الأوساط العلمية احتسابا لوجه الله رب العالمين .

ومتى كان العلماء خاضعين لحكومة غرائزهم وعواطفهم فانهم محال أن يؤمنوا بالقرآن المجيد لأنهم يكونون اسراء موثوقين نفسياً لها .

ولا حيلة لهم في تأييد الحق . ولا لهفة ولا وثيقة ولو عذبوا عذاباً يماً في نار جهنم ومع ذلك اذا فرض أنهم عادوا الى حالهم وأخرجوا من نار جهنم لعادوا الى كفرهم وجحودهم واعراضهم عن دراسة القرآن المجيد . وصدق الله العظيم في وصف هؤلاء الغريزيين المصرين على الكفر والالحاد والشرك والوثنية « ولو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه » .

ونهاية الامر فنحن لا نخاف العقل ولكن نخاف العاطفة المنحرفة والغريزة الهائجة القلقة ولا نخاف العلم ولكن نخاف الجهل . ولا نخاف التجديد بل نخاف الجمود وكم كم من لبشر النفوس الساذجة الضيقة التي تخال نفسها مفكرة حرة اذا ألحدت .

القيّد افسح من عقول عصابة زعمت فكاك العقل في الالحاد

عقيدة كل امرئ شريكة حياته

الا ترى كل امرئ مثقف حر متى شب شبابه ونضج عقله أخذ يفكر في الموضوعات التي تشغل البال وتوطد النعمة وتسمو بالحياة سموها العالي الكريم ويتأملها بوعي الفكر وحرية النقد وإصالة الرأي وصدق الحس ليميز بين محاسنها ومساوئها ولكي يتحرى كل ذلك العقيدة الاثيرة التي يرضى بها أن تكون شريكة حياته ، وباعث الهامه ومناط أمنيته وأعماله .

أجل هذه هي اتجاهات كل شاب مفكر حر يدري كيف يختار عقيدته التي هي شريكة حياته الابدية يختارها بنور العلم وبصيرة الفهم وحرية النقد ، وتحطيم التقاليد المتخلفة .. !!
وجملة هؤلاء الشبان المثقفون ثقافة جامعية ويملكون الملكات العلمية الحرة القادرة أن تختار الأكمل والأصلح والأخلد والأنفع والاسمى من العقائد المنتشرة في الدنيا .. أجل يختارونها بنور العلم وبصيرة الحكمة وصحة الرأي وطول الاناة والتعمق في البحث النافع الناضج الحر .
بل قل أنهم سوف لا يختاروا الا العقيدة الصحيحة المرتكزة على أصول البراهين العلمية اليقينية الصريحة التي يعتزون بها أن تكون شريكة الحياة الابدية .

وتوفيق الشاب الجامعي المثقف ثقافة حرة عالية الى كشف عقيدته الايمانية التي تصلح أن تكون شريكة حياته يسكن إليها وتسكن اليه ، وتأخذ في أعماق جوانحه منصة الحكم . ليس سهلاً أبداً لأن مثل هذا الاختيار العالي المجيد لا يكون الا برعاية الله وتوفيقه والقدرة على قيادة المجموعة النفسية بالعقل والعلم أي لا يكون الا بعد جهاد طويل وامتحان دقيق .

ولو لم يكن الامر كذلك لما كان الاحاد والانحراف له سوق بين الشبان في اوروبا وامريكا وسواهما . والقرآن المجيد سيد كل الحضارات العلمية اليقينية موجود ويتلى بينهم ، ولا يفكرون أن يدرسوا معجزاته العلمية لكي يؤمنوا الا القليل من الفلاسفة والمفكرين .

ولا شيء في اقدار العلم وإجاده ولا اشرف ولا أعلى من الجهاد الموجه لمعرفة خالق الوجود الحق المعرفة العلمية اليقينية الهادية الى صحة الايمان بالله الخالق جل وعز . والسبب أنه جهاد الهداية جهاد النور جهاد الخير جهاد السعادة الابدية . بل قل أنه جهاد العلم والفكر والحق والبحث .

وهذا كما هو مؤكد في العلم الكوني العام مؤكد في صحيح وحي الله اليقيني فكر جيداً في الآية الكريمة .

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين» ٢٩ — ٦٩

وهذا الجهاد هو عين الاحسان الذي ينبل الايمان الصحيح ومعية الله . وناهيك من خطر العقائد المنتشرة في الدنيا ، لأن الدنيا تشتمل على ألف عقيدة وعقيدة مزيفة . وان كل عقيدة يعرضها أهلها بأفتن زينات العلم الزائفة وأروع مطالع الفكر اللامع وأشرف مفاتن الاباحة . من أجل ذلك كان اختيار العقيدة العلمية اليقينية الصحيحة لا بد له من النظر البعيد والتأمل السديد والدرس الطويل ، لأن اختراق مفاتن الغشاوات لأجل طرح الزيف والخديعة والالتباس ليس هو لعة غسل بل جرعة من الصاب والحنظل . واذا كان المهتم كثيراً ويجهد طويلاً لدى اختيار شريكة حياته خشية المزالق والمتاعب والاهوال في المستقبل . وقد يستعين بأهله وأصحابه لاختيار الانسب والاجدى والاصلح والاحق ، خشية أن يسقط على جيفة مغلقة بأفواف ومزدانة بعقود اللؤلؤ والمرجان . وكم يوارى تألق الجمال الفتان فتكات الوحش الكاسر .

فيا رب وجهه كصافي النخير تشابهه حامله والنمر
ورسول الله حذرنا من ظاهر تهاويل الجمال في المرأة الحسنة ذات الأصل الرديء السيء بقوله
ياكم وخضراء الدمن المرأة الحسنة في المنبت السوء .

فاذا كان هذا التحذير جاء في اختيار شريكة الحياة من النساء التي يمكن مفارقتها بالطلاق دون أي ضرر وتبعة اذا تأكدت ضررها فما بالك بالعقيدة التي هي شريكة حياة الانسان الأبدية التي لا تفارقه تبعاتها ، حتى بعد انتقاله الى رحاب العالم الثاني ، وكم من اهمال ومصائب تنزل بالمرء اذا كانت عقيدته اشراك أو وثنية تجعله بعيد غير خالقه من روح ونار ونور وبشر وحجر . أو تجعله يكفر بوجود خالقه بالمرء أي يلحد .

واذا كان الامر كذلك فكفم هي الأهوال والافداح التي تنزل بالمرء وتمزقه وتجعل كل حياته تبعات مخيفة من انحراف عقيدته .

واذا رأيت ملايين البشر يزهدون أنهم اتخذوا شريكات حياتهم من عقائد مآتاهم من كائنات هذه الأرض أو مما حولها من عوالم النجوم والاقمار والشموس . فان زهوهم نذير شؤم عليهم لأن خالق الوجود الحق هو الله رب العالمين اذن فالعقيدة الصحيحة محال أن تكون متعددة أجل لن تكون متعددة فان ذلك محال ومحال . ان هي الا عقيدة واحدة أنزلها الله في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد كما أنزلها على الرسل جميعاً .

ويعتز الشاب الذي يدين بالعقيدة الصحيحة لأن براهينها علمية يقينية قائمة فيها . أنظر قوله تعالى .

«ومن يدع مع الله آلهة آخر لا برهان له به .

«ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» . ١٠١ آل عمران

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» محمد ٦٩ .

أيها الشاب المثقف احذر ان تهيمن عليك من طريق العاطفة أو طريق الغريزة عقيدة ظنية منحرفة تُؤدي بك في دنياك وآخرتك واحذر أن تفتن بالشبان القطعان الذين ينساقون وراء العقائد الظنية المنحرفة احذر وتفكر في قوله تعالى .

«وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يُغني من الحق شيئاً» ١٠ — ٣٦ .

والحق لا يوصل اليه بالظنون والاهام والاساطير بل بالعلم والبرهان وتأمل في قوله تعالى .

«يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً فينا» ٤ — ١٧٤ .

أجل أجل يا أيها الناس افيدوا من هذا البرهان المتزل عليكم من ربكم قبل فوات الأوان وقبل أفلات الفرصة . افيدوا منه لانه البرهان المشيد على قواعد العلم اليقيني وعلى نور الحقيقة الأبدية .

البرهان الذي يقدم للإنسانية المثقفة الرائدة عقيدة الايمان اليقيني العلمي التي هي شريكة

الحياة الأبدية الماجدة التي تقدم لمعتنقها نور العلم وجلال الحق وسمو الانسانية وثقة التفاهم .

وماذا يريد الانسان من خير وسعادة ووعي وفهم أكثر من ذلك .

الإسلام هو الأصل في فطرة الخلق

افغير دين الله يبغيون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون» ٨٣ — ٣ .

حذار حذار أن نتصور أن أي كائن من كائنات المادة أو من كائنات الطاقة غير مسلم سواء أكان مدركاً لذاته وأعماله وذوات من حوله وأعمالهم أم غير مدرك لشيء من ذلك .
والحق أن كل كائن قبل خلقه ، وبعد خلقه هو مسلم لخالقه بالقضاء والقدر ، والخلو والايجاد والتصرف المطلق . مسلم مسلم لكل كائن في هذا الوجود .

فكر فكر في تكوين الانسان الالكتروني اليس هو مسلم لصانعه الذي أبدعه كما ارتأى .
فكيف لا يكون الإسلام هو فطرة تكوين الكائنات كافة . ما دام الله هو الذي كونهم كما أراد مكرهين ولا حيلة لهم ، ومحال أن تكون لهم حيلة أو شبهها .

أجل كون الله الكائنات مسلمة وفق ارادته أي مكرهة . في نسق تكوينها وأوضاعه وسنته «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» ٨٢ «فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون» ٣٦ — ٨٣ .

ولا ريب أن المخلوق الذي آتاه الله حاسة الإدراك والمعرفة لذاته ولذوات الآخرين إذا تخيل أنه غير مسلم يكون في عقله دخل ، وفي علمه نقص . وفي عقيدته وهم وتقليد وزندقة .

وان كان يملك عقلاً وعلماً وعقيدة هو بلا ريب سقط عقل وعلم وعقيدة هو أمة وإن أخذ وأعطي ومات وإن راح وغدا ..

ولم لا يكون كذلك ما دام عقله وعلمه وعقيدته لا يقدره التمييز بين حقائق الأشياء اسمع اسمع هذا مجنون آخر يعاند وينادي بنفسه ابليس وغرور كبرائه وخباثت لعناته «أنا غير مسلم أنا غير مسلم» ..

إنها فتنة الحاد ، وشعلة ثورة ومسة شيطان ولو كان ذا سمع لسمع أعضائه وجوارحه تسخر منه ومن صغار تفكيره وشروبه ومغالطته وسمع ضمير الكون يهيب به ساخطاً أنت مسلم أنت مسلم شئت أم أبيت ..

وأنظر ثمة تجد مجنوناً آخر ، قد اختلطت عليه فوارق المعرفة فحسب اسلام الكائنات

التكويني الفطري لخالقها هو ذاتُ الاسلام الاعتقادي الموحى في الكتب السماوية التي أوحاها الله الى رسله صلوات الله وسلامه عليهم . فأخذ يدلّل أنه غيرُ مسلم بقوله . « أنا حُرُّ التصرف في إرادتي ان شئت كنت مسلماً ، وان شئت كنت غير مسلم . فكيف أكون مسلماً على الرغم مني » .

ويحك هذه الاكوان كافة تسخر منك وتعرض عنك صارخة . ويليكَ ألف ويل . فكر هل وجدت بارادتك هل عينت زمن بدايتك في هذه الدنيا وهل علمت كيفية نهايتك منها وعلى أية حال هي اقدارك .

اذن فكيف لا تكون مسلماً لمن فرض عليك كل هاتيك الاقدار التكوينية فرضاً لا خيار لك في شيء منها . نعم أنت مخير في الاسلام الاعتقادي اذ فطرك الله حر الارادة تستطيع أن تسلم وأن لا تسلم .

أجل أنت مخير ما دمت تستطيع أن تفعل كل ما تصبو اليه وتهواه ايّا كان ما تصبو اليه وتهواه وتستطيع أن تختار العقيدة التي تطمئن اليها فؤادك ولو كانت أسطورة خرافة أو جحود الحاد أو انحراف عن كل إيمان .

أنظر أنظر هؤلاء افراد أنواع الحيوانات الذين يشاركوننا في الجنس لا حرية مدركة لهم في تصرفاتهم وأنت ذاتك الا ترى أن أكثر ما أنت فيه من تكوين ليس لك فيه من خيار . والسبب ان الوعي العلمي يكون مآتاه من العقل والحيوانات تسير بوعي الغرائز وهو الغرائز الهامي أودعه الله في صميمها وان كانت لا علم لها به .

أما الانسان فانه مفضّل في صميم تكوينه على اشياء لا خيار له فيها . ولكن يمكن أن يحيط بها علماً . فهو لم يعين يوم وفوده الى الدنيا والمكان والزمان ، ولا نسق تكوينه . ولكنه يمكن أن يعلمه . ذلك لأنه يحس أنه مجبر في ذلك كأي حي من الاحياء .

إذن فالانسان مختار من أعماله الارادية التي لا بد أن يحاسب عليها أجل يحاسبه الله على اختياره لغير الاسلام العقائدي . ولكن لا يحاسبه على إسلامه التكويني لأنه لم يدخل في دائرة إختياره الارادي أبداً .

فيا انساني العزيز حذار حذار أن تختار نفساً غير الإسلام لمن فطرك وخلقك وفي أي صورة ما شاء ركبك وحرام عليك بما منحك الله هذه الحرية الارادية الجزئية إمتحاناً لك أن تلحد أو تعبد سوى الله مما هو بعض خلقه .

انا لا ادري كيف تلحد أو كيف تعبد غير الخالق وترغمُ أنّك غيرُ مسلمٍ وأنت بينَ إسلامين ليس لك في تركِ أحدها عذرٌ .

١ — الاول الاسلام العام الشامل لكل كائن من الأكوان وللأكوان الحرية في مخالفة هذا الإسلام لا يخالفه وهو فوق ارادته الحرة العالمة .

نعم يستطيع أن يخافي الإسلام العقائدي الذي جاء به خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد يخافيه بغير برهان وعلم وحق ومحافات خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد بغير برهان وعلم وحق جريمة كبرى وتبعيتها عنيفة وعقوبتها غضب الله والخلود في العذاب لأن من ترك الإيمان بما جاء به خاتم رسل الله من وحي فهو لا بد أن يكون بكل تأكيد مُلْحِداً أو وثنياً أو مشركاً .

وفي ذلك البلاء كل البلاء وأتل أيها الانسان المفكر العالم هذه الآية الكريمة تلمس عظمة الرسالة التي حملها إليك خاتم الرسل السماوية سيدنا محمد ﷺ .

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ٧٠ — ١٥٨ .

هَلْ عَرَفَ الْبَشَرُ عَقِيدَةَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحَةِ

في غُرة ذِي الْحِجَّةِ عام ١٤٠١ هـ رحلتُ الى عاصمة ماليزيا «كوالالمبور» ونزلتُ في فندق ملايا في الطابق الخامس في غرفة مظلة على الشارع الشرقي .. وشاهدتُ في هذا الشارع معبداً وثنياً ذا بُرجٍ عالٍ جداً كله ملبسٌ بشُخصٍ من البشر ومن بعض الحيوانات المختلفة وهي متلاصقة متراخمة بالاكتاف والأيدي ..

وبعد قليلٍ سمعتُ دَقَاتِ ناقوسٍ متتابعةٍ فعَرَفْتُ أنها دعوة الى المعبد للممارسة العبادة فترلتُ وقصدتُ المعبد للنظر والدرس والمعرفة وشاهدتُ جماعةً وقوفاً أمامَ البابِ الخارجي ، ينظرون الى داخلِ المعبدِ بعضهم مسلمون ماليزيون وبعضهم بوذيون صينيون فوقفتُ حيثُ وقفوا وكانت واجهةَ المعبدِ التي ترى من البابِ الخارجي مكشوفةً كلها لا جدارَ لها ولا حَواجزَ ، وكان المعبدُ مشيداً في ساحةٍ غير واسعةٍ وشاهدتُ قريباً منَ البابِ في الساحةِ التي تليه ناراً يشعلونها بالمازوتِ وكانت النارُ على رأسِ قاعدةٍ تزيدُ قدراً ذراعٍ على المترِ .

وكان الواقِدون للعبادةِ واداءِ الصلاةِ كلَّ واحدٍ منهم يُحييها بصبِّ بعضِ قطراتٍ من المازوتِ من إبريق موضوع بجانبها لتظل مشتعلة .

أمّا داخلَ المعبدِ فهو غيرُ واسعٍ وكان في وسطهِ دكةٌ مُستطيلةٌ شيئاً ما عليها بقرةٌ منحوتةٌ من الرخامِ مخططة بيبعض الألوانِ ، وعيناها مفتوحتان كبيرتان وبجانبها بعضُ الأصنامِ .

وكانت أرضُ المعبدِ من الرخامِ وترى العابدين جالسينَ على الأرضِ دونَ فرشٍ بجوانبِ الجدرِ ، وكان الوسطُ خالياً من الجالسينَ وكانوا جميعاً ينظرونَ الى القاعدةِ القائمة عليها البقرةُ والأصنامُ ولكن كانت القاعدةُ مُغشاةً بسترٍ من المخملِ الأزرقِ إذا ازيحَ ظهرتِ البقرةُ والاصنامُ .

وكان جلُّ الوافدين للعبادة والصلاة من البنغاليين وسواهم من الهنود . وكانت تحيةُ كلِّ واحدٍ منهم أن يمدَّ كلتا يديه مُجمعتينِ تجاهَ البقرة والأصنامِ مع انحناءِ الطاعة والخشوعِ . ودخلتُ المعبدُ ولم يحل أحدٌ دونَ مَنْ يرغبُ في الدخولِ كأنَّ المشرفينَ على المعبدِ يرونَ ذلكَ لوناً من الوانِ الدعاية والانجذابِ .

والعجيبُ أنك تشاهدُ على كلِّ ساريةٍ تمثالَ فتاةٍ حَسَناءَ لها أيدٌ أربعةٌ يَدانِ مرتفعتانِ الى السَّماءِ ويدانِ منخفضتانِ الى الأرضِ ، وبعضُ صورِ لألهةٍ متخذةٍ من البشرِ ولم أدرِ الى أيِّ شيءٍ ترمزُ .

وكان في صدرِ جدارِ المعبدِ حجرتانِ لا يدخلُهما إلا مَنْ كان من أهلِ الدينِ حسبما تصوَّرتُ لأنني ما سألتُ أحداً عن ذلك . وكنتُ أشاهدُ بعضَهم يُقبلُ الأرضَ قَبْلَ الدخولِ وبعضهم يدخلُ دونَ تقبيل . وقليلٌ جداً الذين رأيتهم يدخلون أحسبُهم المشرفين على المعبدِ والوعاظِ والكهَّانِ ومَنْ كانَ على شاكلتهم من المقربين والمقربات .

وما أعجبُ القدرَ في تصريفِهِ فقد رأيتُ بجواري عالماً باكستانياً يشاهدُ ما أشاهدُ ويتابعُ في معرفةٍ ما أتابعُ ، ويعلمُ مِنْ حَقائِقِ الأديانِ الوضعيةِ في الشرقِ الأقصى ما أجهلُ ، وكان يُحسنُ اللغةَ العربيةَ بعضَ الشيءِ وكانت لهجتهُ على التواءِاتها قَبساً من لهجةِ مصرَ الفصيحةِ وقال إنه قضى في الأزهرِ أعواماً وبعدَ مجاملةِ المعرفةِ قال وأيمُ الله إنه ليحزُنني جهلُ هذه التاليماتِ والعباداتِ الوثنيةِ لهذه الجماداتِ المنحوتةِ في عَصْرِ صَعِدَ فيه العلمُ على سطحِ القمرِ وحطَّم جهلَ جُمُودِ التقليدِ والغَباءِ والإصرارِ على نعراتِ الهَرَاءِ والسخريةِ .

قلْ لا تحزنْ يا أَخِي حتى لو شاهدتَ بينهم علماءَ جامِعِيَّين .. فعينُ الغريزةِ عمياءُ وهي لا ترى الأشياءَ إلا باحاسيسِها ، واحاسيسُها جعلَ بركانٍ عاصِفٍ لا يَحْمَدُ أوأره إلا بالموتِ ... ومثُلُ الغريزةِ العاطفةُ في حِماساتِها وتوجيهاتِها العاطفةُ المركزةُ التي يُحكِّمُ إدخالها في قِقامِ الأنفسِ الشَّابةِ الغافلةِ وأربابُ هذه الغرائزِ والعواطفِ المركزةِ يَفْعَلُونَ أسخفَ من ذلكَ وأهولَ وَهُمْ يخالونَ ما يَفْعَلُونَهُ الأصلحَ والأقربَ الى رِضا خالقِهم وخالقِ الأكوانِ .

أمَّا عقولُهم فتكونُ مُستقلَّةً مُعَطَّلَةً أو موثقةً مسخرةً هذه حقائقُهم في حقائقِ العلمِ . قال : لله أنتَ قايَاتُ وحيِ الله صريحةٌ في النصِّ على كلِّ ذلكَ تأملُ قوله تعالى .

«فإنَّها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ الَّتِي في الصُّدُورِ» ٢٢ — ٤٦ وقوله تعالى «ومثُلُ الذين كفروا كمثلِ الذي يَنْعِقُ بما لا يسمعُ الا دعاءٌ ونداءٌ صَمٌّ بكم عُمِّي فهمُ لا يعقلون» ٢ — ١٧١ .

وقوله تعالى «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ وَالْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» ٨ — ٢٢ قلت : أجل وإنَّ ذلكَ مِنْ إعْجَازِ القرآنِ المكتشف حديثاً في عِلْمِ النفسِ . وكنا نتحدثُ في الساحةِ على انفرادٍ واذا بجوقةٍ من عبادِهِم منهم رجالٌ ونساءٌ يَدْخُلُونَ المعبَدَ فتأبَعُناهُمْ بالنظرِ والفكرِ .

واقتربنا من واجهةِ المعبدِ لننظرَ ماذا يفعلون ، فرأيناهم يزيجون الستارَ عن الدكةِ التي تتوسطُ داخلَ المعبدِ ووقفوا تجاهَها وأدوا لها مراسيمَ العبادةِ مِنْ مَدِّ اليدينَ بَعْدَ ضَمِّها وَمِنْ انحناءٍ أشبه بالركوعِ ويبالغُ البعضُ فيخِرُّ ساجداً تحتَ أقدامِها ثم أخذت الجوقةُ تُوقِّعُ أناشيدَ دينيةً لم نفهمُ فحواها ورأينا منهم امرأتينِ مُتَشَابِهَتَيْنِ أخذتا تَرْقُصَانِ رقصاتٍ عجيبةً مغربةً فحفتُ وحاولتُ الخروجُ وبالحرى لما أخذ المصلونَ يُصَفِّقُونَ بِشَوْقٍ وَشَرَهُ مُلْتَهَمٌ مُلْتَهَبٌ ولكنَّ صاحبي أمسك بيدي وهو يقولُ : اضبر قليلاً لكي تستطيعَ أن تكبَّ عن كلِّ ذلكَ ولكَ الأجرُ الكبيرُ من الله جل وعز .. وإخالكُ ترى ... الآنَ قريشاً وهي في جَاهِلِيَّتِها تُصَلِّي حَوْلَ البيتِ يومَ كانَ مَكْظَماً بِالْأَصْنَامِ المتراحمةِ والنِّسوةِ يطفنَ به ولا أدري كيف كنَّ يطفنَ ... والصفيرُ والتصفيقُ يَصْطَخِبَانِ أيما اصطخابٍ .

قلتُ صدقتُ وما أشبه الليلة بالبارحةِ وتلوتُ قوله تعالى «وما كانَ صلاتُهُم عندَ البيتِ إلَّا مَكاءً وَتَصَدِيقَةً ذَفُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفرونَ» ٨٠ — ٣٥ .

قال وَمِنْ أَجْلِ ذلكَ تَجِدُنِي أَكْرَهُ الصَّلَاةَ أَمَامَ شَجَرَةٍ أَوْ صَخْرَةٍ أَوْ أُبْنِيَةٍ أَوْ جِدَارٍ وَأُحِسُّ أَنِّي أَشْرِكُ فِي الرُّؤْيَا عَمَلًا وَمَظْهَرًا . وَأَنَا مِنْذُ نَعَلْتُ أَجِدُنِي أَتَضَاقُ حِينَ أَصَلِّي تَجَاهَ أَيِّ مَخْلُوقٍ ، لَأَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَصَلِّي لِهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ... فَرُؤْيَةُ المَخْلُوقَاتِ تُضَاقِنِي إِخَالَها شِرْكَاً فِي الرُّؤْيَةِ وَكَمْ تَمْنِيْتُ لَوْ يُتَاحَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ فِي نَفْسِ ذاتِ رَبِّي فَلَا أُحِسُّ بِسِوَاهِ تَجَاهِي حَتَّى أَكُونَ فِي يَقِينِ الطَّمَانِينَةِ أَنِّي لَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .. سِوَا فِي النَّظَرِ أَوْ الْفِكْرِ أَوْ التَّخِيلِ وَأَنَا مُتَوَجِّهُ إِلَيْهِ فِي صَلَاتِي .. هُنَا ضَحِكْتُ وَقُلْتُ إِنَّ أَمْنِيَّتَكَ هَذِهِ هِيَ عَيْنُ الشَّرْكِ بَلْ عَيْنُ الْكُفْرِ لَأَنَّ ذاتَ اللَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِها شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ المَادِيَةِ وَالطَّاقِيَةِ حَتَّى تَكُونَ فِيها أَوْ تَلْمَسْها كَهَذِهِ الْأَصْنَامِ وَتَفَكَّرَ طَوِيلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أَلَّا تَلْمَسُ أَنَّهُ مِنْ المَحَلِّ أَن يَحِيطَ بِكُنْهِ ذاتِ اللَّهِ عِلْمُ عَالَمٍ مِمَّا اتَّسَعَ . «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» ٢ — ١١٠ .

وكلُّ ما خطرَ ببالِكَ فاللهُ بخلافِ ذلكَ وهلْ يخطرُ ببالِنَا أو يترأى في خيالِنَا ، أو يتمثَّلُ في تصوراتِنَا أو يدورُ في أفكارِنَا سِوَى الحوادثِ المخلوقةِ وأحداثِها وأشباهِها وأوامِهمَا .

ومنْ أجلِ ذلكَ فحقيقةُ ذاتِ الله لا تحلُّ في شيءٍ ولا يحلُّ فيها شيءٌ ولا تترأى في المُخَيَّلَاتِ ولا تتمثَّلُ في التماثيلِ ولا تَكشفُها الأفكارُ ولا يعلمُ حقيقةَ ذاتِ الله وكنهها الا اللهُ وما وردَ منَ النصوصِ في هذا الأمرِ يُتركُ الأمرُ اليه فهو أعلمُ بمرادهِ والمؤمنُ العاقلُ العالمُ يتلو مُخلصاً « قلُّ هو الله أحدُ الله الصمدُ لم يلدُ ولم يولدُ ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ » . وما أحسن قول القائل :

كلُّ ما ترتقي إليه بوهَمٍ منْ جلالٍ وقُدرةٍ وشَقَاءٍ فالذي أبدع البريةَ أعلى منه سبحانه مُبدعُ الأشياءِ

قال : مرتجفاً أعوذُ باللهِ مِنْ كلِّ أنواعِ الشركِ والكفرِ وكلِّ قصديَّ أني أحبُّ أن أحرَّرَ توجَّهي في صلاتي الى الله مكونِ الأكوانِ وحدهُ لا الى الأكوانِ هذا قصدي يشهدُ الله .

قلتُ هذا ممكنٌ ويسيرُ فانت إذا وقفتَ تصلي وأمامك أيُّ كائِنٍ وهذا لا بُدَّ منه لأنك كائِنٌ بينَ كائناتٍ وتَحيا فيها سواءَ ما تراهُ منها ، وما لم ترهُ ، وما لم ترهُ منها هو الأكثرُ فيجبُ عليك أن تتوجَّهَ الى الله وحدهُ ، وتعتقدُ أنه أمامك ولا شيءَ سِوَاهُ أمامك وأنه محيطٌ بك دونَ أن تكونَ فيه أو يكونَ فيكَ وهذا الاعتقادُ هو عينُ سلامةِ العبادَةِ من أيِّ لَوْنٍ من ألوانِ الشُّركِ سواءً في الرؤيا أو في النيةِ أو في العلنِ أو في العَقيدةِ .

ومنْ أجلِ ذلكَ قالَ رسولُ الله ﷺ في روايةِ البُخاري ومسلم إنَّ الله عز وجل قَبِلَ وجْهَ أحدِكُم إذا صلى فلا يصبغُ بينَ يديه « وفي ذلكَ تحقُّقُ طهارةِ الظاهرِ والباطنِ في الصَّلَاةِ والمصلِّي إذا سلَّخَ الأكوانِ مِنْ فِكْرِهِ ، واعتقدَ أنَّ الله أمامه وأنه يتوجَّهُ اليه وحدهُ نيةً وعقيدةً وأنه غيرُ متوجَّهٍ في صلاتِهِ الى شيءٍ سِوَاهُ سلمتْ صلاته من كُفْرِ الشُّركِ والوثنيةِ .

هَبْ أنك كنتَ على سَطْحِ القمرِ أو المريخِ أو في أيِّ مكانٍ من هذه العوالمِ فإلى مَنْ تتوجَّهُ في صلاتِكَ أليسَ الى الله وحدهُ وتفكرُ في سُجودِ رسولِ الله ﷺ وهو في أبعادِ العوالمِ ليلةَ المعراجِ ليسَ الى الله وحدهُ ولن وجهَ دعاءه ليسَ الى الله وحدهُ .

قالَ بنسْوةِ فَرَحِ العلمِ ، وزهو يقينِ الإيمانِ أجلُّ أجلً .. وأردفَ داعياً جزاك اللهُ عَنِ الاسلامِ وأهلِهِ اكرمَ الجزاءِ فإنَّ كلَّ ما قلتهُ وهو عينُ يقينِ العلمِ والإيمانِ وهو عينُ تحريرِ العبادَةِ من كلِّ شِرْكِ ووثنيةٍ .

وهنا تَلَا قولَ اللهِ تعالى خَاشِعاً . « أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ »
وهو يُشير الى قاعدة الأصنام والبقره والبهيم وهم حولها خُشعاً ..
قلتُ أَلَا تَدْرِي أَنَّ الَّذِي ذَكَرْنِي بِكُلِّ ذَلِكَ هُوَ النَّدَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ = اللهُ أَكْبَرُ .
وكذلك لَدَى دُخُولِكَ فِي الصَّلَاةِ = اللهُ أَكْبَرُ = أَمَّا تُحِسُّ وَأَنْتَ تُنَادِي اللهُ أَكْبَرُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي
الْأَكْوَانِ صَغِيرٌ وَصَغِيرٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ خَالِقِهِ وَمَوْجِدُهُ وَالْمُهَيِّمُ عَلَيْهِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ سُبْحَانَهُ :
وتعالى اللهُ علَواً كَبِيراً وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى .

قال بِجَاسَةِ حَدِيثِكَ هَذَا وَنَحْنُ نُشَاهِدُ تَوَجُّهَ هَؤُلَاءِ الْمُصَلِّينَ إِلَى مَخْلُوقَاتٍ أَمْثَالِهِمْ يَذْكُرُنِي
بِجَلَالِ الْحِكْمَةِ وَرُوعِهَا الصَّارِخَةِ فِي دُعَاءِ التَّوَجُّهِ الَّذِي يُعْقِبُ تَكْبِيرَةَ الْأَحْرَامِ فِي الصَّلَاةِ
يَذْكُرُنِي بِسُمُوهِ وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ نُورِ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى يَا اللهُ مَا أَعْظَمُهُ مِنْ تَوَجُّهِ
« وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي
وَنُكُوبِي وَمُخْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .
قلتُ كُلُّ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ تَصْرَعُ الشُّرْكَ وَالْوُثْنِيَّةَ وَتَطْرَحُهُمَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ هَذَا مَا
جَاءَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ ﷺ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ بِقِيَمِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَنُورِ
الْإِيمَانِ الْحَقِّ وَاخْلَاصِ الصَّلَاةِ الْمَثَالِيَّةِ وَسَلَامَتِهَا مِنْ ظِلْمَاتِ الشُّرْكِ وَالْوُثْنِيَّةِ وَأَنْتَ أَلَّا تُفَرِّقُ بَيْنَ
مَنْ يَتَّخِذُ إِلَهَهُ مِنْ بَعْضِ أَفْرَادِ الْأَكْوَانِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا فِي صَلَاتِهِ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَتَوَجَّهُ فِي صَلَاتِهِ
إِلَّا إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ٩٠ ..

أَلَا تَرَى أَنَّكَ حِينَ تُصَلِّي إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ وَتَطُوفُ حَوْلَهَا وَتُصَلِّي فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
وَتَسْعَى بَيْنَ الصُّفَا وَالْمُرُوقِ وَتَقِفُ فِي عُرْفَاتٍ وَتَذْكُرُ لَدَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ تُحِسُّ وَأَنْتَ تَمَارِسُ كُلَّ
هَذِهِ الْعِبَادَاتِ أَنَّكَ مُتَوَجِّهُ إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَا يَخْطُرُ بِإِلَّاكَ عِبَادَةُ الْبَنَاءِ وَالصَّخُورِ وَالْأَحْجَارِ
وَالْبَشَرِ وَسَوَاهِمِ الَّتِي يَمَارِسُهَا أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ...
وَالسَّبَبُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَحْيَا فِي هَذِهِ الْعَوَالِمِ فَمَا لَكَ مِنْ مَنَاصٍ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهَا شَأْنٌ كُلِّ
الْمَخْلُوقِينَ وَالْبَشَرِ مِنْهُمْ ...

قال صَدَقْتَ مَحَالٌ أَنَّ يَطِيرَ أَحَدُنَا فِي الْفَضَاءِ وَيُصَلِّي لِكَيْلَا يَرَى أَمَامَهُ الْكَائِنَاتِ وَهَلْ
الْفَضَاءُ نَفْسُهُ سِوَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْمَخْلُوقَةِ أَمْثَالِنَا يَكْفِي بَكْفِي أَنَّ نُحَرِّرَ التَّوَجُّهَ فِي الْعِبَادَةِ
إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قُلْتُ أَجَلُ يَكْفِي يَكْفِي وتلوتُ عليه قولَ الله جل وعز في حُسْنِ التَّوَجُّهِ إليه إِذَا أَرَدْنَا
الصَّلَاةَ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْأَكْوَانِ : « والله المشرقُ والمغربُ ، فأينما تولَّوْا فَثَمَّ وجه الله إِنَّ الله
واسِعٌ عليمٌ » ٢ — ١١٥ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْعَوَالِمَ كَافَّةً لَا تَعْدِلُ الذَّرَّةُ أَمَامَ السَّعَةِ الْإِلَهِيَةِ الْكَبِيرَى .
سَعَةٌ لَا يَحِيطُ بِكُنْهَافِهَا سِوَاهُ .. سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ . لَا نَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا اثْنَيْتَ عَلَى
نَفْسِكَ : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » ٣٩ — ٦٧ .

وفي النِّهَايَةِ أَقْدَمَ هَذِهِ الْآيَةِ الْمَعْجِزَةَ لِلْإِنْسَانِيَةِ الْحُرَّةِ الْعَالَمَةِ لَتَفْهَمُ حَقِيقَةَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَلِيقُ
بِجَلَالِ اللَّهِ خَالِقِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ ...
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا
وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ٢٢ — ٧٣ و ٧٤ .

الدعوة إلى حفظ التراث

خُطوطُ حياةِ الإنسانِ المتوارثةِ في أيِّ مُجتمعٍ والمنطبعةِ في نفسياتِ أفرادِهِ وجماعَتِهِ والمؤثرةِ فيهما هي التراث .

وهذه الطاقةُ الملهمةُ خصائصُ توجيهاَتِها بكلِّ مثاليَّاتِها الاجتماعيَّةِ الإنسانيَّةِ وبكلِّ تطوُّراتِها الحضاريةِ التي تمرُّ بها مِنْ مُجتمعٍ إلى مُجتمعٍ هي التراث .
إذن فالتراثُ عهدُهُ ميثاقُ اجتماعيٍّ في كلِّ أمةٍ بالذاتِ ، ويُحقِّقُ أعيانَ أَعمالِهِ المُركزةِ في مجالِ اللاوعيِ المُلهمِ وبِمَنطِقِ الحاسِيَةِ الصَّارخةِ المخصصةِ لأعمالِ الأخذِ ولأعمالِ العطاء .

والتراثُ صَناعُ اليدينِ للحفاظِ على شخصِيَّةِ الأمةِ وهو بمثابةِ مدرسةٍ كلُّ دروسِها كنوزُ تَغْنِي أُماني الأفرادِ والجماعاتِ بوقايةٍ مِنَ الانحطاطِ وَيُسْمُو مِنَ الانسجامِ وبمكناَتٍ مِنَ المودَّةِ والتفادي .

ومن أجل ذلك كانَ التراثُ هو إكسِيرُ الحياةِ الدائمةِ ، وملاك شخصِيَّتِها في سِرِّ نواها وسرِّ خلودها في عالمِ الروحِ وفي عالمِ المادة ..

ومكثتُ في لبنانَ حقبةً مديدةً وكانتْ مودَّتِي لأزبابِ الأفلامِ النَّبلاءِ كبيرةً جدًّا ، أَتَّصِلُ بهم ويتصلون بي مِنْ مُسلمين وسواهم وفي مِهْرَجانِ بِيانٍ عبقرِي سمعتُ أَنَّ سَعِيدَ عَقْلٍ يعترِمْ أن يدعُو الشَّيْبَةَ إلى حِفْظِ التراثِ أو هو باشر في الدعوةِ بتقديمِ جوائزِ حافِزةٍ وهزني زُهْوُ النَّبأِ وقلتُ « إن حِفْظَ التراثِ سيادةٌ للشرفِ وبناءٌ للفكرِ الوقائي السليم الحر ... » .

إذ به يتمُّ دعمُ وَحدةِ الأمةِ وتهذيبُ مشاعرِها ، وتصفيَتِها مِنْ لَعْنَةِ العنصريَّةِ وَخبائِثِها وأحقادِها وأذوائِها ومؤامراتِها الهدَّامةِ .

وهو يَضْفُلُ عَقْلِيَّتِها ويحقِّقُ سُمُوها الاجتماعي الإنساني العالي . ولا شيءَ أجدى للسلامِ والتقدمِ الحضاري والتعاونِ العلمي والأدبي من حِفْظِ التراث .

وهل أَضَاعَ العربُ وَحدَتَهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ حتَّى أَصْبَحُوا على كثرةِ دُوْلِهِمْ وأُمُوْلِهِمْ وعَتَادِهِمْ طُعْمًا في سُنَّارةِ الصَّهاينةِ إِلَّا لأنَّهُم استهانوا بِتراثِهِمْ ، وأولئك اعتزُّوا بِهِ ... ولكنْ

حِينَ أَفْهَمَنِي أَصْدَقَانِي أَيَّ حَلِيمٍ دَمُوسَ وَمَارُونَ عَبُودَ وَفَارَسَ سَعْدَ وَسَوَاهِمَ أَنَّ قَصْدَ سَعِيدٍ عَقْلٍ
مِنْ حَفْظِ التَّرَاثِ هُوَ إِیْصَالُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَابْدَاهَا بِاللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ وَإِنْ كَانَ لَبْنَانُ وَحْدَهُ يَحْوِي جُمْلَةً
مِنَ اللُّغَاتِ الْعَامِيَّةِ . عَلَى صَغَرِ حَجْمِهِ وَقِلَّةِ عَدَدِ نَفُوسِ أَهْلِهِ ...
وَصَعِقْتُ حِينَ لَمَسْتُ مَا أَخْبَرُونِي بِهِ صَحِيحاً . وَعَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَ الْأَكْمَةِ مَا وَرَاءَهَا
وَبِالْحَرِيِّ حِينَ اسْمَعَنِي حَلِيمَ دَمُوسَ رَدَّ عَمِّهِ دَعَا عَقْلٍ عَلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ جَمِيلَةٍ لَا أَزَالُ أَذْكَرُ مِنْهَا
قَوْلُهُ :

وَكُلُّ مَنْ عَقَّ بِالْفَصْحَى فَهُوَ الدَّعِي وَلَوْ شَدَّ انْتِسَاباً إِلَى أَقْيَالِ قَحْطَانَ
وَكَمْ يُؤَسِّفُنِي إِطْلَاقُ لَفْظَةِ تَرَاثٍ فِي أُمَّةٍ كَبِيرَةٍ كَالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى بَعْضِ عَادَاتٍ لِإِقْلِيمٍ
مِنْ أَقْلِيمِهَا وَالْعَادَاتُ تَخْتَلِفُ مِنْ مَتَرٍ إِلَى مَتَرٍ فَمَا بِالْكَ بِأَقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ ..
وَالْعَادَاتُ الْخَاصَّةُ سِوَى التَّرَاثِ الْخَالِدِ الْجَامِعِ الْمُوَحِّدِ لِمُشَاعِرِ الْأُمَّةِ وَأَحَاسِيْسِهَا
وَبِالْحَرِيِّ إِذَا كَانَ التَّرَاثُ إِنْسَانِيّاً مِثَالِيّاً جَامِعاً يَعْمَلُ لِإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً وَالْهُدَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ كَافَةً
كَتَرَاثِ أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْمَاجِدَةِ .

حَسْبَهُ أَنَّهُ تَرَاثٌ يُجَاهِدُ لِيَسْلُخَ أُمَّةَ الْأَرْضِ الْعَنْصَرِيَّةِ الْفَتَّالَةَ مِنْ جُلُودِ الْأَرَاقِمِ لِيَسْلُكَهَا فِي
جُلُودِ حُكَمَاءِ الْبَشَرِ وَزِينَتِهَا بِمَعَاطِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تُحْيِي مَوَاتَ تَبَادُلِ الْمَوَدَّةِ فِي نَفُوسِ
أَجْيَالِ الْأُمَمِ تُحْيِيهَا وَتُطَهِّرُهَا مِنْ لَعْنَاتِ الْإِلْحَادِ وَالشَّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ .
وَتَحُولُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهُيُوءِ فِي مَهَاوِي التَّخَلُّفِ . أَجَلٌ هُوَ تَرَاثٌ فَخَارٌ يَجْمَعُ أَشْيَاءَ
الْأُمَمِ الْمَمْرُوقَةِ الْمُنْحَطَّةِ وَيَصْعَدُ بِهَا إِلَى مَنَائِرِ الْمَعْرِفَةِ الْعَالِيَةِ الْجَامِعَةِ .
وَشَتَانُ أَلْفِ أَلْفٍ بَيْنَ مُجْتَمَعٍ مُوَحِّدٍ صَاعِدٍ قَوِيٍّ لِمَجْتَمَعِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ ... وَبَيْنَ
مُجْتَمَعٍ مَفْكُوكٍ وَاهٍ مُتَنَافِرٍ كَالْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ ..

وَهَلْ تَوَحَّدَ الْمَجْتَمَعُ الْعَرَبِيُّ قَدِيماً وَحَقَّقَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ أَجَاداً أَكْرَمَةً بَرَّةً مَا كَانَتْ لِيُتَحَقَّقَ وَتُظْفَرُ
بِهَا لَوْلَا رُوحُ وَحْيِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى خَاتِمِ رُسُلِ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ...
أَجَلٌ وَلَوْلَا مِثْلُ هَذَا الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَمَا اسْتَطَاعَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ أَنْ تَضْحِي
كُلُّ هَاتِيكَ التَّضَحِّيَّاتِ فِي سَبِيلِ الصُّعُودِ عَلَى سَطْحِ الْقَمَرِ .
إِذَنْ فَتَحْنُ نَمْلِكَ تَرَاثاً عَالِياً رَاقِياً هُوَ حَيَاةٌ هُوَ قُوَّةٌ هُوَ أَجَادٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ تَسْتَمْسِكُ بِهِ وَلَا
رَيْبَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْاسْتِمْسَاكِ بِهَذَا التَّرَاثِ وَحِمَايَتِهِ وَالذُّودِ عَنْهُ وَالنَّهْوِضِ لِأَجْلِ إِعْزَازِهِ هُوَ الْخَيْرُ

كُلُّهُ وَالسَّعَادَةُ كُلُّهَا يَكْنِي أَنَّهُ يَحْوِي هَدْيَ اللَّهِ لِسَعَادَةِ الْبَشَرِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ « قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ، وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » ٦ — ١٠٤ و ١٠٥ .
وَشَبَابُ الْعَرَبِ إِنْسَانِيُونَ كَرَامٌ ، وَأَبْطَالُ رُحَمَاءٍ يُحَافِظُونَ عَلَى إِرْثِهِمْ لِأَنَّهُ رَحْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ وَحَمِيَّةٌ وَإِغَاثَةٌ وَمَرْوَةٌ ..

وَمَا أَحْسَنَ أَنْ أَخْتِمَ كَلِمَتِي هَذِهِ بِحِكْمَةِ الشَّاعِرِ النَّابِغَةِ حَسَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ :
مِنْبَعُ الْمَجْدِ دَافِقٌ فِي ثَرَانَا قَالَهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ نَفَادِ
كَيْفَ نَنْسَى إِرْثَ الْمَرْوَاتِ يَهْدِي لِلْحَمَى مِنْ وَفَاضِهِ خَيْرَ زَادِ
هَاشِمُ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ دَفْتَرُ دَارِ

مظاهر الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم
يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤) تنزيل العزيز
الرحيم .

جاء رجل مثقف مسيحي الى تاجر عربي كبير من صفوة المؤمنين الصادقين وسأله هل يعقل
أن الله الذي خلق هذه العوالم غير المحصورة في علم الإنسان هو الذي يقول :
«أنا الله خالق هذه العوالم الهائلة ، أقسم بالقرآن الحكيم إنك يا محمد من رسلي . وإنك على
طريق مستقيم ، هو طريق الذي أوحيته إليك . لهداية الناس الى الإيمان الصحيح .
واذا قلت لي إن هذا القسم معقول ومسلم لدى المؤمنين فأنا أؤيد قولك هذا لأن المؤمنين
مقتنعون بحكم إيمانهم ولكن غير المؤمنين هم الذين يأخذهم العجب من هذا القسم ويرونه
مخاطرة مدهشة محيرة .

وهم يقولون اذا لم يكن القرآن الحكيم مشتملاً على براهين علمية حاسمة تدلهم أنه كلام
رب العالمين اليقيني . فالمخاطرة تكون أكيدة ، والحيرة تكون واقعية والقضية هي أولاً أن تثبت
لي أن القرآن هو كلام الله اليقيني وثانياً يكون القسم حجة قطعية على صدق رسالة محمد ﷺ .
لذلك جئت إليك بكل إيماني بيقين العلم لكي تشرح لي هذا القسم من الوجهة العلمية
الخالصة التي يدعن لها كل عالم مفكر صادق ، وإن يكن ملحداً الآن الحاداً طارثاً والإيمان هو
الأصل .. فلا بُد من العودة إليه .

عرض عليّ التاجر المسؤول السؤالَ وطلب اليّ الإجابة ، عليه بكل شواهد ، العلمية
القائمة . فرجبت بالفكرة لأن القصد الأساسي هو كشف واقع اليقين العلمي .

القسم

هذا القسم أي قسم جل وعز بالقرآن الحكيم على إثبات رسالة محمد ﷺ . هو شيء عادي
ولا شيء فيه .

ولا أخذ ولا عطاء لأن المسلمين جميعاً يؤمنون أنه قسم حق من الله بالقرآن على إثبات
رسالة خاتم الرسل سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه . ولكن غير المسلمين من العلماء يرونه

غريباً كل الغرابة لأنهم يستكبرون أن يحلف الله قائلاً أنا خالق هذه العوالم احلف بالقرآن الحكيم
أن محمداً هو من المرسلين والقسم تأكيد عظيم وأن تأكيد التأكيد للمرة الثانية واللام في قوله
أنك لمن المرسلين تأكيد للمرة الثالثة .

وأقول .. آمن الذين آمنوا بوجود الله لأن العوالم الموجودة مشتملة على براهين علمية يقينية
صارخة دالة دلالة هادية الى أن لهذا العالم خالقاً مدبراً مهيمناً عليه ومنصرفاً فيه هو أوجده
ونسقه ووضع له سننه ونواميسه وقدره وتقديره علمياً يقينياً بها ما لموازين العلم من ثبوت وتأكيد
يقيني وبراهين صارخة .

وما كفر بوجود الله خالق هذه العوالم إلا الذين وقفوا عند ظواهر المادة غير متصيرين من
الطاقات الروحية التي وضعها الله فيه مسيرة له بقدرته وعلمه وإرادته وسلطانه .

لذلك الإيمان بوجود الله الخالق العظيم في الأوساط العلمية المحررة من تقاليد الملل والنحل
ومن هوس مرضى العقول هي حقيقة الوجود الأزلية والصارخة والإنسان العالم المفكر اذا نظر الى
حقائق العوالم وأنعم نظره في أمكنتها وأفلاكها ووظائفها دهش ودهش ولا يسعه إلا أن يتلو
بإيمان خاشع .

« دلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق کل شيء فاعبدوه ، وهو على کل شيء وکیل »
(١٠٢) .

« لا تدركه الأبصار — وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١٠٢) .
« قد جاء کم بصائر من ربکم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها . وما أنا علیکم بحفیظ »
(١٠٤) .

« وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١٠٥) .
هذا شأن الأقسام الدالة على وجود الله عز وجل القائمة في عوالم الوجود . مثل قوله ..
« لا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وأنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) أنه لقرآن كريم (٧٧) في
كتاب مکنون (٧٨) لا یمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزیل من رب العالمین » .
فمواقع النجوم المعروفة لعلماء الفلك قديماً والتي وجدت معرفتها والتي لا تزال في طوايا غيوب
أبعاد الفضاء هي دالة على عظمة الله الذي أنشأها ووضع لها قوانينها وسننها وقدر لها مواقعها ومن
هذا القبيل أقسم بالشمس والليل والضحى .

وهناك أقسام يقصد منها أشياء أخر كالأقسام التي يقصد منها إثبات يوم القيامة أو قدر القلم
في تحقيق المعرفة .

أما هنا في سورة يس فإن القسم بالقرآن لا ثبات رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه

عليه . فكان القسم هنا يقول الله فيه أنا الله خالق العوالم أحلف بالقرآن الكريم أن محمداً هو رسولي . وهذا القسم يدل أن الله جل جلاله وضع في آيات القرآن البراهين العلمية القطعية الدالة على صدق رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

والتاجر المؤمن الذي يرصد قسماً من ماله لخدمة الإسلام هو السيد عمر الفحل وهو الذي طلب الي أن أتحدث في هذا الموضوع الجليل وما تحدثت به هو مهد المقل ولما كان الحديث في أمر عظيم كهذا ينعرض على جماعة من العلماء غير مؤمنين بالقرآن المجيد أنه كلام الله . كان الواجب استعراض الدلائل العلمية اليقينية في مؤلف خاص .

ولما كان السؤال هو عين القسم الذي جاء في سورة يس ، أخذت أدرس هذه السورة المباركة إلى جانب سواها أكثر من عامين فاجتمعت لدي طائفة من البحوث ضمنتها في مؤلف خاص أسميته معجزات قلب القرآن لما هو مشهور على الألسنة أن يس قلب القرآن . والمقصود هو إلفات النظر الى سورة يس بالذات وطبع المؤلف في بيروت في مطابع دار العلم للملايين على نفقة الرجل الصالح في عام ١٣٩٦ هـ .

وليس سهلاً أن استعراض ما جاء في المؤلف من الدلائل العلمية في كلمة هذا أمر يحتاج الى دراسة المؤلف بالذات .

واني أسأل الله أن يلهم العلماء الذين لهم إطلاع واسع على العلم اليقيني الذي إكتشفته الحضارة الحديثة والعلم اليقيني المدخر في معجزات القرآن المجيد فيكون باعثاً للعلماء غير المسلمين الذين يريدون أن يعلمون يقيناً ما جاء في آيات وحي الله المعجز المتحدي ...

وأي تحد أعظم وأكبر من هذا التحدي الصارخ . « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » ٢ — ٢٤ .

وكثيرة هي آيات التحدي الصارخ في القرآن المجيد وإني أكتفي بعرض معجزة واحدة مما جاء في مؤلفي معجزات قلب القرآن التي يقصد بها إثبات حقائق الآخرة من الوجهة العلمية اليقينية .

« وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم توقدون (٨٠) » ٣٦ .

ذلك لأن الشجر الأخضر يمتص الحرارة من الشمس بطريقة الهمة تكوينية إمتصاصاً عجيماً لو إستطاع العلماء أن يفيدوا من هذه الطريقة كما أفادوا في صنع الرادار من إذن الطوطا لكان ذلك إنقاذاً للبشرية من فقد البترول لأن طاقة الشمس هائلة جداً ودائمة ومنتشرة في كل مكان

ولولا أن الشجر الأخضر يمتص حرارة الشمس لما كان في الأرض الوقود من الفحم الحجري أو الغاز أو البترول الذي مصدره الشجر الأخضر بل أن الشجر الأخضر أيضاً يمتص الكربون ويحوّله إلى أوكسجين والأوكسجين هو مادة اشتعال النار . لذلك كانت هذه الآية القرآنية من معجزات العلم في عصرنا الحديث وكم من سخافة في قول الذين قالوا لو كان التعبير بالشجر اليابس لكان أولى لأن الحطب والفحم في زعمهم هو مصدر النار ونسوا أن الشجر الأخضر يشتمل على المعجزة العلمية الهائلة فلو جاء النص بالشجر اليابس لما كان ثمة أعجاز علمي في الآية . ومهما يكن فآيات القرآن المجيد ذخيرة بالمعجزات العلمية ولعل عالمنا المادي ينطوي وتنطوي الحياة معه ومعجزات آيات الله تظل أبدية أبدية رغم الملحدين والفاجرين والكافرين .

إِعْجَازُ الْفِرَاقِ وَنَهَايَةُ الْحَضَارَةِ

نصوص القرآن المجيد تَذْخُرُ بِكُنُوزٍ مِنْ مُدْهَشَاتِ مَعَارِفِهَا وَاطْرَادِ مُعْجَزَاتِهَا الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ عَلَى تَطَوُّرِ الشُّعُوبِ وَحَضَارَاتِهِمْ لَكُونَ بَرَاهِينَ عِلْمِيَّةٍ يَقِينَةٍ مُتَّحِدَةٍ وَمُقَوِّمَةٍ لَصِحَّةِ إِيْمَانِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ...

وَإِنْ تَكَاثَّفَتْ مِنْ حَوْلِهِمْ ظُلُمَاتُ التَّقَالِيدِ الْبَدَائِيَّةِ ، وَتَفَاقَمَتْ أَحْقَادُهُمْ الْعَنْصَرِيَّةُ ، وَانْخَطَتْ أَخْلَاقِيَّاتُهُمْ الْحَضَارِيَّةُ ، وَتَخَلَّفَتْ مَجْمُوعَاتُهُمْ النَّفْسِيَّةُ كُلُّهَا التَّخَلُّفُ . كَمَا شَرَّقَتْ بِهِمْ وَغَرَّبَتْ بِهِمْ فِي خَبَائِثِ الْإِلْحَادِ وَالْوَثْنِيَّةِ وَالشَّرْكِ طُفُولَةُ مَعَارِفِهِمْ عَنِ الْأَكْوَانِ وَمَكُونِهَا الْعَظِيمِ جُلَّ جَلَالِهِ .

وَكَانَ الْمَدْعَمُ كُلُّ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ غُرُورٌ كِبِيرًا بِهِمْ ، وَعِنَادٌ إِضْرَارِهِمُ الْعَنْتَرِي ، وَاشْتِعَالُ نَزَوَاتِهِمُ النَّاثِرَةِ ، وَتَأْوِيلَاتِهِمُ الزَّائِفَةُ لِنُصُوصِ الْوَحْيِ الْمُعْجَزَةِ الْمُتَّحِدَةِ .

وَلَا يُزِيحُ ظُلُمَاتِ هَاتِيكَ الْعَوَاصِفِ الْمَدْمَرَةِ وَيُهْدِي بِلَابِلِهَا ، وَيَدْمُرُ حَوَاجِزَهَا مِنْ أَعْمَاقِ كُلِّ الْأَنْفُسِ ذَاتِ الْإِسْتِعْدَادِ عَلَى إِثَارِ الْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ إِلَّا وَجُودُ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْبَشَرِ . الْأَوَّلُ : وَجُودُ الْعُلَمَاءِ الْأَمْنَاءِ الْأَحْرَارِ الَّذِينَ يُهَيِّمُنُ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ الْإِرَادِيُّ الْمُقَوِّمُ لَا عَوْجَاجَ الْغَرَائِزِ النَّهْمَةِ وَالْعَوَاطِفِ النَّاثِرَةِ .. أَيُّ الْعَقْلِ الْمَحْطَمِ لِلْعَنْصَرِيَّاتِ الْمَلْحَدَةِ ، وَمُؤَامَرَاتِهَا الْهَدَامَةِ وَخَبَائِثِ الشَّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ ، وَأَغْلَالِ تَقَالِيدِهِمْ .

الثَّانِي : وَجُودُ الْفَنَانِينَ الْمُتَّصِرِينَ لِحَقَائِقِ التَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ الْحَضَارِيِّ وَلِحَقَائِقِ الْوَحْيِ الْيَقِينِيِّ ، وَلِكَشْفِ مُعْجَزَاتِهِ الْمُتَّحِدَةِ أَيُّ جَدَدِ الْفَنَانِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى تَمْزِيقِ حَجَبِ الْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ الْمُسَدَّلَةِ بِعَمْدِ الْإِضْرَارِ عَلَى الْمِلَلِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ الْمُنَزَّلَةِ لِإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ كَافَةً بِالْإِيْمَانِ الْعِلْمِيِّ الْيَقِينِيِّ ..

الثالث : وجود الإنسان الإنسان واختفاء إنسان الغاب الخطر الموبوء بداء مواريث الغاب المزمعة المفترسة .

ولا افلات من إنسان الغاب وترصده ووثوبه على العزلة الأبرياء بالسحق والمحق إلا بسير صدق الإيمان بالله الخالق العظيم القوي العزيز ...

إذ محال أن يكون الإنسان إنسان سلام وأمن ووفاء وصدق وهدى ولو طاف بمكوكه الفضائي ألف ألف عالم ، واكتشف من غيوب علومه ألف ألف علم وعلى الرغم من يقين علمه أن ما اكتشف من علوم الأكوان حتى الساعة لا يزيد عن قبسة الإبرة من لجج المحيطات يظل مرتاباً بحقيقة وجود الخالق العظيم المهيمن على الأكوان المتصرف فيها بإرادته وقدرته وعلمه .

ومهما يكن فإن الإنسان الغريزي الملوث بخبائث العنصرية الملحدة الطامعة المترصدة ، لن يكون إنسان إيمان وسلام وهداية أبداً أبداً ...

ناهيك بأخطاره الجهنمية عليه وعلى الآخرين فإنها تكثر وتحتّم .. أجل تكثر وتحتّم ... ما دامت الحضارة الحديثة مقفرة من وجود العلماء الأحرار الأمناء الذين ينتصرون لحقائق العلم اليقيني في الأشياء ... ومقفرة من وجود الإنسان : الإنسان الذي كل همه بناء حقائق الإيمان في معالم الحضارة وهدم خسارة الإنعزالية الملحدة المتأمرة على حقائق الإيمان وأهله .

أجل إذا أجذبت الحضارة من هؤلاء ومن أولئك فحينئذ يغسر إقتلاع السئاتر الحالكة الكاتمة أنفاس حقائق الأشياء بظلماتها ومظالمها وحينئذ تسوء عواقب البشر من جرأتها وتمحقها الكوارث وأرى الأسوأ منها في حياة البشر هو عدم إكترائهم المتعمد لقوله تعالى .

« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ١٠ — ٢٤ .

وقد تحقّق أعجاز القرآن المجيد . فها هي الأرض في حضارتها الحديثة ،

أَحَذَتْ زَحَارِفَهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَتَرَيْنَتْ بِمِفَاتِنِهَا الْجَذَابَةِ الْمُغْرِبَةَ وَطَغَى الْغُرُورُ فِي
أَنْفُسِ قَادَتِهَا طُغْيَانُهُ الْمُنْذِرُ بِالْشَّرِّ الْمُسَيِّطِرُ .

أَجَلٌ تَفَاقَوْا طُغْيَانًا حَتَّى أَصْبَحُوا يُحْسِنُونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى تَدْمِيرِهَا ، بِمَا
لَدَيْهِمْ مِنْ عُدَدٍ ظَاهِرَةٍ وَخَفِيَّةٍ ، أَسْرَعَ مِنْ خَفَقَةِ الْبَرْقِ ..

إِذَنْ فَأَمَرَ اللَّهُ يَوْشَكَ أَنْ يَأْتِيَ . وَهُوَ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَلَكِنْ إِيْتَانَهُ بِأَمْرٍ مِنْ لَهُ الْأَمْرُ .
عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ .

وَبِاطِلٌ زَعَمَ كِتَابُهُمْ أَنَّ إِيْتَانَهُ يُدْمِرُ كُلَّ مَعَالِمِ الْحَيَاةِ وَهَذَا لَنْ يَكُونَ ، وَلَوْ
فَاقَتْ عُدْدَهُمُ الصَّاعِقَةُ ، عَلَى مَا عَيَّ عَلَيْهِ أَعْدَادُ أَنْجَمِ السَّمَاءِ .

هَبْ أَنَّهُ سَتَكُونُ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي جَاءَتْ إِنْذَارَاتُهَا وَسَمَاتُهَا عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ
الرَّمَالَةِ فَإِنَّهَا لَنْ تَبِيدَ كُلُّ الْأَحْيَاءِ أَيْ لَنْ تَكُونَ هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي تَبِيدُ كُلَّ شَيْءٍ . بَلْ
سَيَبْقَى وَاحِدٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ مِنْ كُلِّ مِثَّةٍ . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ سَيَبْقَى مَلِيونٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ مِنَ
الْمِثَّةِ الْهَالِكَةِ .

وَفِي هَذَا الْعَدَدِ الْبَاقِي كَفَايَةُ عَمَّارِ الْأَرْضِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَمِهَا يَكُنْ فَلَيسَ كُلُّ الْقُرَى
تَهْلِكُ فِي الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى الَّتِي تَسْبِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلْ تَظَلُّ قُرَى تُعَذَّبُ . بِالْجَاعَاتِ
وَفُقْدَانِ وَسَائِلِ الْحَضَارَةِ وَوَحْيُ اللَّهِ أَصْدَقُ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ تَأَمَّلْهُ فِي الْآيَةِ
الْآتِيَةِ .

«وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» ١٧ — ٥٨ .

وَالْخِلَاصَةُ أَنَّ الْمَلْحَمَةَ الْكُبْرَى أَوْ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَةَ الْآتِيَةَ لَا تَبِيدُ كُلَّ مَعَالِمِ الْحَيَاةِ مِنَ
الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ بَلْ تَبِيدُ مَا تَبِيدُ . وَيَبْقَى الْقَلِيلُ الَّذِي يُعَذَّبُ بِالْعَلَلِ وَالْجَاعَاتِ وَالْخَشُونَةِ
وَالضِّيمِ مِنْ فَقْدَانِ الْحَضَارَةِ .

وَهَذِهِ حَقَائِقُ مِنْ أَعْجَازِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ أَدْلَيْتُ بِهَا لَا لِأَنَّ النَّاسَ سَيَتَعَذَّلُونَ بِهَا أَوْ
يُبَالُونَ لِأَنَّ الْهَالِكِينَ بِالطُّوفَانِ لَمْ يُبَالُوا بِهِ وَهُوَ يَجْتَاحُهُمْ بِالْمِهَالِكِ .

هَذَا شَأْنُ الْإِنْسَانِ الطَّاعِيِ الْمَتَمَرِّدِ لَا يُبَالِي بِالْمِهَالِكِ وَهُوَ يَنْزِلُ بِهِ لِأَنَّ قَسْوَةَ الْقَلْبِ

تَجْعَلُهُ لَا يُبَالِي بِالْبَاسَاءِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ وَعَصَفَتْ عَوَاصِفُهَا بَلْ تَرَاهَا تَزْدَادُ قَسْوَةً
وَتَذْهَلُ حَتَّى عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ لِلتَّذَكُّرِ .
« فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَيَاذَاهُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ » ٦ — ٤٥ .

لَنْ تَنْجَحَ نَهْضَةٌ بَدُونِ الْإِثْرِ

هذا منطق كل نهضة ناجحة ... وهذا منطق النهضة الإسلامية الحديثة التي قام بها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود وجمع بها شمل أهلها الممزق ووحدتهم وأزاح عنهم بلايا الانحطاط والتخلف .

هذا منطق الالتزام العملي الحاسم ولولا التزام منطقها العملي الحاسم لما نَجَحَتْ هذا النجاح الكبير المشرق . والكلمات وحدها لا تقدم ولا تأخر في تخفيف النجاح . لأن الكلمات وحدها بمثابة الجُثث الميتة . والأفعال بمثابة الأرواح التي تنفخ فيها الحياة والحركة والارادة الحرة .

وبلادنا اليوم تَتَمَتَّعُ بأعمال النهضة الحديثة ذات الأبعاد لأنها تسبق أفعالها الأقوال في كل المجالات .

ألا ترى أنه مضى على العرب في كل أوطانهم ما يكاد يبلغ القرن وهم يتنادون لوحدة كلمتهم ويهتفون بأمجادها ويتغنون في النوادي وينظمون لها الأناشيد ..

ومع ذلك لا تزال الوحدة أسراباً من حائم السلام تلوح في غيوب الأقدار من بعيد ، وكلما لاحت أخفتها نزعات العنصرية اللعينة والتراغ الأقليمي الفاجر ...

وما أكثر ما يتحدثون عن مزايا الاجتماع وأبعاد وحدة الكلمة ومنافها وأمنها ورغد عيشها ويتحدثون عنها بلهب البراكين ولكن بدون أدنى عزيمة وتصميم وتضحية وفداء ... لأي أمر جامع .

ولولا الدخلاء المدسوسون في أوطان العروبة لما بلغت مهازل العنصرية الممزقة الى هذا الحد من الصغار البشع الهدام ألا تشاهدكم يوحدون الكلمة بالسنتهم المتحمسة نفاقاً ، ويمزقونها بأفعالهم وإيديهم غير مكترئين .

وأقول . بكل صراحة وبكل حق وبكل صدق اذا لم تقم أعلام الوحدة الجامعة بشوكة بياض السيف ظلت أسراب حائم بيضاء ترف في سراب محل وتغيب وتغيب .

نحن لا نرضى أن نكون وحدة أمة جامعة لها وزنها الكبير في التاريخ تحتكم في مصيرها العنصرية الانعزالية الباغية وتحولها الى أطياف يتغنى بها الشعراء عزاء وسلواناً من فجائع التزيق . مآسيه وزلازله .

وتحولها الى هُتافاتٍ وخطَبٍ ومحاضراتٍ في الأندية والمجامع ومؤلفاتٍ تحتشدُ في المكاتبِ يفيد منها العدو الهادم . أكثر مما يفيد منها الولي الباني . .

واذا أضبحت وحدة كلمة الدول العربية أقوالاً تتبع أقوالاً عرمرما ولا تصميم لها في إنقاذ الموانيق الجامعة ، فإنها تكون كمثّل الذين يخططون أمانهم الحسان وأحلام أمجاد مستقبلهم على رمال الصحراء لا يلبث من ساعات البقاء سوى هبة ريح تعصف بها عصفاً .

يا سادة أن وحدة النهضة العربية الإسلامية التي بني بنائها ودعم دعائها وسمكها سمكاً في قلب جزيرة الضاد الملك عبد العزيز آل سعود ... لم يُقَمَّها بالكلام أبداً . بل أقامها على الأفعال والكلام فيها قليل جداً ومحدود جداً .

وما جدوى كلام الوحدة الذي يفقد روح الوحدة . ولن تكون حياة بغير روح أجل أقام الملك عبد العزيز الوحدة في قلب بلاده جزيرة الضاد المقدسة بلوازم الدستور الإلهي المقدس فله هي من وحدة كانت عجباً من الامر قامت على هدى الله ورسوله والسلف الصالح .

وأفهمهم أن الوحدة اذا خلت من لوازم وحي الله فإن مصيرها الى هباء ولا غناء في تمجيد الوحدة بالكلام ولو كان الكلام الصرف يحیی أمة ويمنحها الحرية ويوحد كلمتها لاحیى الصین حين كانت مستعمرة إنجليزية وكانت ميتة بالكيف من الأفیون وكانت ممزقة وما كان أكثر ما تكلمت بكل ذلك ...

يا أيها العرب الكلام في كل أوطانهم أو وحدتكم لن تتحقق ولن تتم إلا بالتزام الأعمال التي سلكها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بالإسلام لا بالفلسفات ولا بكلمات الاجتماع ولو جاءت ملء الخافقين وفي عدد نجوم السماء .

أجل لن تتم للأمة العربية في سائر أوطانها وحدة عملية مشاهدة ماجدة . الا بالتزام قوله تعالى .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . ٣ - ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ .

هاشم دفتر دار

دَعْوَةُ فَهْمِ الْإِسْلَامِ

هي دعوة وزير النفط والثروة المعدنية أحمد زكي يماني في محاضراته التي ألقاها في جنيف في رجب عام ١٤٠١ هـ .

وكانت المحاضرة ناجمة عن ممارسة فكر بحاث متقد ، وخبرة طويلة مستوعبة لدقائق الأمور وخفاياها .

أجل لقد تبين للوزير المفكر المستوعب في شتى جوانبه ومحاوراته واختلاطه بكبار الساسة والعلماء الأجانب والكتاب أن أوروبا تجهل حقائق كتاب الله ومثله العليا جهل وتقليد وتربية وثقيف .

وان هذا الجهل مزروع بالحقد على حقائق خاتم الوحي الإلهي في أعماق مجموعاتهم النفسية بالمفتريات التي نبعتها في غفلات الطفولة . وأبان انطباع التربية والثقيف المنحرفون العنصريون بالايحاء المركز قبل يقظة الفكر النفاذ الوقاد وقبل توفر يقين العلم الحر الأبوي الأمين الأبوي المنصف .

أجل أن هذا الحقد الظالم المركز بالايحاء في مجموعاتهم النفسية والدعم لدسائس العنصريين ومؤمراتهم في شتى أروقة المعرفة والإعلام هو الذي جعل معظم الأوروبيين على مدى الأجيال يكرهو خاتم الوحي الإلهي المشتعل على سعادتهم وعزتهم ووحدتهم وتفاهمهم في صميم آياته المعجزة المتحدية ، لأن وحي الله ما أمنت به أمة وتقيدت به عملياً إلا وسعدت لأن آيات الله المعجزات المتحديت لم يزلها الله لأمة دون أمة ولا سعادة شعب دون شعب بل أنزلها هدى للناس أجمعين . وهذا منصوص عليه يقيناً .

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت . فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ٧ - ١٥٨ .

أجل إن الله أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ٢١ - ١٠٧ .

والسبب أن الله يدعو كل البشر الى رحمته وفي رحمة الله كل السعادة وكل السلام وكل التفاهم وكل الخير وكل الحق .

والعجيبُ أن معظم الأوروبيين يجهلون حقائقَ خاتم الوحي الآلهي الراحمة الشَّافية لكلِّ أمراضهم النفسية . وما مثلهم في ذلك إلا كمثلِ المرضى الذين يَرشَقون الصيدلية التي تحتشد فيها الأدوية الشَّافية لأمراضهم يَرشَقونها بالحجارة رعونةً وغباوةً وجهلاً .

إذن فأوروبا تفهم الإسلام فيها معكوساً وهذا الفهم المعكوس الذي حدى وزير النفط والثروة المعدنية أن بحث على الفهم الجديد الصحيح للإسلام إذ يقول .

لا بد من فهم جديد بين أوروبا والإسلام وآسف أن غالبية الأوروبيين ينظرون الى الإسلام أنه يشتمل على العنف ضدهم وأن العنف طبيعة الإسلام ويتسم به .

اذن فهذه النظرة المعكوسة لحقائق الإسلام هي نظرة عنصرية مدسوسة في أصول التربية والتثقيف لديهم ولا بد من ازالتها وافهامهم الحقيقة الحلوة الصافية المنزلة من رب العالمين .

والحقيقة المنزلة من رب العالمين ماثلة في قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . أن الله كان عليكم رقيباً .

اذن فالانسانية رَحِمٌ ومعنى الرَّحِم القريبى ، والقريبى تقدم التَّفاهم والمعاونة والرحمة والإيثار وفي ذلك يقولُ رسولُ الله ﷺ « الخلقُ كلهمُ عيالُ الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله » .

ومفهوم المخالفة أبغضهم إليه أضرمهم لعياله وأي ضرر أكبر من إثارة الأحقاد والفتن والحروب بينهم كما يفعل المجرمون العنصريون .

اذن فواجبُ مفكري العالم الإسلامي وقادته الاهتمام بتفهم حقائق الإسلام لأهل أوروبا بكل الحُجَج العلمية والبراهين يقينية ليعلموا أنهم كانوا في جهلٍ أعْمى مخيفٍ بالنسبة لمثل وحي الله العليا التي أوحاها لسعادة البشر جميعاً .

هذا ما دَعَى إليه وزيرنا المسلم المفكر إذن فواجبنا إفهامُ الأوروبيين حقائق الإسلام . ومن أجل ذلك طلبَ وزيرنا أن تعلن مثلُ الإسلام العليا في أوروبا بوسائل العلم الحديث وبراهينه اليقينية .

وكلُّ تقصيرٍ في هذا الأمر يجرُّ الى الكوارث بين الشرق والغرب . ويكون عاملاً في إبقاء الرِّيبِ في أنفسِ الأوروبيين وسوء الظن بالإسلام والمسلمين .

وكم من بلاءٍ وكم من أذىٍ وكم من دِماءٍ وعدوانٍ مِنْ جَرَاءِ ذاك إذن فالتبليغُ هُوَ واجبنا .. وهو قاعدةُ الإسلام الأولى أما قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ » ٥ — ٦٧ .

والتبليغ كما هو وظيفة رسول الله العليا ذات الاجماد والقربات الى رب العالمين فهو وظيفة أتباعه بعده الى يوم القيامة . « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، أنا ومن أتبعني »

وها هي الشيوعية الملحدة أخذت تنتشر في العالم ولو أننا نشرنا ديننا بمعجزاته وتحدياته لآمن كل أهل الكتاب ولم يتشر بينهم الإلحاد .
وأنظر في هذه الآية المعجزة التي تعين هذه الحقيقة وتكشف أسرارها لأن الله كما وصانا على التقوى والتزام حقائق الإيمان بالله الخالق العظيم ومحاربة الإلحاد والملحدين وصى أهل الكتاب .
وإنّا قبل أن تنتهي من ذكرى هذه المحاضرة القيمة التي تدعونا أن نهتمّ بدعوة أهل الكتاب الى حقائق الإيمان وحثهم على التقوى أن نتلو هذه الآية وأن نتأملها جيداً وهي .
«ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً» ٤ — ١٣١ .

هاشم دفتر دار

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم — بقلم الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني	٧
كلمة تقدير وبيان — بقلم الشيخ عمر القيمري	١٣
مقدمة الطبعة الثانية	١٥
مقدمة الطبعة الأولى	١٩
الحديد الجديد	٢١
معجزة العصمة الدفاعية	٢٤
معجزات السبع المثاني	٣٣
الجامعة الكبرى	٦٢
الحياة عربية	٦٧
كلمة الكلية الشرعية	٧١
لو انصف الناس لاستراح القاضي	٧٤
سقيفة بني ساعدة	٨٣
نسر الجزيرة العظيم	٨٥
كلمة وفاء عن حياة الشيخ حسن الشاعر	٨٨
الكلية السعودية في لبنان	٩٣
يا بلادي	٩٦
بيان عن حقيقتين اساسيتين	١٠٠
النظران العلمي والفكري وبرهانها	١٠٤
بحث ذوات الأرواح	١١٢
أعمال المثل الأعلى في حفظ اللغات الحديثة الراقية	١١٧
الحرية	١٢١
شرطة الصيانة	١٢٤

رقم الصفحة

الموضوع

١٢٧

الكائنات وعلم الله الأزلي

١٣٠

محاضرة الدعوة الدينية وأسسها

١٣٧

معجزات القرآن المدخرة للمستقبل

١٣٩

طاقة الشمس وجزيرة العرب

١٤٤

تحديات معجزات القرآن العلمية

١٤٩

عقيدة كل امرئ شريكة حياته

١٥٢

الاسلام هو الأصل في فطرة الخلق

١٥٥

هل عرف البشر عقيدة الإيمان الصحيحة

١٦١

الدعوة الى حفظ التراث

١٦٤

مظاهر الاعجاز

١٦٨

اعجاز القرآن ونهاية الحضارة

١٧٢

لن تنجح نهضة بدون التزام

١٧٤

دعوة فهم الإسلام

١٧٧

الفهرس

المؤلفات التي تمّ طبعتها

- ١ — اصلاح الاسلام الاقتصادي
- ٢ — نوايغ العلم
- ٣ — معجزات قلب القرآن
- ٤ — رواية الى غرناطة
- ٥ — رواية السلم والحرب
- ٦ — ذكريات طيبة
- ٧ — ممّ طبع ١١ مؤلفاً مع الدكتور محمد علي الزعبي
- ٨ — وعرب سيرة محمد نابليون السماء لجان بروي
- ٩ — وتحت الطبع مؤلف بلابل تغرد

ممّ طبع هذا المؤلف
غرة جمادى الثانية عام ١٤٠٣ هـ الموافق ١٥ آذار عام ١٩٨٣ م

202

بيان

وقع بعض الأخطاء في بعض صفحات الكتاب بسبب الفتن الالهية التي وقعت في بيروت .
وهذه أهمها . الرجاء اصلاحها وهي لا تخفى .

صواب	خطأ	١٠	١١	صواب	خطأ	١٢	١٣
المبنيه	المنبه	١٠	١٢٩	قمئه	قميئه	١	٢٧
وصفات	وصفاتا	٧	١٣١	كان	واذا كان	٢	٢٩
وتزييفهم	وتزييفهم	١١	١٣١	باللقسوه	يا للقسو	١٩	٢٩
انحراف	بحراف	١٢	١٣١	واخفاقا	وأخفقا	١	٣١
اجل سطورا	التي سطرها	١٣	١٣١	ايد	ايدها	١٩	٣٢
اتحدث للطلاب	اتحدث	١٥	١٣٧	بشقوق	شقوق	١٥	٦٧
تكذيبهم	تكذيبها	٢٠	١٣٨	وشعارهم اذ ذاك	وشعارهم	٢٣	٧١
الجزيره	جزيره	٩	١٣٩	الناس انا	الناس	١٧	٧٧
انباء	لباء	١٤	١٤٠	حق في	حق من	٨	١٠١
المعاصرين	المحاصرين	٢٢	١٤٢	فيا كله	فيا تل	١٣	١٠٢
اعماق	عماق	الاخير	١٤٤	قاومت	وانى فقدت	١٤	١٠١
المنثوره	المنوره	١٠	١٤٥	الذين	الذى	١٥	١٠٣
فلما	قنما	١	١٤٦	واعلى وهي قه	وعلى فقمة	١١	١٠٦
نفوس البشر	لبشر النفوس	٢١	١٤٨	منتهم	منهم	١٧	١٠٦
تعبد	بعيد	١٨	١٥٠	المنافقون	المنافقين	٢٤	١٠٦
المحال	المحلل	٢٣	١٥٧	ضعجها	ضعجها	٣	١٠٧
سقاء : رفعه	شقاء	٧	١٥٨	واذا	وذا	٤	١٠٧
ماله	قاله	٧	١٦٣	اعجاز	كاعجاز	١٠	١٠٨
اولئك كان	اولئك	٧	١٣٦	ففاقت	فقامت	٦	١٢٠
المصريين	المصريين	١٨	١٤٨	العقوبات	الصعوبات	١٣	١٢٣
				خبث الاحاد	حب الجنون	٧	١٢٧
				حرارة وضوء	حرارة الشمس	٧	١٢٩
				للافاده منها	للافاده	٨	١٢٩

